أنور السّادات

سيرة بطل حرّر روح مصر

عبد المنعم شميس

مقدّمة

حياة الرئيس السادات خصبة كحياة مصر ، صابرة كصبر مصر .

وهذا الكتاب عرض لملامح هذه الحياة . التى اعتاد صاحبها على الصعاب منذ نشأته ، واعتاد أيضا اجتياز هذه الصعاب فى قوة وشجاعة باهرتين .

واذا أردنا تحليل شخصيته فلا بد من تحليل شخصية مصر خلال تكوينها الحضارى والنضالى ، فهو أصدق مثال على المصرى حضارة ونضالا . حتى أصبحت رؤيته للحياة رغم وضوحها الكامل مثل شمس مصر . تحير الباحث عن مقومات هذه الشخصية بسبب عمقها البعيد فى أغوار التاريخ عبر سبعة آلاف عام ، واحتوائها لثقافات متعاقبة تجمع العلوم والفنون والآداب والتقاليد والعادات وأشياء كثيرة متناثرة حول شاطىء النيل من أسوان الى الاسكندرية وممتدة عبر الصحارى الشاسعة التى تلف الوادى الأخضر .

وقد عاش السادات حياة مصر التى تحارب الصحراء حتى لا تطغى على خضرة الوادى وتحاول جهد طاقتها أن تحيل الرمال الصفراء الى أرض خضراء . وتحارب المياه المتدفقة من فياضانات النهر المقدس حتى لا تغرق القرى فتقيم لها السدود والخزانات ، وتنظم تدفقها الى الحقول ثم قدر لها أن تحارب الغزاة الطامعين فتردهم مهزومين أو تدفن جيوشهم فى الرمال .

وخلال هذا النضال الدائم أقامت مصر الحضـارات المتعاقبة وعلمت الانسان كيف يزرع ؟ وكيف يصنع ؟ وكيف يكتب ؟ وكيف يحيا ؟

واكتسب السادات خصائص مصر ، فتكونت شخصيته من شخصيتها . وهى شخصية واضـحة ومحيرة فى نفس الوقت ولم يستطع باحث واحد أن يلم بكل أطرافها أو يجمع كل خصائصها حتى ان كثيرين أساءوا فهم طباعها ، ولم يستوعبوا سر بقائها .

اننى أكتب هذه الصفحات عن الرئيس وسط دهشة العالم كله مما حدث فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ولكن السادات لم يدهش لما حدث ورفض أن يسمى الانقضاض المصرى باسم المعجزة ، وأرجع ذلك لأسباب واقعية لخصـها فى (ورقة أكتوبر) وأرجعها الى أصولها المصرية التى تتلخص فى كلمتى الحضارة والنضال . وهمـا أساس مقومات

شخصيته وشخصية مصر . وقال ان ما حـدث يمكن أن يحدث مرات أخرى كما حدث من قبل أكثر من مرة .

لقد تعلم المصريون من الهكسوس أسرار أسـلحتهم وهزموهم بنفس السلاح . واستطاعوا ان يدفنوا جيوش (قمبيز) فى الرمال . وان يجعلوا (الاسكندر المقدونى) ابنا لآمون رع حتى ركع فى المعبد أمام الاله « آمون » فى واحة سيوة .

وكان المصريون هم الذين هزموا جيوش أوربا مجتمعة فى معركة « حطين » التى قادها صلاح الدين ، وهزمـوا جيوش التتار التى اجتاحت الشرق كله فى معركة « عين جالوت » .

وكان المصريون هم الذين هزموا حملة بونابرت وحطموا أحلامه فى اقامة امبراطورية الشرق وهزموا بريطانيا العظمى التى احتلت بلادهم أكثر من سبعين عاما وحاربوها فى معارك الشعب المصرى الضارية عام ١٩١٩ حتى فجروا كل الثورات ضد الاستعمار الغربى . وقال (غاندى) عندما قاد الهند ضد بريطانيا أن أستاذه هو : سعد زغلول .

ولذلك لم يدهش (أنور السادات) من الدور الذى قام به عندما حول تاريخ العالم . فهو دور مصرى صميم وقد قال هيرودوت عن مصر فى العالم القديم :

— ان ما يحدث فى مصر لا يمكن أن يحدث فى بلد آخر .

وعندما قال (عمرو بن العاص) والى مصر بعد الفتح الاسلامى أن رجالها مع من غلب ، أساء كثيرون فهم عباراته وظنوه يتكلم من مركز القائد الغالب ، ولم يدركوا انه أراد بذلك أن يقول ان رجال مصر يسيرون تحت لواء القائد الغالب المنتصر لأنهم لا يحبون القائد المهزوم . وكان يفسر بكلمته الحديث النبوى الشريف عن جند مصر . عندما وصفهم الرسول عليه الصلاة والسلام بأنهم أعز أجناد الأرض ، وانهم فى رباط الى يوم القيامة ، بمعنى انهم سيظلون فى الحرب دائما مرابطين .

وقد عرف السادات هذه الحقيقة ، عندما كانت الدنيا من حوله تموج بدعايات عن جيش اسرائيل الذى لا يقهر . وعن المقاتل المصرى الذى لابد أن يهزم .

وراجت الدعايات حتى وصلت الى آذان الانهزاميين وكان السادات يعد للمعركة الفاصلة وهو يعلم أن (بونابرت) عجز فى العصر الحديث عن الاستيلاء على عكا ، ولكن جيش مصر استولى عليها بعد سنوات قلائل من هزيمة بونابرت.

عرف السادات أشياء كثيرة تعلمها من الحضارة والنضال . ثم رفعته الأقدار فوق قمة المصير لشعبه ، ليرى

المرحلة الفاصلة وهو يقرأ الكتب ليدافع عنها بحد السيف لأن بلاده كانت أول بلاد فى الدنيا ألفت الكتب من أجل بناء الحضـــارة ، ثم استلت سيوفها عنـــدما تعرضت للغزاة لتحافظ على الكتاب .

وذات يوم زاره صحفى أجنبى فى بيته . ووجد فى يده كتابا ، فعجب هذا الصحفى من رئيس دولة مطحونة يصرف وقته فى القراءة ، وأمامه أخطر المسئوليات ولم يدرك هذا الصحفى أن مصر التى ألفت الكتاب تقرؤه وتدافع عنـــه بحد السيف .

وكان دفاع السادات عن الحضارة أعظم دفاع شاهده العصر الحديث . لأنه لم يقف ضد العـــدوان الاسرائيلى باعتباره عدوانا على أرض يغتصبها . ولكنه وقف وقفـــة أخرى أكبر وأعظم وهى وقفة المناضل المصرى الذى يحمى حضارة الانسان وحرية الانسان وحق الانسان .

ان الذين أقاموا الدنيا من أجل المحافظة على حضارة اليونان ، وردوا عنها الغزو العثمانى ، حتى جعلت بريطانيا العظمى قضيتها ضد سلطان اسطنبول هى قضية الحضارة اليونانية لم يدركوا أن حضارة مصر هى أم الحضارات ، وأن تحطيم معبد من معابدها القديمة معناه خسارة فادحة للحضارة البشرية .

وأولئك الذين ذعروا عنـــدما هدد الجنرال النـــازى الألمانى بنسف متحف اللوفر فى باريس .. لماذا لم يصبهم الذعر عندما كانت طائرات الفانتوم تهدد أعظم كنوز العالم فى قلب القاهرة ؟

كانت قضية الحضارة هى طريق النضال لأنور السادات وقد ظل يدافع دائما عن حضارة مصر التى حققت ســعادة البشرية ، وستجد فى كل سطر من هذا الكتاب ارتباطا وثيقا بين الشـخصيتين ... شخصية مصر وشخصية السادات .

ان أعظم ما يصل اليه الانسان المصرى هو أن تصبح شخصيته هى شخصية بلاده ، بكل ما فيها . وقد تجسدت مصر حقا وصدقا فى شخصية أنور السادات ، ثم تركزت فى كلمتى : الحضارة والنضال

من أجل غد يعيد بناءالحضارة ، يناضل السادات .

من أجل كتاب فى يده يريد أن يدافع عنه رفع حـــد السيف ليصنع السلام القائم على العدل .

هو مقاتل من أجل الفكر بالسيف . وهذا أشرف قتال، حتى ينتصر الفكر على السيف ويعود السلام .

« عبد المنعم شميس »

١ رجـل مـن القـريـة

فى حياة أنور السادات لمحة موروثة من الأجيال المتعـاقبة من المصريين الذين يعتقـدون أن كل وجودهم مرتبط بالبلد . وهم ينتسبون الى مدنهم وقراهم ، ويطلقون عليها اسم البلد .

والرجل بلا بلد كالرجل بلا اسم .

البلد هى الأصل . واذا عرفت البلد يصبح الرجل معروفا ، ولا يهم بعد ذلك أنه يملك الثـروة أو لا يملكها ، لأن الأهم فى حياة المصرى أن يعرف أصله أى بلده ، سـواء كانت قرية أو مدينة ..

عندما أراد أحمد عرابى أن يعرف الناس بنفسه قال : انه من قرية « هرية رزنة » فى محافظة الشرقية .

وكان سعد زغلول يذهب الى قريته (مسجد وصيف) عندما يتعب من عناء السياسة ومشـكلات الوزارة ، ويتجـول وسط حقولها على ظهر حمار وبيده شمسـية يتقى بها حرارة الشمس

الساطعة فى الصيف ، ولم يكن يذهب وحده ، بل كان يصحب معه بعض مريديه ليعيشوا معه فوق الأرض التى أنبتته ، ويجعل من ساحة بيته منتدى للأدب والفكر والسياسة .

وفى أقليم المنوفية أكثر أقاليم مصر خصبا نشأ كثيرون من عظماء مصر . حيث نشأ أنور السادات ، وكان من كبار هؤلاء العظماء فى العصر الحديث (عبد العزيز فهمى) زميل سعد زغلول ، وكبير قضاة مصر ، وأحد الرجال الذين جعلوا للعدالة قداسة وللديمقراطية والحرية أساسا راسخا فى حياة مصر الحديثة ، وكأنه كان يزرع شجرة سنديان فى قريته (كفر المصيلحة) لم تستطع قوى الشر أن تقتلع جذورها ، ولكنها شوهت بعض فروعها خلال فترة من فترات الهزيمة التى نكبت بها مصر قبل أن يصل أنور السادات الى السلطة ويحقق لمصر ما حققته دائما على أيدى أبنائها المخلصين من انتصارات .

كان عبد العزيز فهمى ابن الاقليم الذى نشأ فيه السادات واحدا من الرواد الأوائل لليقظة المصرية التى جسدها المثال محمود مختار فى تمثال (نهضة مصر) الرابض على أبواب جامعة القاهرة ، وهو تمثال الفلاحة المصرية التى تضع يدها على رأس أبى الهول .

وكان أعظم عمل قام به عبد العزيز فهمى هو تعليم أبناء قريته (كفر المصيلحة) حتى لم يبق فيها أمى واحد .

خلاصة سبعة آلاف سنة من التاريخ فى حكمة واحدة .. هى العلم .

الكاتب المصرى القاعد القرفصاء فى المتحف المصرى بالقاهرة والذى سافر الى متحف اللوفر فى باريس وهو قطعة من الحجر الأصم ، لا معنى له الا بالقلم وورقة البردى التى وضعها على ركبتيه ، وكتب عليها حياة الانسان .

لقد عاش هذا الكاتب المصرى فى أربعة آلاف قرية على شاطىء النيل ، منذ سبعة آلاف سنة ، وأصبح رمزا من رموز البشرية التى فهمت أن الحضارة والمدنية والتقدم لم تتحقق الا بورقة البردى وقلم الكاتب القاعد القرفصاء

وفى كتاب الشيخ عبد الحميد عيسى فى قرية (ميت أبو الكوم) جلس الطفل محمد أنور السادات القرفصاء ومعه لوح من الصفيح أو الاردواز ، وكتب أول الحروف التى علمته الحضارة والمدنية والتقدم .

المعلم الذى علم (أحمس) قاهر الهكسوس كيف يجلس القرفصاء ويكتب على ورقة البردى حروف الكلمات هو الذى علم (السادات) كيف يجلس على حصير من الحلفا أو السجاد ويكتب على اللوحة أول حرف فى الحضارة .

ثم ماذا وكيف يصبح هذا الطفل ذكى العينين فى مستقبل الأيام ؟

ألف باء .. والأرقام التى أصبحت فى عصرنا يجمعها ويضربها ويقسمها صندوق صغير اسمه (الكمبيوتر) يقدم كل ما يحتاجه الانسان من أرقام .

الكاتب القاعد القرفصاء كان يعرف هذه الأشياء بطريقته .. والطفل السادات كان يعرفها أيضا فى كتاب الشيخ عبد الحميد بطريقته كما يعرفها آلاف الأطفال .

خلال سبعة آلاف سنة تحولت ورقة البردى وتحول لوح الصفيح الى آلة تحسب وتكتب . والعلم يتقدم ولكنه فى تقدمه يتحول من ورقة بردى ومن لوح صفيح أو اردواز الى آلة حاسبة كاتبة .

الذين صنعوا الماضى يستطيعون صنع الحاضر والمستقبل ، وهم من أبناء القرى المصرية المتناثرة على شاطىء النيل ومنهم الذى يجمع صخور القمر فى عصر الذرة ، ومنهم من يعلم فى جامعات أوربا وأمريكا ، أو يمارس الطب فى لندن ، أو يرسم المشروعات الهندسية الهائلة فى المشرق أو المغرب .

ثم ارتبط أنور السادات بقرية مصرية لم يكن لها وجود على الخرائط ، ولكنها موجودة كغيرها فى القرى الصغيرة فى حياة مصر قبل أن ترسم الخرائط .

خاطىء من يقول ان مصر من البلاد المتخلفة ، فهى أم الحضارات

ولها الأهرامات ولها المسلات فى نيويورك ولندن وباريس وروما ، ومدن أخرى تزينت باسم مصر وحضارة مصر .

المآذن والمساجد والمتاحف فى القاهرة .

ألف مئذنة ، ولا توجد مدينة فى الدنيا تحمل فوق صدرها ألف مئذنة غير القاهرة .

كل حجر فوق أرض مصر له قصة ، وكل شبر من أرض مصر فوقه موقعة أو معركة وله تاريخ .

ومن كثرة القصص والمواقع والمعارك تاه الباحثون فوق أرض مصر ، ونسى المصريون آلاف آلاف الحكايات التى تروى التواريخ القديمة والجديدة وأصبحنا نعرف قصص بعض القرى التى أنجبت عظماء الرجال .

ان الحضارات القديمة كلها أصبحت سـطورا فى كتب الا حضارة مصر .

المسلة الفرعونية أصبحت مئذنة اسلامية فوق مسجد .

أعمدة الكرنك انتقلت كما هى بصورها الى أحدث الأبنية فى العـالم .

آلات الموسـيقى التى عزفت عليهـا مغنيات فرعون لا زال العازفون يعزفون عليها حتى اليوم .

حضارة لا تموت .

هذا هو الأصل .. أو هو البلد .

ونشأ أنور السادات مرتبطا بالأصل والبلد ولا زال مرتبطا بهما حتى اليوم بشكل لم يسبق له مثيل .

وعندما ينتقل أنور السادات من القاهرة الى قريته (ميت أبو الكوم) يرتدى زى الفلاحين فى غالب أحواله ، ويجلس معهم على طريقتهم ، ويتناول الطعام الذى تعوده منذ طفولته فى بيته ، بل انه يخلع ثياب رئيس الجمهورية حسا ومعنى . ويصبح واحدا من الفلاحين فى قرية مصرية .

هذا الشعور بالانتماء الى القرية هو أساس تفكير أنور السادات .

والقرية المصرية لها طابع متميز ، فهى بعائلاتها المتعددة تشكل أسرة واحدة متعاونة ، تحمل تقاليد واحدة لا يملك أحد أبنائها الخروج عليها ، والا اعتبر من المارقين ، وهذه التقاليد فى جملتها تضمها كلمة واحدة هى : الخير ، وتحيتهم فى الصباح والمساء هى كلمة الخير .

كل شىء فى القرية خير حتى حاصلات الحقول ، ومنتجات البيوت من الزبد والجبن والبيض والدواجن ، فأصبح الخير الى

جانب قيمته المعنوية فى تصرفات الناس وأخلاقهم وطباعهم ، يحمل مفهوما ماديا أيضا فيما تقدمه لهم الأرض من ثمرات هى الخيرات .

وأصل هذا الخير هو طين الأرض الذى ينبت الزرع الأخضر ويطلق الفلاحون على أرضهم اسم الطين ، وهى كلمة يستخدمها أنور السادات عندما يتحدث عن أصل المصريين وانتمائهم الى أرضهم ، وشدة تعلقهم بوطنهم .

من هذا التمازج الحضارى الذى أنبت الزرع منذ سبعة آلاف سنة تكون الانتماء المصرى للأرض ، وأصبحت القرية رمزا للحضارة والانتماء معا . ولا زال المحراث الفرعونى يشق الأرض فى قرية ميت أبو الكوم ، ولا زال الشادوف يرفع الماء ليسقى الطين وينبت الزرع .

وأنت تحس من نبرات صوت السادات عندما يتحدث عن الطين ، بهذا الاحساس القديم العميق الذى ربط المصرى بأرضه عبر الزمان .

لقد كانت أغنية آلاف المصريين الذين ساروا مع جيش (الفيلد ماريشال اللينبى) فى الحرب العالمية الأولى عندما اتجه نحو فلسطين تقول :

بلدى يا بلدى
دانا بدى أروح بلدى

البلد هى كل شىء فى الحياة .. وهى الأب والأم والأخت والأخ والزوجة والولد .. وهى كلمات الغناء وانفتاح القلب .

ويمتد هذا الاحساس الى اليد عندما ينطق اللسان ، وكأن كف المصرى خلقت لتشعر بالسعادة والرضى حين تأخذ حفنــة من طين الأرض . وهذا الاحساس هو الذى يعبر به أنور السادات عنــدما يتحدث عن الطين أصل كل مصرى ، فتمتد كفه فى حركة لاشعورية لتصور هذا الاحساس .

خلال الأيام الأولى لتوليه رياسة الجمهورية فى ظروف شــاقة عســيرة عبر عن شعور الفلاح واحساسه ، عنــدما جاءه قادة السوفييت ، وقال كلمة رد التحية على المجاملة ، وكانت كلمة فلاح مصرى عريق .

قال السادات :

« لقد جاءنى أصدقاء يحملون الصينية » .

وهــذا المعنى من المعانى المعروفة فى قرى مصر ، فان المجاملة الظاهرة عند أهل الريف فى مواقف المعــاناة أو الأسى ، تكون عن طريق حمل صوانى الطعام الى البيت الذى يجلس صاحبه مع الناس للمواســاة .

وهذا المعنى لا يقتصر على موقف المواساة وحده ، ولكنه يعبر أيضا عن مواقف الأفراح حيث تقدم الصوانى للبيت الذى تدق فيه الطبول ، وترتفع أصوات الغناء ، وهو تعبير الأصــالة المصرية عن الأحزان والأفراح على السواء ..

ومن تقاليد القرية احتفظ السادات بمعنى آخر هو ما عبر عنه بكلمة : العيب ، وهذه الكلمة واسعة المدلول ، فهى تحمل معنى الاحترام المتبادل بين الناس ، واحترام الصغير للكبير حتى لا يحدث العيب .

كما ان العيب يعنى أيضا الالتزام بمبادىء وأخلاقيات لا يجوز الابتعاد عنها حتى لا يقع العيب فوق عاتق صاحبه .

ان الشىء الهام هو أن الريف المصرى ينبه دائما الى رفض كل ما يتعارض مع القيم السامية الرقيقة لأنه يرفض العيب .

وعندما يحدث الخطأ . يغضب السادات ويتحدث عن العيب ، ثم لا يلبث أن يعود الى هدوئه المعهود وصفاء نفسه بعد أن يزول العيب أو تزول أسبابه .

فى أعقد المواقف السياسية كان السادات يفكر فى معنى (العيب) الذى عرفه فى قريته (ميت أبو الكوم) ، وعندما ووجه قبل حركة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، بعبث الصائحين يمسحون نعالهم بالأرض ويتصايحون وكان هذا العمل شائنا ، قال كلمته الشهيرة :

« هذا عيب » .

وكان لا بد من ازالة العيب على طريقة رجل من قرية مصرية . واستطاع السادات أن ينهى العيب من السياسة المصرية ، وأن يمحو

بقعة العيب من وجه مصر المشرق ، وكانت البقعة توشك أن تصل الى العينين لتطمس أمامهما كل الحقيقة ، وتجعل الزيف والهزيمة واقعا لا يمكن الفرار منه .

أريد أن أقول لك شيئا عن تفسير لفظة (السادات) فهى من الألفاظ المصرية العريقة القديمة ، وقد حمل هذا الاسم كثيرون ، لأنه اسم مطلق . وهناك أسماء كثيرة مطلقة فى مصر وكل اسم منها له معنى .

فى بعض القرى المصرية توجد عائلات تحمل اسم (الشيخ) ، وهى عائلات (المشايخ) أى أصحاب الدين والهدى فى القرية ومنهم امام المسجد وقارىء القرآن ، وقاضى الشريعة ، ومعلم القرآن فى الكتاب .

وفى بعض القرى توجد عائلات تحمل اسم « المهدى » وهو الذى هداه الله للاسلام .

واسم السادات من هذه الأسماء المطلقة ، والكلمة ترجع الى لفظ السيد الذى يجمع فيصبح سادة ثم يجمع مرة أخرى فيصبح سادات .

هذا هو اسم الرجل الذى نشأ فى قرية مصرية اسمها (ميت أبو

الكوم) ، والذى لا يجد متعة فى حياته أكثر من أداء صلاة الجمعة مع أهل قريته .

أليس هذا هو ما كان يفعله الرئيس الفرنسى (شارل ديجول) عندما كان يذهب فى أيام الآحاد الى قريته ليصلى فى الكنيسة ؟

زعيمان من زعماء هذا العصر أحبا القرية والتصقا بها .. أولهما (شارل ديجول) وثانيهما (أنور السادات) .

شارل ديجول حرر روح فرنسا بعد الهزيمة فى الحرب العالمية الثانية .

وأنور السادات حرر روح مصر بعد الهزيمة فى حرب يونيو ١٩٦٧ .

لقد ولد السادات فى ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ فى تلك القرية التى دخلت التاريخ وعندما بلغ السادسة من عمره ألحقه والده بكتاب الشيخ عبد الحميد عيسى ليبدأ أول مرحلة من مراحل تعليمه .

فى هذا الكتاب الذى يضم حوالى ١٥٠ طفلا ، تلقى مبادىء القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن الكريم .

ويروى الشيخ عبد الحميد ذكرياته مع الرئيس (١) قائلا : « فى عام ١٩٢٣ دخل محمد افندى السادات ومعه ابنه أنور الذى كان

---

(١) اخبار اليوم ــ ١٩٧٤/٣/٣٠ .

يبلغ من العمر خمس سنوات الى كتاب القرية وكان أنور الصغير يرتدى الجلباب والطاقية والحذاء ويحمل لوحا من الخشب وقلما من البوص . وسأل الأب عن الشيخ عبد الحميد عيسى « مولانا » . وعندما التقى به قال له أرجو أن تعلم أنور اللغة العربية .. أما اللغة الانجليزية فسأعلمها له بنفسى .

مكث أنور السادات يتعلم فى كتاب الشيخ حوالى ٦ سنوات . كان يذهب للكتاب يوميا من الثامنة صباحا حتى الثانية بعد الظهر واستطاع فى هذه الفترة أن يحفظ القرآن كله بأجزائه الثلاثين . ثم حضر والده وذهب به وبرفقتهما الشيخ عبد الحميد الى المدرسة الابتدائية بقرية طوخ دلكه المجاورة لقرية ميت أبو الكوم . وعقد ناظر المدرسة الابتدائية امتحانا لأنور الصغير . وكانت اجابته تسمح له بدخول الصف الثالث الابتدائى علما بأن زملاءه فى الكتاب دخلوا الصف الأول .

ويروى الشيخ عيسى ذكرياته مع الرئيس السادات فيقول : ان الرئيس كان يخصص ساعة أو أكثر يوميا لدراسة اللغة الانجليزية ، حتى أجادها وهو فى سن مبكرة وعندما كان عمره ثمانى سنوات زارت القرية دورية انجليزية . وعلى الفور كلف العمدة الخفراء بأن يمروا على الفلاحين فى منازلهم ويطلبوا منهم عدم مغادرة منازلهم أثناء تجوال الدورية الانجليزية ..

ولكن الطفل محمد أنور رفض الاستجابة لتعليمات الخفراء

وأوامر العمدة وأسرع بالذهاب الى الدوار حيث التقى بأفراد الدورية الانجليزية وأخذ يتحدث اليهم بالانجليزية بطلاقة أدهشتهم جميعا . فاستمروا يستمعون اليه باتنباه فترة طويلة .

وكانت هذه أول مرة تشهد فيها قريتنا طفلا صغيرا يتحدث مع الانجليز بمثل هذه الشجاعة والبراعة فى اللغة .. ومن يومها والشيخ محمد ماضى عمدة القرية يعرف الرئيس شخصيا بالرغم من أنه كان طفلا صغيرا ..

وعندما كان فى سن العاشرة خرج أنور مع زميلين له للسباحة فى ترعة الباجورية . ثم جرف التيار أنور الصغير الى داخل الترعة . وكاد أن يغرق ولكن زميليه تمكنا من انقاذه .

وكان المرحوم والد الرئيس يتوقع أن يتولى أنور مركزا مرموقا منذ عشرات السنين . وعندما اتهم الرئيس فى احدى قضايا الاغتيالات قبل ثورة ١٩٥٢ ، وقف والده أمامه وهو فى قفص الاتهام وقال له : لقد تنبأت بأنك ستكون واليا على مصر .

ويقول الشيخ عبد الحميد عيسى أن الرئيس يحافظ دائما على عاداته التى تعلمها منذ الصغر . فكلما يزور القرية يطلبنى ويحادثنى كثيرا . بل أنه يقوم أحيانا بزيارتى فى بيتى المتواضع وكلما شاهدنى أخذنى بالأحضان .

وأذكر أنه بعد انتخاب الرئيس لرئاسة الجمهورية بأربعة أيام ، ان كنت أجلس فوق سطح منزلى فسمعت صوتا ينادينى : ياسيدنا

.. يا سيدنا . فوقفت على السلم استطلع الخبر ففوجئت بالرئيس محمد أنور السادات يقف أمامى .

وذات مرة ، حضر الرئيس للقرية فذهبت لمصافحته ، وعندما اقتربت منه لاحظ أننى مجهد وعندما سألنى عما بى ، قلت له أنا تعبان شويه فاستدعى الرئيس على الفور طبيبه الخاص وطلب منه أن يكشف على وأن يصرف لى الدواء من عنده » .

وعندما كان فى الثانية من عمره اعتادت قدماه رحلة الذهاب والعودة . ومشى على الطريق التى يخرج بها من القرية (ميت أبو الكوم) ليعود اليها مرة أخرى على نفس الطريق .

المغناطيس الذى يجذبه لا تستطيع أن تراه ، لأنه شىء من صنع الله ، ولا زال يشده بقوة نحو قريته الصغيرة .

وفى السنوات الأولى للرحلة ، كان الفتى يذهب كل صباح الى قرية مجاورة لقريته اسمها (طوخ دلكه) حيث بدأ دراسته الابتدائية فى مدرسة الأقباط التى كانت المدرسة الابتدائية الوحيدة فى المنطقة ثم يعود فى وسط النهار أو آخر النهار الى بيت أسرته فى قريته حيث عاش فى كنف جدته لأبيه التى تولت تربيته ورعايته أثناء غيبة والده الذى كان يعمل فى السودان .

وهناك مثل مصرى يقول ان أعز الأبناء هم أبناء الأبناء ، وقد صدق هذا المثل على حياة أنور السادات الذى عاش فى كنف جدته فى القرية ، فمنحته الحب والرعاية ، واهتمت بشأنه حتى حصل على

الشهادة الابتدائية من مدرسة الأقباط . وكان أعظم شيء علمتـه الجدة للحفيد هو عمق الايمان بالله واقامة الصلاة ، وحب القرآن الذى كان قد حفظه فى الكتاب .

فى تلك السـنوات الأولى من حياته بذر الله فى قلبه الايمان وحبب اليه الصلاة والصيام والاستماع للقرآن فتكونت شخصيته منذ البداية على هدى الاسلام ، لا عن طريق أداء الفرائض التقليدية ولكن عن طريق الخشوع الهادىء المطمئن ، وأنت تلحظ ذلك فى سجوده وركوعه ، وفى قسمات وجهه حين يتوجه لربه بالدعاء فى الكعبة ، أو حول بيت الله الحرام .

وقد رأى المشاهدون لشاشات التليفزيون خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ مشهدا لم يشهدوه من قبل ، عندما كان السادات فى زيارة السعودية ووقف مع جلالة الملك فيصل عند سلم الطائرة يتناجيان ، ويرفعان رأسيهما للسماء ، وعلى قسمات وجهيهما علامات الخشوع الهادىء المطمئن .

بدأت رحلة أنور السـادات بالايمـان .. وسارت على طريق الايمان .

ان أهل القرى فى مصر يوفرون من قوتهم لقمة بعد لقمة ، حتى يجتمع للواحد منهم نفقات الحج الى بيت الله الحرام .. وفى هـذا الجو المؤمن نشأ السادات يستيقظ على صوت المؤذن ، ويرى فى

كل عام موكب الفلاحين الذاهبين الى مكة ، يخرجون على الطريق التى عرفها وسار عليها ، تزفهم أغانى الأحباب فى أعظم رحلة من رحلات الحياة .

باسم الله .. هى الكلمة التى ينطق بها دائما ..

وبعد أكثر من عشرين عاما عاد السادات الى مدرسته الابتدائية مدرسة الأقباط فى (طوخ دلكه) فى يوم ٩ أكتوبر عام ١٩٥٣ ، وكان قد حقق نجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وكتب فى سجل المدرسة :

« بسم الله والله أكبر والمجد لله .

اللهم انى أحمدك وأشكرك ، فقد أراد جل وعلا أن أزور مهبط الوحى وأصل ثقافتى والمدرسة التى وهبت روحى الكفاح فى الحياة ، فهى فى نظرى قبلة أحج اليها لأتزود من جديد بالقوة والايمان .

اننى أتمنى للجمعية والمدرسة أخلص ما أتمنى وأعد أن أكون خادما لهذه المدرسة حتى أرد ولو بعض الجميل .

وفق الله الجميع وهدانا جميعا سواء السبيل .

((أنور السادات))

هـــذه الكلمات القصيرة فيها التعبير عن معنى الايمان الذى يعتنقه السادات ، ايمان التسامح الذى جعله يحافظ على الوحـــدة الوطنية فى مصر ، ويزيد أبعادها وأعماقها عندما وصـــل الى قمة السلطة ، وحاولت بعض العناصر المريبة خدش هذه الوحدة .

لقد كتب فى سجل مدرسة ابتدائية تلقى فيها العـــلم الكلمات التى يؤمن بها ويعتنقها ، ويدافع عنها .

لمـــاذا زار هذه المدرسة بعد أن حقق نجاحه الأول الكبـــير ؟ لمـــاذا كتب هذه الكلمات فى سجل المدرسة ؟

ان رحلة السادات تغذيه دائما بالأفكار والمبادىء والمثل . وقد كانت رحلته الى المدرسة الابتدائية تعبيرا عن ايمانه الثابت بأن الله واحد وهو اله الجميع على اختلاف دياناتهم .

حدث فى عام ١٩٥٨ عندما كان رئيسا لمجلس الأمة ، ورئيســـا لوفد هذا المجلس فى مباحثات الوحدة مع سورية ، أن خرج موكب أعضاء الوفد من دمشق متجها الى حمص ثم حماه وفى الطريق الى حلب وعلى مقربة منها توجد (معرة النعمان) قرية أبى العلاء المعرى وتوقف الركب عند القرية فى المساء ونزل أنور السادات وتوجه الى قبر شاعر المعرة وفيلسوفها ومر خلفه أعضاء الوفد وبعـــد زيارة المقبرة .. كتب السادات كلمات ناصعة فى سجل الزيارات .

كم عبر زعماء ورؤساء وقادة هذه الطريق ، ومروا على (أبى العلاء) مر الكرام ، ولم يفكروا فى تحيته ؟

ولكن السادات لم ينس تحية حكيم المعرة لأنه يعرف قيمة صاحب (رسالة الغفران) فى تاريخ الفكر العربى والفكر الانسانى.

فى تلك اللحظة أحسست — وكان لى شرف مرافقة الوفد — ان هذا الرجل يرتفع تفكيره فوق كل المشكلات المعقدة ، وأنه يؤمن بوحدة الفكر العربى وهى السبيل الأوحد فى وحدة الأمة العربية .

لقد انصهرت فى أعماقه أشياء كثيرة ، كونت شخصيته منذ البدايات الأولى فى خطوات حياته . وتركزت مفاهيمه حول شيئين عبر عنهما بعد أن وصل الى قمة السلطة وهما الايمان الذى حدثتك عنه والعلم الذى كان يسعى اليه منذ رحلته الأولى فى الكتاب ثم فى مدرسة الأقباط الابتدائية بطوخ دلكه .

وجذب القدر خيوط الحياة ، فعاد الوالد من السودان فى اللحظة المناسبة ، وكان الفتى قد أتم دراسته الابتدائية .

كان ذلك فى عام ١٩٣١ حيث أقام الوالد فى بيت بشارع القائد المواجه لقصر القبة والحق ولده بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بالعباسية .

فى تلك السنوات لم يكن من السهل على آباء الطبقة الوسطى الحاق أبنائهم بالمدارس الثانوية بسبب النفقات الباهظة التى حددت نوعية تلاميذ هذه المدارس . فكانت المصروفات الرسمية للمدرسة الثانوية فى عام واحد تكفى لدفع البدل النقـــدى الذى تحصله الحكومة لاعفاء شاب من الجندية ، عندما كانت الجندية مفروضة على الفقراء والمعدمين .

وكانت المدارس الثانوية فى القاهرة تكاد تعد على أصـــابع اليدين أو أقل قليلا ، وكان طلابها يحتاجون الى نفقات ترهق أسرهم فى كثير من الأحيان .

خلال فترة الدراسة الثانوية التى مر بها السادات ، مرت مصر بمرحلة هامة من مراحل النضال الوطنى ، وكان الطلبة من أهم العناصر التى اشتركت فى هذا النضال . وعاش السادات مع شباب جيله فترة الصحوة الثانية بعد ثورة ١٩١٩ ، وعاصر منذ صباه فترة الغاء دستور ١٩٢٣ وقيام دستور ١٩٣٠ الــذى أصــدره اسماعيل صدقى ، وتركز الوضع الوطنى حول الديمقراطية والحياة الدستورية وكان مطلب الجماهير خطأ أو صــوابا هــو عــودة دستور ١٩٢٣ .

واعتقد شباب هذا الجيل أن عودة دستور ١٩٢٣ معناه كبح جماح القصر وارغام الاستعمار البريطانى على التسليم بمطالب الشعب المصرى ، وتحت ضغط الحركة الوطنية توحدت صفوف

الزعماء السياسيين تحت اسم « الجبهة الوطنية » ، وعقدت معاهدة ١٩٣٦ ، التى أطلق عليها فى ذلك الوقت اسم معاهدة الشرف والاستقلال .

ورغم أن هذه المعاهدة جعلت للاحتلال البريطانى صفة شبه شرعية فى بعض بنودها فانها فتحت بعض نوافذ الحرية فى مصر . وأدت الى الغاء الامتيازات الأجنبية والى فتح بعض الأبواب المغلقة فى وجه الشباب المصرى ومنها أبواب الكلية الحربية التى ظلت وقفا على أبناء طبقة معينة من أبناء الشعب المصرى خلال فترة طويلة من الزمان ، وقد تحكم فى مصيرها الاحتلال البريطانى منذ هزيمة الجيش العرابى فى التل الكبير عام ١٨٨٢ وحل الجيش المصرى فى أعقاب هذا الاحتلال .

وعندما كان السادات طالبا فى مدرسة فؤاد الأول الثانوية بالعباسية ، فكر فى (أحمد عرابى) واستهوته شخصيته ، وحدث تجاذب طبيعى بين الشخصيتين .

كان عرابى يلقب فى طفولته وبعد أن شب عن الطفولة بلقب « الشيخ » .. وكان السادات يلقب فى طفولته عندما كان فى قريته بلقب « الشيخ » أيضا . كما كان أحد أجداد السادات ضابطا فى جيش عرابى .

وقد يكون لهذه الخلفيات أثر فى استهواء شخصية عرابى لأنور السادات فى مطالع شبابه حتى بدأ يدرس تاريخ الثورة

العرابية ، ويكثر من الحديث عن أحمد عرابى بين زملائه وأقرانه ، ولم تكن رحلته الى حمل السيف قد بدأت .

ومما لا شك فيه أن السادات الذى ولد فى ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ قبل مولد ثورة ١٩١٩ بأيام سمع من أهل قريته أشياء كثيرة عن (هوجة عرابى) وكيف وقف الناس يساندونها بالرجال والأموال والغلال وكل ما يملكون . ثم عاد الرجال الى قراهم بلعنون الهزيمة فى مرارة ويتحدثون أحاديث شتى عن الأسباب التى ضيعت الثورة وسرقت السيف من يد عرابى .

لقد أصبحت هزيمة عرابى يوما من أيام تاريخ مصر .. يوما لا ينساه الفلاحون الذين لم يستسلموا للهزيمة ويتحدث أهل القرية شأنهم فى ذلك شأن أهل القرى فى مصر عن أسماء بعض الأعيان الذين كانوا يؤيدون أحمد عرابى ثم انحازوا الى توفيق الخديوى بعد الهزيمة حتى لا تضيع الثروة من أيديهم أو السلطة ، وعن أعيان آخرين ظلوا على ولائهم للثورة ولو ضاعت من أيديهم الفدادين والقصور ولكن الحديث الأمتع كان عن البسطاء من الفلاحين الذين ظلوا على ولائهم للثورة مع اختلاف كل الظروف وتقلب كل الأحوال .

ويدور الهمس من دار الى دار عن مواقف الأعيان على اختلاف ظروفهم وأحوالهم ، ولكن أحدا لا يتهم أحدا بالخيانة.. قد يكون موالسا أو مرائيا أو منافقا ولكن ليس خائنا .

الخيانة تأتى من خارج مصر .. ولا تخـــرج أبدا من أرض مصر .

الذى يملك الأرض ليس أعز نفرا ممن يملك نفسه وينبت الزرع فى الأرض .

السيد يظل سيدا بأرض أو بغير أرض .

وفجأة دوت الصحية فوق الأرض التى أنبتت السادات .. وفى قرية على مقربة من قريته .

ان روح مصر لا تهزم .

لقد شنقت بريطانيا العظمى الامبراطورية التى لا تغيب عنهـــا الشمس فلاحا مصريا فى قرية اسمها دنشواى .. واسمه زهران .

وتغنى أهالى القرى بالموال :

أيام شـــنق زهران كانت صعب وقفـــاته
وكان له أب فى حالات الشــــــــــنق لم فاته
وكانت له أم تعيط على الســـطح واخواته

حركت دنشواى فى يوم ١٣ يونيو ١٩٠٦ كل أوجاع الهزيمة التى وقعت عام ١٨٨٢ وانتقلت ثورة الأفندية التى تزعمها مصطفى كامل من القاهرة الى القرية ولم تصبح ساحتها منتديات لنـــدن

وباريس وبرلين ومقالات الصحف ، بل أصبحت ساحتها هى ساحة دنشواى التى نصبت فيها المشانق ، وعلق الفلاحون ، وسقط عرش لورد كرومر تحت جثة زهران فلاح دنشواى فى نفس اللحظة التى تحرك خلالها حبل المشنقة الرهيب حول عنق البطل الدائم لمصر .. الفلاح ابن كل قرية مصرية .

وخبا صوت ثورة الأفندية .. وارتفع صوت كل زهران فى ثورة ١٩١٩ .. فى ثورة الفلاحين ..

بدأ الصوت يرتفع مع العائدين من فلسطين ممن جمعتهم السلطة البريطانية فى الحرب العالمية الأولى خلف جيوش (الفيلد ماريشال اللينبى) الذى فتح القدس . وقال فى غطرسة :

« اليوم انتهت الحروب الصليبية » ..

وكان هؤلاء الفلاحون يغنون نشيد مصر الخالد :

يا عزيز عينى وانا بدى أروح بلدى
بلدى يا بلدى والسلطة خدت ولدى
بلـــدى .. يا بلـــدى

كان الكلام هو النغم .. وكان النغم هو الكلام .. رحلة الذهاب والعودة هى البلد .. وصاحب الكلام هو صاحب اللحن والنغم .

ولكن ..

لماذا هزم أحمد عرابى فى التل الكبير ؟
لماذا شنق زهران فى دنشواى ؟
لماذا سكت صوت الفلاحين الذين أشعلوا ثورة ١٩١٩ ؟

كانت رحلة أنور السادات فى الحياة قد بدأت مع هذه الأصداء ، وظلت الأصداء تدوى وهو معها عندما كان طالبا فى المدرسة الثانوية .

وأراد القدر أن يضع فى يد السادات سيفا .. فالتحق بالكلية الحربية وتخرج فيها عام ١٩٣٨ ، ليبدأ رحلة جديدة من رحلات الذهاب والعودة التى يملك دائما القيام بها على صفحة التاريخ وجعل مركزها قرية مصرية اسمها « ميت أبو الكوم » .

* * *

٢ انصهار الشخصية

قليلون عاشوا حياة مصر مثل السادات ..

ولولا المبالغة لقلت انه عاش حياة فريدة ، عبرها ، واجتاز عقبات وصعابا لم يعبرها أحد من أبناء جيله .

قد يقف كثيرون موقف المتفرج على أنماط الحياة وأشكالها ، ولكنهم لا يمارسونها وينغمسون فيها ، ويسبرون أغوارها عن طريق المعايشة الكاملة كما فعل السادات .

ولم تكن بدايات حياته العملية فى عام ١٩٣٨ تنبىء بأنه سيمارس الحياة التى مارسها ، فقد كان ضابطا فى الجيش ، وكانت الأبواب مفتوحة أمامه ليستقر ويهدأ مثل غيره من الضباط الذين يرقون الى الرتب الأعلى طبقا لنظام الجيش ، ويمنحون الامتيازات التى تكفل لهم رغد العيش فى كل الظروف .

وقد يصل الطموح بأبناء الطبقة الوسطى المثقفة فى مصر الى محاولة تحطيم القيود التى كبلت المجتمع ، ويتمردون على الأوضاع

القائمة ، ولكنهم كانوا فى غالب الأحيان يستندون فى كفاحهم الى حزب أو هيئة أو جماعة .

منذ انتهاء الثورة العرابية لم تعرف مصر فئة الضباط الثوار ، الا فى قلة قليلة منهم ضابط عظيم هو (الفريق عزيز المصرى) الذى حارب مع الثورة العربية فى ليبيا ضد الاستعمار الايطالى ، وحارب مع الثورة العربية فى الحجاز ضد الفساد التركى العثمانى ، وساند (مصطفى كمال) ورفاقه ضد سلطنة آل عثمان ، ثم أصبح صاحب المدرسة المصرية العسكرية ضد الاستعمار البريطانى .

وعندما خرج (الجنرال سفنكس باشا) من وزارة الحربية المصرية جلس مكانه (الفريق عزيز المصرى) رئيس الأركان .

ثم ظهر اسم الضابط أنور السادات على مسرح الأحداث ، وعرف واشتهر ، ثم توارى واختفى ليعود مرة أخرى الى الظهور واللمعان .

والسادات أحد أبناء مدرسة عزيز المصرى الأوائل ، ثقافة وفكرا ، وقد روى الثقات أن (عزيز المصرى) حدثهم عن الضابط أنور السادات أحاديث كثيرة ، وكان يقول لهم انه كان يستقبل كثيرين من الضباط فى بيته ويتحدث معهم ، ويحدثونه ، ولكنه لاحظ أن الضابط الوحيد الذى أغرته الكتب فى مكتبته كان أنور السادات ، فاستعار منه كتبا كثيرة كان يقرؤها ثم يعيدها الى مكانها من المكتبة ، وكان عزيز المصرى يناقشه ويجادله فيما قرأ من كتب .

وقد انفرد أنور السادات مع نفر قليل من زملائه الضباط بحب الثقافة ، وعشق الكتابة . ولكن الملاحظة التى أبداها الفريق عزيز المصرى لأصدقائه ، تحمل دلالات خاصة ، ظهرت بعد ذلك ، وهذه الدلالات ليست هى الموهبة الأدبية أو الخطابية التى يملكها السادات ، لأن هذه الموهبة منة توهب من الخالق سبحانه وتعالى ، ولكن فضل الانسان يكون فى حب العلم الذى ينمى الموهبة .

والموهبة بلا علم كالشجر بلا ثمر .

لقد فوجىء كثيرون بالمعارف التى حصلها السادات خلال حياته الخصبة ، فهو من العارفين باللغات الانجليزية والفرنسية والفارسية والألمانية .

فى أحد المؤتمرات الصحفية مع رجال الاعلام ، كان السادات يتحدث عن كتابات توفيق الحكيم ، وفوجىء الحاضرون بالرئيس يتحدث عن أحد كتب الحكيم ، ويقول انه قرأ الكتاب باللغة العربية ، ثم قرأ الترجمة الفرنسية أيضا ، وحفظ بعض نصوصها ، التى ألقاها على الحاضرين فى نطق فرنسى رفيع ، وقبل ذلك ألقى أبياتا من الشعر الفارسى فى أحد المؤتمرات ، كما تحدث الى رجال الاعلام الذين رافقوا المستشار الألمانى السابق (فيلى برانت) أثناء زيارته لمصر فى مارس ١٩٧٤ ، باللغة الألمانية .

وقد لاحظ كثيرون من المراسلين الأجانب أن السادات يمسك بين يديه كتابا على الدوام عندما كانوا يذهبون اليه لاجراء الأحاديث الصحفية معه ، وهو ليس فى حاجة الى تعريف الناس

بقراءاته ، فقد مارس الصناعة المرتبطة بالورق والكتاب ، وهى صناعة الصحافة ، وكتب المقالات وألف الكتب ، منـذ بدايات حياته ، وعرف اسمه على صدور الصحف والمجلات قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كأحد الكتاب .

وعندما قامت الثورة كان هو الذى ألقى بيانها من الاذاعة فى الصباح الباكر .

وبعد القاء البيان بدأ يقوم بالعمل الصحفى ، فنشر هذا البيان فى الصحف ، وجلس يمارس هذا العمل فى مكتب (أنور حبيب) مدير المطبوعات فى ذلك الوقت ، ووكيل النيابة الذى وقف يدافع عنه فى احدى القضايا السياسية منذ سنوات قليلة قبل ثورة يوليو ، ثم جمعتهما المصادفة فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، عندما تحققت النبوءة القائلة بأن مصر لا تقهر مهما اشتد ظلم الظالمين .

منذ اللحظة الأولى للثورة كان السادات هو الناطق باسمها . فسمع الناس صوته فى الاذاعة ولم يعرفوا من هو صاحب الصوت ، مع أنه كان الضابط الوحيد فى مجلس قيادة الثورة الذى تعرفه الجماهير فى مصر ، ثم عرفوه فى نفس اليـوم الذى ألقى فيـه البيان .

شجاع وطيب ، هذا الرجل الذى تصدى لالقـاء أول كلمة لثورة يوليو .

لقد دخل الحياة عن طريق الفكر ، وظل الفكر يلازمه طوال

حياته قبل الثورة وبعد الثورة حتى شاءت ارادة الله أن يتولى رياسة الجمهورية .

ومنذ يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يتول السادات منصبا تنفيذيا أو وظيفة من وظائف السلطة ، وكان المنصب الوزارى الوحيد الذى تولاه هو منصب (وزير الدولة) فى عام ١٩٥٤ ، وهو منصب بلا سلطة ، وقد ظل يشغله شهورا قليلة ، ثم خرج منه للحياة الحرة .

هذه الظاهرة فى مصر غريبة ، أكثر من غرابتها فى مختلف بلاد العالم ، فان الرجال الذين يتصدون للخدمة العامة فى أى بلد من بلاد الدنيا ، يحاربون من أجل الوصول الى السلطة .

أما فى مصر فانه من المتعارف عليه أن يسعى الرجال الذين يمارسون العمل السياسى نحو السلطة .

وهذه النظرية لا عيب فيها ولا خطأ ، لأن أصحاب المبادىء والأفكار والاتجاهات السياسية والاجتماعية والايديولوجية يريدون تحقيق أهدافهم عن طريق ممارسة السلطة .

لماذا أخطأت هذه النظرية مع السادات ؟

شاءت له ارادة الله أن يظل شعلة مضيئة ، ولينصهر مع الجماهير ، ويحقق بالفكر أكثر وأكثر مما يمكن تحقيقه بالسلطة .

القلم أعز شىء عنده .

وليس من قبيل المصادفة أن يجلس على مقعده فى بعض المؤتمرات ، ثم ترى يده تمتد الى قلم أمامه يتمسك به ، عندما يبدأ الحديث ، ويظل القلم بين أنامله وكأنه لا يستطيع الكلام دون أن يمس هذا الخشب الرخيص الذى يصنع المعجزات .

العازف لنشيد الحرية وفى يده قلم .

السيمفونية الخالدة لا تتم بغير تلك الأنامل التى تحرك الأوتار عن طريق خشبة أو ريشة تحرك نغم العود والكمان ، أو ظفر من المعدن يحرك أوتار القانون .

فى البدء كانت الكلمة ، وفى النهاية كانت اقرأ .. وسبحان خالق الأكوان .

وماذا قرأ السادات ؟

لا أحد يستطيع أن يعلم ، فان هذه الشخصية لا يكفيها ما يقال دائما للزعماء .. ماذا قرأت ؟ ما هو الكتاب الذى أثر فى حياتك ؟ من هو الكاتب أو المفكر الذى تراه نموذجا أعلا فى الحياة ؟

كل هذه الأسئلة الساذجة لا يمكن أن تصل الى أعماق هذا الرجل .

لقد قرأ ولا زال يقرأ كل شىء .

انه لم يصل الى القمة فجأة بغير مقدمات ، ولكنه مشى على الشوك خلال أخطر فترة من فترات تاريخ مصر .

مشى على الشوك وفى يده كتاب ..

تجرع مرارة الدنيا وفى يده كتاب ..

ابتسم ، وغضب ، وصبر وصابر ، ونام على الحرير وعلى الأرض ، واستيقظ مع أحلام الورد وأحلام المعتقلات والسجون .. وفى يده كتاب ..

هناك مثل قديم يقول : خير أنيس فى الحياة كتاب أو خير جليس فى الحياة كتاب .. وقد جمع السادات بين الأنيس والجليس خلال حياته ، فعشق الكتب ، وتحدث عنها ، وألفها ، وبلغ من عشقه لها أنه طلب الاهتمام بالكتب التى يؤلفها المؤلفون عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وخلال فترة انصهار شخصيته منذ كان طالبا فى مدرسة فؤاد الأول الثانوية حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ظلت الكتب معه ، ولا زالت معه حتى اليوم ، وعن طريقها تكونت جذور ثقافته الواسعة .

ولكن كيف تكونت هذه الشخصية الفريدة ؟

بين فبراير ١٩٣٨ ويوليو ١٩٥٢ عبر السادات رحلة الانصهار الشاق العسير .

وقد بدأت حياته الرسمية فى فبراير ١٩٣٨ بعد تخرجه فى الكلية الحربية برتبة ملازم ثان ، وألحق بالأورطة الرابعة مشاة

بمنطقة المكس بالاسكندرية ، وفى يوليو من نفس العام نقل الى منقباد وظل هناك حتى يوم أول أكتوبر ١٩٣٩ ، حيث نقل الى سلاح الاشارة بمنطقة المعادى وهناك رقى الى رتبة ملازم أول فى أوائل عام ١٩٤٠ ، ونقل فى أغسطس ١٩٤٠ الى الصحراء الغربية بمرسى مطروح ، ثم عاد الى المعادى فى أول سبتمبر ١٩٤٠ ، وظل يعمل بها حتى ابريل عام ١٩٤١ .

وبعد ذلك نقل مرة أخرى الى الصحراء الغربية فى ٢٥ ابريل ١٩٤١ ، وظل يعمل بها حتى ٢٧ يونيو من نفس العام ، عندما ألحق بسلاح الحدود ، وعين فى كتيبة اشارة السلاح بالجبل الأصفر حتى يوم ٧ أكتوبر ١٩٤٢ ، ومنذ هذا اليوم ترك خدمة الجيش ، وظل مبعدا عنه حتى يوم ١٥ يناير ١٩٥٠ ، فأعيد الى الخدمة برتبة يوزباشى وألحق بسلاح الاشارة بالقاهرة ، وخلال فترة خدمته فى هذا السلاح دخل امتحانين للترقى واجتازهما بنجاح ، ورقى الى رتبة صاغ فى ٢٣ سبتمبر ١٩٥٠ .

وقبل ترقيته الى هذه الرتبة ، كان قد نقل الى القنطرة ، وظل بها حتى ١٠ أكتوبر ١٩٥٠ ، ثم نقل الى العريش وبقى بها حتى نهاية مارس ١٩٥١ ، وبعد ذلك نقل الى رفح فى ابريل ١٩٥١ ، وهناك رقى الى رتبة البكباشى فى ٦ مايو ١٩٥١ وظل فى رفح حتى يوم ٢١ يوليو ١٩٥٢ عندما عاد الى القاهرة ليبدأ صفحة جديدة من صفحات التاريخ المصرى .

هذه المرحلة من حياة السادات بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٥٢ هى مرحلة انصهار الشخصية ، والتاريخ الرسمى الذى قدمته اليك هو تاريخ حياة ضابط فى الجيش المصرى من واقع ملفه العسكرى وقد جاء فى التقارير السرية التى كتبها عنه رؤساؤه فى الجيش بعض الملاحظات التى وضحت شخصيته ، وجاء فى آخر تقرير كتب عنه فى عام ١٩٥٢ :

« ان البكباشى محمد أنور السادات شخصية بارزة أبرز صفاته الوفاء والأمانة والرجولة . موضع ثقة ومحبوب جدا من مرءوسيه . نجح نجاحا تاما فى عمله . وحصل على ثناء قائد الفرقة » .

وكانت التقارير السابقة تشير دائما الى : ضابط مؤدب هادىء الطباع متين الأخلاق حسن المظهر والهندام .

كما أشارت الى كفاءته الفنية والعسكرية التى توجب التقدير .

ونحن لا نتحدث عن هذه التقارير الا لنستشف منها بعض عناصر تكوين الشخصية ، والصفات التى ذكرتها هى فى جملتها صفات واضحة ومعروفة ، وقد نشأت مع السادات منذ طفولته ، ولكن توضيحها خلال فترة نضاله وصراعه ضد القوى الطاغية ، هو الذى يلفت النظر الى جانب هام من جوانب الشخصية ، فان

السادات ظل على مبادئه ، ولم يمكن رؤساءه من الاساءة اليه فى تقرير سرى واحد ، رغم أنه أبعد من الجيش فى ٨ أكتوبر ١٩٤٢ بدون تحقيق أو محاكمة مما لم يحدث فى الجيش من قبل ، وكان صاحب نشاط سياسى معروف ، ومطاردات من البوليس أدت به الى السجون والمعتقلات .

لقد بدأ يخطو خطواته الأولى نحو مستقبل مجهول فى عام ١٩٤٠ ، وبعد تخرجه فى الكلية الحربية بعامين اثنين . وكان يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاما ، وهى سن الشباب الباكر الذى يفكر فى متع الحياة .

وبدأت هذه الخطوات الأولى فى عيادة طبيب بالقاهرة ، حيث قابل السادات مع الفريق عزيز المصرى لأول مرة فى ذلك اليوم الذى لا ينساه وسجل بيده ما دار فيه من حديث فقال :

« فى الدقائق الأولى كان عزيز المصرى يحدثنى حديث رفيق الجهاد .. كان يائسا من الحكومات ، يائسا من الأحزاب ، يائسا من الملك ، يائسا من البرلمان ، ولكنه كان مؤمنا بالشباب » .

وقال لى :

— عيب هذا البلد أنه ضعيف ، وأنه لا يجد العناصر التى تغذيه بالقوة ..

وسألته :

— كيف نأتى بهذه القوة ؟ ..
فنظر الى وقال :
— أنتم شـباب الجيش .. ماذا تنتظـرون ، ومتى تعـرفون مسئوليتكم الحقيقية ، ومتى تبدءون فى الاضطلاع بها ؟
وعدت أسأله :
— وهل تظن أننا فى داخل الأوضاع القائمة نسـتطيع اليـوم شيئا ؟ ..
فأجاب وقد انتفض :
— تستطيعـون كل شيء .. وغيركم لا يستطيع شيئا .. ماذا تنتظرون ؟ .. تنتظرون توجيها منى ، من لواءاتكم من حكام البلاد ؟ ..
وسكت وهو يتمتم : كلام فارغ ! ..
ثم نظر الى فى عزيمة شابة وقال :
— لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره فقط .. كان مثلك هكذا شابا يافعا .. ولكنه استطاع أن يكون فى تلك السن المبكرة نابليون القائد . واستطاع أن يقود بلاده وجيشه ولم يكن يتلقى توجيها من أحد .
وبعد لحظات قال فى عمق :
— التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته

هو الايمان الذى كان ينبعث من نفسه .. فابحثوا عن الايمان ولا تعتمدوا أبدا على أحد .. الا على أنفسكم ..

وكان لكلمة الايمان فى نفسى رنين خاص عميق .. فقد كنت أنا أيضا أبحث عن الايمان ، وأومن فى الوقت نفسه بأنه المخرج الوحيد لنا من الحيرة التى كان المصريون جميعا يعيشون فيها فلا يكادون يقدمون حتى يحجموا .. تيئسهم الحسرات ، وترعبهم المخاوف .

ورغم هذا فقد قلت له :

— لقد عشت أنت مؤمنا بهدفك وعشت لا تعتمد على أحد .. وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى .. ونحن نريد أن نعمل ..

فقاطعنى بقوله :

— اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم وايمانكم .. والذى يستطيع أن يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك والذى يستطيع أن يقصيه عن توجيه الجيش ، لا يستطيع أن يقصى شباب الجيش عنه .

ويستمر السادات فى الحديث عن عزيز المصرى قائلا :

كان الرجل يتكلم بانفعال شديد ، حتى كاد يغلبنى البكاء .. ولكنه عاد الى طبيعته الواثقة .. وقال لى :

— ان كان معك خمسة أفراد مؤمنين ، فانى على استعداد اليوم أن أحمل طبنجتى ، وأتقدمكم لأى عمل لانقاذ البلد ..

وعندما هممت بالانصراف ، شعر عزيز المصرى بالمسئولية التى وضعها فوق كتفى .. فقال مؤكدا :

— لن يكون خلاص للبلد الا بانقلاب على أيدى العسكريين ..
ونظر فى عينى طويلا ، ، وأنا أصافحه .. ولم يقل بعد ذلك شيئا ..

ولكنى عندما خرجت من عنده ، كانت رسالتنا قد تحددت ، كهدف بعيد نستطيع أن نراه بأعيننا ، وان كنا لا نتبين الطريق اليه ..

واشتبكت حياة السادات بحياة عزيز المصرى . الذى كان طرفا من أطراف أول مشكلة واجهت السادات فى مرحلة انصهار شخصيته ، واتهم مع زميله حسن عزت فى عام ١٩٤٢ بتهمة الاتصال بجواسيس الأعداء ، لأنهما كانا على صلة بشخصين من الألمان ، وكانا قد قدما هذين الألمانيين لعزيز المصرى ، وكانا يطلقان عليه لقب (الزعيم) ، وكان السادات هو أيضا الذى أخبر (عزيز المصرى) بنبأ القبض عليهما .. ثم وقع السادات فى فخ المخابرات البريطانية ، وصدر قرار بمحاكمته هو وزميله أمام مجلس عسكرى ، ويروى السادات قصة المحاكمة فيقول :

« وظهرت لى الحقيقة كاملة عندما علمت بعد ذلك ، أن

الجاسوسين قد أمسكا عن الكلام يوما كاملا ، ثم حملتهما المخابرات البريطانية حملا الى مستر تشرشل وكان يزور مصر فى ذلك الوقت ، فلما مثلا أمامه ، وعدهما بحياتهما ان اعترفا بكل شىء ..

واختار الجاسوسان بين الموت والحياة .. فاعترفا اعترافا كاملا ، وجاءا بى وبحسن عزت الى السجن !

كان المجلس مكونا من ثلاثة من ضباط المخابرات المصرية ، وانجليزيين أحدهما برتبة ميجر ، واسمه جنكينز ، والثانى برتبة كابتن واسمه سمبسون من ضباط قلم المخابرات البريطانية وضابط من البوليس المصرى ..

وقد لا تهم القارىء تفاصيل المحاكمة ..

فقد كان أهم ما فيها اعتراضنا على أن نحاكم كضباط مصريين أمام ضباط انجليز ، ولو كانوا مخولين هذه السلطة من وزير الدفاع حينئذ حمدى سيف النصر ، ومن رئيس الحكومة نفسه مصطفى النحاس !

بل لقد كان هذا التصرف من وزير الدفاع المصرى ، ومن رئيس الحكومة المصرية ، هو الخنجر الأول الذى طعنا به فى ذلك اليوم ..

ولم يستطع المجلس العسكرى أن يحصل منا على شىء .. لا اعترافات ولا اجابات ..

لا شىء الا الاحتجاج العنيف .. ونظرات الاحتقار ..

وتقرر وضعنا تحت الايقاف .. ثم طردنا من الجيش فى ٨ أكتوبر ١٩٤٢ .. أى بعد حادث ٤ فبراير بثمانية أشهر فقط ..

ولم نكد نبرح مكاننا من الجيش ، حتى تسلمتنا السلطات المدنية ، فحملتنا الى سجن الأجانب ثم رحلتنا الى معتقل المنيا .. »

واشتد التصاق أنور السادات بشخصية عزيز المصرى ، ورأى فيه رجلا اذا صمم على شىء لا تستطيع قوة أن توقفه عن المضى فيه ، ووصفه قائلا :

« للفريق عزيز المصرى طبيعة النزعة الى التحرر من كل قيد ، وشخصيته المستقلة دائما ، وطريقته فى تربية ضباطه وأبنائه على الاستقلال بالرأى وقوة الشخصية .. والعمل بالارادة » .

كما روى عن عزيز المصرى قوله لمريديه :

« اقرأوا .. اقرأوا كل كتاب .. اقرأوا فى السياسة ومذاهبها والاقتصاد وفنونه ، والاجتماع وأبوابه .. اقرأوا وأضيئوا فى رؤوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها لكى يضاء لا لكى يهمل ويهال عليه التراب ..

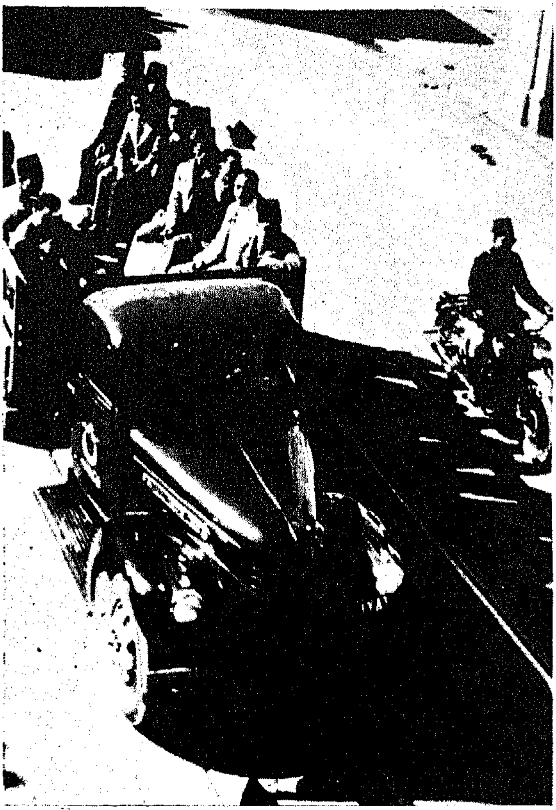
اقرأوا .. ثم اضربوا فى الأرض .. واعرفوا الناس ، وجربوا

بأنفسكم كل شيء .. ولا تتقيدوا بدعوة ولا بزعيم .. ولا تربطوا أنفسكم برأي ، قد ترون غيره غدا اذا ما استنارت بالعلم رءوسكم » .

وكانت المكتبة في المعتقل هي المكان المفضل دائما للسادات ، وكان البحث عن الصحف والجرائد والقلم والورق هو شغله الشاغل .

ثم كان الحدث الهام الذى صهر شخصية السادات خلال فترة انفصاله عن الجيش بين أكتوبر ١٩٤٢ ويناير ١٩٥٠ . عندما اتهم في قضية مقتل أمين عثمان عام ١٩٤٦ وحكم ببراءته ، وقد كتب مذكرات الفترة التى قضاها فى السجن ، ونشرت فى مجلة المصور عام ١٩٤٨ تحت عنوان (٣٠ شهرا فى السجن بقلم اليوزباشى أنور السادات) ، وقدمت المجلة كاتب المذكرات فقالت :

« اليوزباشى محمد أنور السادات هو أحد المتهمين فى قضية الاغتيالات السياسية ، وقد حكم ببراءته . وهو أقوى المتهمين شخصية وأكبرهم عمرا وأكثرهم ثقافة وتجربة . وكان قد عكف أيام سجنه على تدوين مذكرات تصور الحياة داخل السجن أصدق تصوير » .





السادات عندما كان طالبا فى الكلية الحربية

مع زملائه فى طريقهم الى السجن



أثناء محاكمته فى قضيه أمين عثمان



فى الايام الاولى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢



يتلو القسم امام مجلس الشعب بعد توليه رياسه الجمهوريه



جماهير الشعب المصرى تعبر عن فرحتها



بانتخاب السادات رئيسا للجمهوريه

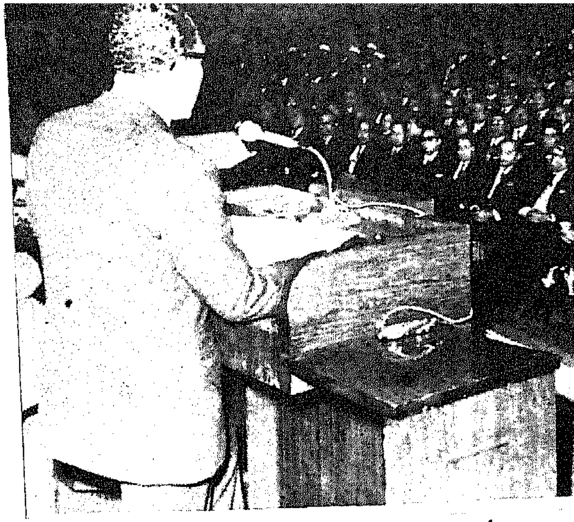


السادات يحرق اشرطة التسجيل فى فناء
وزارة الداخلية بعد حركة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١



رجال الشرطة يؤيدون حركة التصـــحيح فى ١٥ مايــو ١٩٧١





لقـــاء مــع اســاتذة الجامعات



فرح وبشرى مع ابنائه
الطلبة .. رجال المســتقبل



مناقشـــات مع بعض أعضـــــاء مجلس الشعب

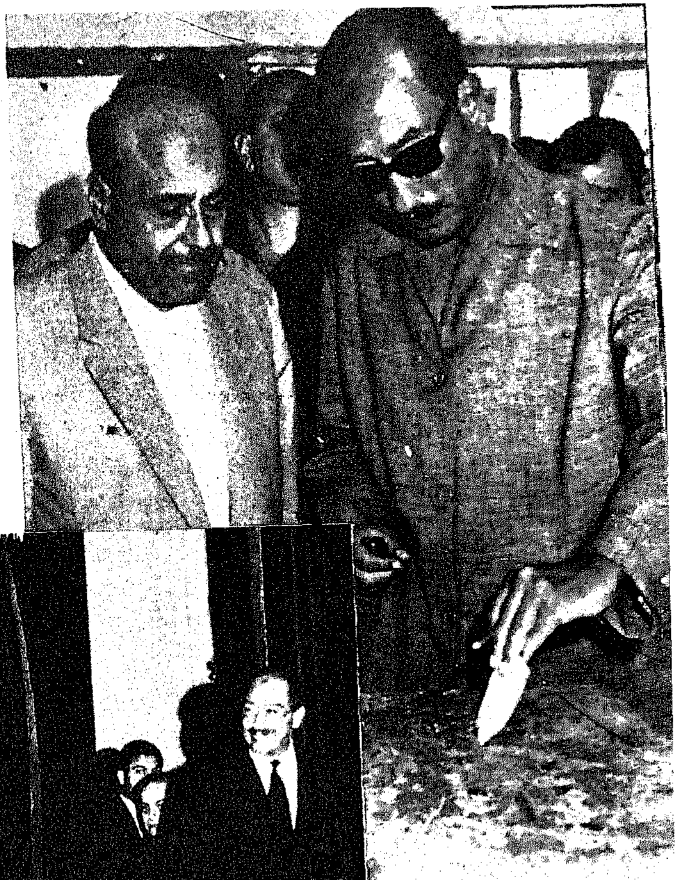


مع احدى الفلاحات فى قريته (ميت أبو الكوم)





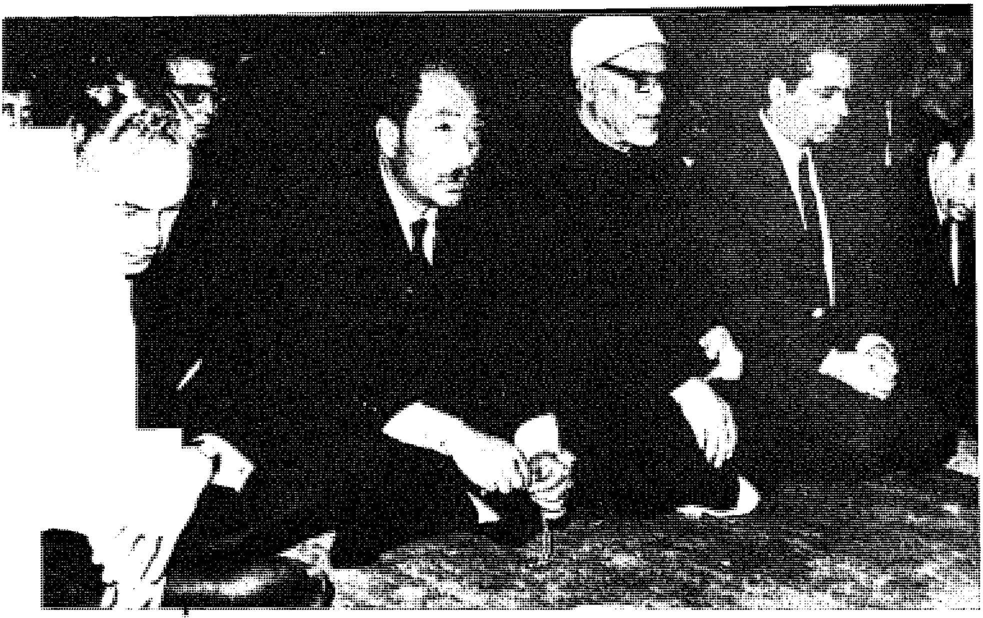
الفلاحـــون والعمـــال فى القـريه
يأخذونه بالاحضـــــان دائمـــــا



الرئيس يدلى بصـــو
فى الانتخابات فى قريتـ
ميت أبـــو الـــكوم



فى طريقه الى منصه
مجلس الشـــعب
وسـط التصـــفيق
والفـــرح باللقاء ..

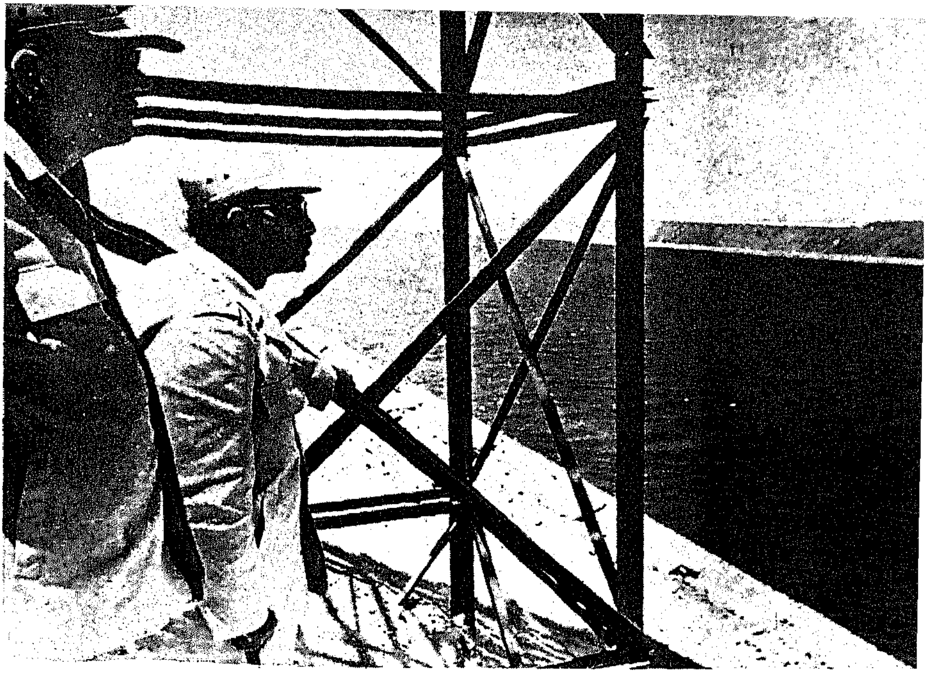


الرئيس المؤمن يؤدى الصلاه فى المسجد



لقاء مع قداسة بطريرك الاقباط الارثوذكس







مع الجنود
فى جبهة القتال

حديث مع
القادة العسكريين



وسام من يده الى مقاتل جريح



حرم الرئيس تضع بيدها اساس البنـــاء لمدينة الوفاء والامل



ام الابطـــــال الســــــيده جيهان السادات تواسى الجرحى

ويقول السادات فى هذه المذكرات النادرة :

الجمعة ١٨ يناير ١٩٤٦ :

دخلت أمس سجن الأجانب بعد منتصف الليل بعد أن عدت من سراى النيابة ((ها هو ذا سجن الأجانب يضمنى ثانية بعد أن كنت نسيته تماما)) اذ أن آخر ذكريات لى فيه انتقلت الى ركن بعيد من ذاكرتى ، ولكننى ارانى الآن أستعيدها كما لو كانت بالأمس .. فها هى ذى الغرفة رقم ٢٨ التى كنت أسكنها . وقد نقلت الى السجن فى شهر سبتمبر ١٩٤٤ ، على أثر مشادة بينى وبين ادارة المعتقل بالزيتون ، تمهيدا لترحيلى الى الطور كما ارتأى الحاكم العسكرى وقتذاك .

اننى أذكر جيدا الآن كيف جاهدنا لنجعل اقامتنا هنا محتملة وأذكر أيضا ذلك اليوم الذى أعلنت فيه بالسفر الى ((الطور)) ، وكيف نقل أحد زملائنا الى سجن التخشيبة وبقيت فى انتظار موعد قدوم الطوافة التى ستقلنا الى الطور اذ أن رحلتها كانت شهرية ، وأحضروا لنا طعام الرحلة من المتعهد لكى نحمله فى سفرنا وهو عبارة عن بقسماط ناشف ، وجبن ، وحلاوة .

كما انى ما أزال أذكر أنه قدر لهذه الرحلة ألا تتم ، فقد تدخل الانجليز فى عدم اتمامها ولهذا التدخل قصة طريفة : فقد كان رجال المخابرات البريطانية دائمى التردد على سجن الأجانب بشأن قضاياهم وذات يوم حضر الى السجن المدعو الميجور سمبسون من قلم الجاسوسية البريطانية فى الشرق الأوسط فقابل

مصادفة زميلا لى وهو فى الزيارة بغرفة المأمور ، وسأله عن سبب وجـوده فى سجن الأجانب فأخبره بوجودنا جميعا ، تمهيدا لترحيلنا الى الطور ، فثـار سمبسون ثورة هائلة لأننا كنا معتقلين على ذمة تصرف السـلطة البريطانية فى أمرنا ؟ : ثم أعطى زميلى وعدا قاطعا بالغاء هذا الترحيل وعودتنـا للمعتقل ، وكانت السـفارة البريطانية مصدر السلطات حقيقة وقتـذاك ، فانه لم يمض يوم واحد على زيارة سمبسون المذكور حتى ألغى الحـاكم العسكرى أمره بترحيلنـا للطور وعدنا الى المعتقل فى عهد خلفه .

وما زلت أذكر كيف دفعنى الفضول لا ستقصى سر ((سمبسون)) هذا ، فعلمت أنه كان موظفا فى شركة تأمين انجليزية كبرى فى القاهرة قبل قيـام الحرب بزمن طويل ، وكان يعمل فى قلم المخابرات البريطانية فى نفس الوقت ، فلما أعلنت الحرب جنـد رئيسا لقـلم الجاسوسـية فى القاهرة برتبـة كابتن ، وكانت مدة خدمته السابقة كفيلة بأن تجعله يجيد العربية بجميع لهجاتهـا (بحكم الصنعة) ويتغلغل فى جميع الأوساط ويقف على جميع الاتجاهات ((ولم تستطع الامبراطورية العجوز أن تستغنى عن خدماته بعد الحرب فهو يشغل الآن وظيفة دبلوماسية فى السفارة البريطانية .. ترى ما هى حقيقة العمل الذى يؤديه الآن)) ؟

ان الذكريات تتدافع الى رأسى فى كل اتجاه وكأنما تتوالى حوادثها فى تشويش واضطراب لقد نسيت اننى الآن متهم فى قضية أمين عثمان باشا .

اننى أرى جو السجن رهيبا بخلاف ما عهدته الا

اننى أعتقد أن الوضع سيكون على أية حال أحسن ، فلست الآن تحت الأحكام العرفية كما كان الحال فى المرة السابقة ولعل وجودى على ذمة النيابة يكون خيرا من وجودى على ذمة الحاكم العسكرى المفضال .

الأحد ٢٠ يناير ١٩٤٦ :

مضى على الآن ثلاثة أيام وأنا أنام ببدلتى ، فقد نقلونى الى هنا مساء الخميس السابق بدون أن يحضروا ملابسى وحاجاتى من سجن مصر حيث كنت .. هذا برغم أننى شكوت شفويا ثلاث مرات فى الأيام السابقة لمأمور السجن .

اننى الاحظ تغيرا شديدا فى معاملة المأمور لى بالنسبة للمعاملة التى لقيتها منه المرة السابقة فهو يحيلنى دائما على رئيس القلم السياسى الذى أخفقت فى محاولة الاتصال به .. لذلك كتبت خطابا شديد اللهجة الى النائب العام فى شأن هذا الاهمال ، وتركى بدون ملابسى أو حتى صابونه لأغتسل .. وقد سبب لى النوم بالبدلة التهابا شديدا فى فخذى .

الاثنين ٢١ يناير ١٩٤٦ :

يظهر أن خطابى للنائب العام أحدث أثرا ، فقد أحضر لى مأمور السجن ملابسى ، وكذا أحضر الصابون .

الفسحة فى السجن معدومة ، وأكاد اقضى الأربع والعشرين ساعة فى الغرفة ، وهى مظلمة وشديدة الرطوبة لأنها فى الدور الأول على سطح الأرض .. ولما طلبت تفسير ذلك من هيكمان هز رأسه ولم يجب .

٢٢ يناير ١٩٤٦ :

أصبحت الحالة لا تطاق ــ فلم يسمح لى الضابط النوبتجى اليوم بالتوجه الى دورة الميــــاه فى الصباح كالمعتاد وعبثا حاولت التفاهم معــه ، ولم ينقذ الموقف الا نزول هيكمان من منزله فسمح لى بأن أقضى حاجتى وأتوضــأ ..

وقد كتبت للنائب العــــام مرة ثانية أعلمه بهذه المعاملة الشاذة ، فطلبنى وكيل النيـــابة عند الظهــر وأثبت شكواى ، وخاصـــة فيما يختص بالســـماح لى بالقراءة ولكنـــه ، سامحه الله لم يسمح لى بشىء حتى ولا بالمصحف الشريف .

٢٧ يناير ١٩٤٦ :

خرجت اليوم للفسحـــة فقابلنى شاب أخبرنى أنه صحفى معتقل ، على ذمـــة قضية صحفيـــة ، وأخــذ يحدثنى عن قضيته ثم تدرج الى التحدث عن السياسة والانجليز والذين يتعاونون معهم وكيف أن الكفاح الحق يجب أن يتجه أولا الى القضـــــاء على هذه الفئـــة من المصريين لأنها طابور خامس يكمن فى ظهر البلد ..... الخ : وكنت طوال الوقت أقوم بدور المستمع ، ثم سكت ((الصحفى)) قليلا وعاد يخبرنى أن الغرفة التى أسكنها وهى رقم ٦ كان يسكنهــا فى وقت من الأوقات شفيق منصور الذى أعــدم فى قضية اغتيـــال السردار وكيف تمكن البوليس والنيابة من أخذ الاعترافات منه ، فقال انهم لم يكونوا يسمحون له بالنوم ، ثم يأخــــذونه فى ساعة الفجرية وهى ساعة (النومة الحــلوة) فى عربة حنطور ويمشون بها على النيل ويأمرون شفيق منصور

بالوقوف طول الوقت ، حتى اذا أخـــذته سنة النوم ايقظته أسنان ســـناكي المرافقين له ، وبذلك وبطرق أخرى (لم يوضحهـا) تحطمت أعصـاب المتهم وأدلى باعترافــه .

وعاد الصحفى الى السكوت فترة أخرى وهو ناظر الى فى اشفاق ، ثم قال لى أنه علم من أحد العســاكر السجانين أن الغرفة رقم ٢ (وهى مقفلة دائما ويسدل خلف بابها ستار سميك بخلاف جميع غرف السجن) تحوى سرا غريبا ، وهو أن بها آلات وأجهزة تركب على الجهاز التنفسى للانسان وعلى رأسه ليصبح فى غيبوبة ، يدلى فيها بكل ما فى قلبه من أسرار يحرص على اخفائها وهو فى حالتــه الطبيعية ولاحظ صاحبنا أننى لا أتكلم مطلقا وأكتفى بأن أظهر له علامات عجبى من آن لآخر ، فسألنى لماذا لا أتكلم وأخبره بالحقيقــة عله يتمكن من مساعدتى قانونيا ، فقلت به بهدوء ((أنت بتمسك كام ساعة نوبتجيـــة)) فرد على الفور بدون تفكير : ((١٢ ساعة)) ثم احمر وجهه وأدرك خطأه فقام فى الحـال وتركنى .. وحضر الى السجـان يعنفنى لأننى تأخرت فى الطـابور ويأمرنى بالذهاب الى غرفتى فقمت وأنا اضحك فى كمى .

٣٠ يناير ١٩٤٦ :

حدث فى الساعة الثالثة من صباح اليوم مشــهد مسرحى رائع فقد استيقظت فى الساعة الثانية صباحا على صرير فتح القفل ودفع المزلاج بشدة للخلف ثم دخل ضـابط القسم الســياسى وطلب الى أن ألبس لأننى مطلوب للتحقيق ، فقمت من تحت البطاطين على السرير

لأنتظر ما يقرب من ساعة فى جو هو الثلج تماما ، ثم عاد الضابط وقادنى الى الطرقة الخارجيـة حيث وجدت ثلاثة شبان ينتفضون من شدة البرد مثلى ، وكان أول اثر انطبع فى ذهنى عند رؤيتهم أنهم طلاب فى الابتدائى او على الأكثر فى أوائل الثـانوى ـ وأمرت أن أقف مع هؤلاء الأولاد ولكن بعيـــدا قليلا ، بحيث يفصل بينى وبينهم ضابطان بالقسم السياسى وظللنا صامتين فترة ولدت فى نفسى ، بالاشـــتراك مع ســكون الليل وبرد الساعة الشديد قلقا شديدا .. وأردت أن أحول فكرى عن هذا القلق فتوجهت بالحديث الى أحـد الضباطين ولكنه رد بخشونة طالبا الى السكوت الآن « البك وكيل النيابة » فى الطريق فزادت هذه المعـــاملة من توجسى وصمت فترة قد تكون قصيرة ولكن خيل الى انها أيام ثم خرج الينا وكيل النيـابة ونحن فى موقفنـا هذا ، ورأيته أول ما رأيته يزيح ستارة الغرفة رقم ٢ الخضراء ويقف قليلا حيث انعكس عليه ضوء الغرفة ثم تقـدم الينا فى خطوات ثقيلة وبدأ بالثلاثة الصغار فتفرس فى وجوى وفى لهجة عميقة سألنا من منكم يعرف الآخر ؟ فتعرف احد الشـبان الثلاثة على الاثنين الباقين وهو ينتفض ولم يتعرف على أحد ، ثم كرر هذا الأمر ثانية مشـيرا الى بشكل ذكرنى « بأبى حجـاج » وهو يمثل رجل الساعة فى برنتانيا ـ ولكن لم يتعرف على أحـد فامر باعادتى الى غرفتى حيث لم أنم الى الصباح .

٣١ يناير ١٩٤٦ :

تكرر نفس المشهد التمثيلى فى الساعات الأولى من صباح اليوم ، ولكن بثلاثة وجوه جديدة « بدأت أشعر

بتعب وارهاق عصبى شديد لذلك أرسلت للنائب العام تلغرافا أستنجد به وأطلب مقابلته بحضور محامى)) •

٢ فبراير ١٩٤٦ :

استدعانى اليوم وكيل النيابة ظهرا وكان بيده التلغراف وحقق معى بشأنه فرفضت الادلاء بسبب ارساله الا بحضور المحامى ، سواء أمام النائب العام أو أمام المحقق ، ولما أعلمنى باستحالة ذلك لسرية التحقيق أجلت الادلاء بما أريد الى فرصة أخرى •

٥ فبراير ١٩٤٦ :

تحسنت معاملتى نسبيا ، واتضح رسميا أن صاحبنا (الصحفى) اياه لم يكن سوى أحد أعوان البوليس السياسى أو أحد (العملاء المغررين) بالتعبير الفنى ، وكان يتحاشى مقابلتى عند خروجى للفسحة الأسيفة وهى عشر دقائق طول اليوم زيدت عشرا أخرى وسمح لى بقراءة المقطم والأهرام والمصور ، ولكن لم يسمح لى بالكتب ولا باستحضار أكل من الخارج ، فى حين أنهم يصرحون لباقى المتهمين بكل شىء •

٨ فبراير ١٩٤٦ :

حدث أن خرجت من غرفتى الى دورة المياه اليوم ظهرا فوجدت العسكرى المراسلة يدخل الغرفة رقم ٢ ومعه لفة كباب وكفته ولما سألت قيل لى أنه سجين هذه الغرفة هو وسته آخرون وانهم يأكلون ما يشاءون فثرت ولم أدخل الغرفة الا عندما حضر المأمور — وكان قد تعين مأمور مصرى فى هذه الفترة — فتكلمت معه

بفلطة ، كان من نتيجتها أن سمح لى بعد جهــد بالأكل على حســابى .

١٤ فبراير ١٩٤٦ :

استمعت الى أنغـــام موسيقية آتيــة من بعيد ، لا أدرى من أين . ربما راديو .. اننى أعشق الموسيقى بكل جوارحى ، وأكثر من ذلك فهى تضفى على هـــذا الجو الرهيب لونا خفيفا طليا من الجمال الذى يرتفع بالنفس الى آفاق الروح فينسى الانسان الزمان والمكان والأشـــياء .

١٧ فبراير ١٩٤٦ :

طلعت علينـــا جريدة (المقطم) وفيها خبر نقل ((كلين)) من مصر ولما كنت أبغض هذا المخلوق الذى داس كرامة مصر كلهـا ، فقد صممت على أن احتفـل بهذه المناسبة بقدر ما اتمكن وأرسلت فى شراء دســتة جاتوه ووزعتها على السجانين .

أيام وليـــال فى سجن مصر

٣٠ يونيو ١٩٤٦ :

لقد مضى على منـــذ نقلت الى هذا السجن اربعـــة أشهر كاملة ، خلتها لشدة ما اكتنفها من ظلام اطـــول من أربعة أعوام .

ولطالما حاولت خلال تلك الفترة أن أسطر شيئا ، لعلى انفض بذلك عن صدرى ما يخيم عليـــه من الكآبة والجمود ، ولكن هيهات لى أن أجد القلم ، فان الأقلام هنا محظور وجودها ، وغرفتى وثيابى يفتشان بانتظام ودقة مرتين يوميا .. وان وجد القلم فلا يوجد الورق ، وحيازتى لورقة بيضاء جريمة أعاقب عليها واذا أراد الله أن أجمع بين ورقة وقلم وأحتفظ بهما بمنجــــاة من التفتيش انتظـــارا لليل ، كنت بذلك أغالـــط نفسى ، فالزنزانة التى تحتوينى مصممة بحيث لا ينفذ اليهـــا النور الا من كوة قرب السقف تسمح لضوء النهار فقط أن يغازل الغرفة أما فى الليل فيجب أن تقترن الوحـــدة بالظـــــلام .

لا سبيل الى الكتابة اذن ، ولا ســـبيل أيضـــا الى القـــراءة فقـــد منعت من استحضـــــار كتب أو قراءة الصحف ، وأصبحت ــ فى القـــــرن العشرين ــ اعيش عيشة حيوانية بحتة ، فى قفص من الحجر طوله ثلاث خطوات وعرضه خطوتان ، طيلة الأربع والعشرين ساعة

لا يقطعهـا الا صرير مفتاح الحارس عنـدما يفتح باب القفص ليقـــذف لى بالأكل ، ثم يعيـد القفل ثانية ، وهكـذا .

ولماذا ؟ لأنه يراد أن أقضى تلك الفترة القلقـــة فى سجن الأجانب على نحو من الفزع والرهبـة ثم تتلوها هذه الحقبة فى سجن مصر فى ظلمة واجداب ووحدة .

أن شر ما يصـــاب به انســـان ذو مثل عليا هو الانحطاط العقلى . فالقراءة والاطلاع الزم للفـرد من الطعام فى هذا العـالم الذى اتصل قاصيه بدانيـه ، ولكنهم هنا لا يؤمنون بذلك .

ولقد حاولت جاهدا خلال هذه الفترة أن أحتفظ بشىء من معنوياتى بعد أن فقدت كل أمل فى الانصاف والعدالة ، بل لا أكون مغاليا اذا اعترفت لنفسى صراحة باننى كدت أن أفقد توازنى وأن أشك فى كثير من القيم ولكن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده فقد أراد لى فى يوم من أيام شهر يونيو ١٩٤٦ أن تزاح هذه الغمة عن صـدرى فصـــدر أمر بتركيب الكهرباء فى الزنزانة فاضيئت ليـــلا وسمح لنـا بقراءة الكتب والصحف وبالأقلام والورق .

وهكذا بدأت الحياة تدب فى نفوســـنا من جديد وبدأت أفيق من ذلك الكابوس الكريه وكأنمـا اشرقت علينا الشمس بعد طول الظلام وطلع علينا أمل منعش بعد يأس مفجع ولا غرو فهى حيـــاة جديدة حتى ولو كانت داخل القضبان .

١٥ يوليو ١٩٤٦ :

استدعانى اليوم ضابط العنبر لكى يسلمنى ادوية وردت لى من الخارج وقد سمح لى بالجلوس نظرا للزمالة السابقة أخذنا نتجاذب أطراف الحديث فجأة سمعت عويلا وصراخا على الباب الخارجى للسجن ولما استفهمت قال لى فى بساطة ان مسجونا توفى وان أهله فى انتظـار تسلمه .. وبعد فترة وجيزة خرجوا بالجثة من باب الوسط الذى فى مواجهتنا وقد تملكتنى رهبة لجلال الموت فشردت برهة لأفيق على زغاريد وغناء فى ناحية سجن النساء .

يا الهى كم فى هـذا المكان من متناقضـات تهز المشاعر هزا ؟

نظرت الى الضابط فى استفهام مرة أخرى ويظهر أنه لاحظ ما انتابنى فضحك قائلا ((انها سجينة نشالة)) لابد أن تكون قد وضعت مولودا وهذه زغاريد زميلاتها فى المستشفى يحيينها التحية المعتادة لمثل هذه المناسبة تفضـل انت لأننى ساذهب لأثبت المولود فى الايراد واحذف الميت فى الترحيل .

عدت الى غرفتى بانفعالات مشوشة .. ولكن أليست هذه سنة الحياة ايراد وترحيل ؟

٢٥ يوليـو ١٩٤٦ :

أهم ما يشغلنى فى الوقت الحاضر هو المفاوضات .. كثيرون منا يتنبأون بفشلها ، وآخرون يعترضون على مبدأ المفاوضة فى حد ذاته لنيل حقوق البلاد .. لذلك قررنا عقد مؤتمر من السجناء لمناقشة هذه المشـكلة وأن تظل المناقشات حولها حتى ينعقد المؤتمر .

٣١ يوليـــو ١٩٤٦ :

حدث اليوم عندما كنت عائدا من طابور الصباح ان مررت فى الطريق الى العنبر أمام المطبـخ واذا بأحـد المساجين يخرج مهـرولا الى ويمسـك بالبيجاما وهو يبكى .. وقفت فى مكانى ، الا أننى أدركت أن وجهـه مألوف لدى ولكننى لا أذكره ، وأخذت أهدىء من روعه وأسأله ما يريد ، فذكرنى بنفسه واتضح انه ((ابراهيم رضوان)) الذى كان جنديا وسائقا لسيارتى بالجيش.. وأخـذ يرجونى أن أتوسـط لدى الضـابط النوبتجى (مصمما على أننى ما زلت ضابطا) لأنه يخشى عقـابا معينـا .

٦ أغسطس ١٩٤٦ :

انعقد مؤتمر المفاوضات أمس واليوم .. هـــذه صورة سريعة لبعض ما دار فى الجلستين ، وهو أن يكن مطبوعا بطابع الشباب والاندفاع الا أنه فى اعتقادى صورة لما يعتمل فى صدر كل شاب مصرى فحقيقة اليوم هى أن الشباب فقد ثقته الى الأبد فى الحزبية وقادتهـا وكل محترفى السياسة .

وقد قلت فى ختام المناقشة : ان الحزبية قد فشلت فى بلادنا من نوع عاصر الاحتلال وأشرب فى قلبه الخوف والاستكانة ، وقد استغل الانجليز ذلك أبشع استغلال ؛ ورأينا أخيرا العجوز تشرشل يتكلم فى مجلسهم وكأن وطننا ارث اليه من جده الأيرل المحترم ، ورأينا من قبل ذلك المخاوق الوقح كيلرن يعجب حين علا صوت الجلاء ووحدة الوادى ، ظنا منه ان المطالبة بذلك جنون .

ان المسئول عن هذا الهوان الصارخ ، وهذا الاذلال المميت هو ذلك الجيل المتخاذل الذى لن يستطيع أن يموه طويلا فقد كشفه الشعب وفضحته الحوادث .. يجب أن ينتحى هذا الجيل فان من المستحيل أن تسير عقارب الساعة الى الوراء . وعلى الشباب وحده أن يعد نفسه ويتقدم للموت فذلك خير من أن يحيا حياة ذليلة .

٥ أكتوبر ١٩٤٦ :

وانتهت جلسات الاحالة وصدر الحكم باحالتى الى محكمة الجنايات لدور نوفمبر المقبل .

٢٥ ديسمبر ١٩٤٦ :

انه لغنى ذلك الذى يرى الحياة اكتشافا مستمرا .
ديهاميل

اليوم هو عيد ميلادى ــ لا ادرى لماذا تداعبنى خواطرى فى ابتهاج ونشوة .. فمنذ ثمانية وعشرين عاما خلت ، وفى مثل هذا اليوم ، كان مولدى الساذج فى تلك القرية الهادئة بالمنوفية .

سأذكر دائما بيئتى القروية الساذجة حيث تمتلىء النفوس بالايمان بالله وحيث يرجعون كل شىء الى الله ، فهناك تعلمت ان الله حى فى كل شىء وان العبرة بنقاء السريرة قبل العلانية .

سأذكر محصول الثمانية والعشرين عاما الماضية بفخر واعتزاز ، وسأسير مرفوع الرأس غير خاش أن يساء فهمى او يؤول قصدى .

اللهم حمدا وشكرا فأنت وحدك القوى المكين .

وقد روى (أنور حبيب) وكيل النيابة الذى ترافع فى القضية القصة الكاملة بعد سنوات لجريدة الأخبار ، فقال فى يناير ١٩٧١ :

« قدمت القضية الى قاضى الاحالة ، ثم الى محكمة الجنايات ، وكان ممثل النيابة فيها قد أعد مرافعته ، وفجأة طالب الدفاع بسؤاله كشاهد نفى فى تمثيل الاتهام بحكم من محكمة الجنايات ثم تولى الاتهام ممثل آخر للنيابة ما لبث أن أصيب بأزمة قلبية .. وتأجل نظر القضية وذات يوم استدعانى المرحوم الأستاذ محمود منصور النائب العام وكلفنى بالمرافعة .

وبدأت أقرأ التحقيق .. وعلمت أن من بين المتهمين أنور السادات .. ولم يكن غريبا على . فقد عرفته أو رأيته أيام ان كنا طلبة فى مدرسة فؤاد الأول .. لفت نظرى اليه ونحن طلبة ما يتسم به من رجولة وأدب واعتداد بنفسه . ثم بعد ذلك سمعت عنه كثيرا .. انه من المجاهدين وانه اتهم بمعاداته للانجليز وانه فصل من الجيش وان البوليس السياسى بطارده .. وفى يوم طلب مقابلتى وجاء الى حجرتى فقمت واستقبلته .. دخل غرفتى .. فى ثبات وفى هدوء ترتسم على وجهه معالم الرجولة والصرامة .. وجلس .. وقال فى ابتسامة هادئة انه يعانى من الم فى أسنانه وانه يريد ان اسمح له بالتردد على طبيب الأسنان فى عيادته .. واجبته الى طلبه ..

وبدات أعد مرافعتى .. تارة ليلا فى مكتبى بباب الخلق وتارة فى منزلى .. وفى احدى الليالى وكنت قد فرغت من انهاء المرافعة وبدات فى كتابة المقدمة .. رايت ان أستريح ودخلت غرفتى وجفانى النوم واخذت

افكر .. اننى أترافع فى قضية سياسية . والبلاد مستعمرة بالنفوذ الانجليزى أليس من واجبى كممثل للمجتمع فى مرافعتى أن ألعن الاستعمار وأكتشف مخازيه .. ان وكيل النيابه مواطن .. وقدوة .. ويجب الا ينفصل عن وطنه . لقد أهدر الانجلز كرامتنا وحريتنا وقمت الى غرفة المكتب وفتحت الشرفة ووقفت فيها .. حائرا قلقا .. وانبعث آذان الفجر .. فسرى فى نفسى هدوء غريب ورأيت الدموع تنسكب من عينى .. وتوضأت وصليت الفجر .. وابتهلت الى الله أن يلهمنى الصواب .. وأنهيت صلواتى لأجد المرحومة والدتى أمامى تسألنى فى اسفاق لماذا لم أنم . فأجبتها اننى نمت وصحوت .. فعادت تقول : يا ابنى اكتب اللى يخلصك من الله ويرضى ضميرك .

وجلست الى مكتبى .. وكتبت الجزء الأول من ديباجة المرافعة .. وطويت الأوراق فى ظرف واغلقته . ولم أطلع عليه أحدا .

وفى صباح ١٠ أبريل عام ١٩٤٨ دعيت الى قاعة المحكمة ودخلت غرفة السادة المستشارين وتبادلت معهم التحية وسألنى الاستاذ عبد اللطيف محمد رئيس المحكمة اذا كنت مستعدا فأجبته انى مستعد فقال على خيرة الله .. ودخلنا القاعة . وساد الجلسة صمت رهيب ... ودعانى رئيس المحكمة للمرافعة .. فوقفت وانا استشعر بعض الاضطراب ..

يارب الهمنى الصواب .. وبدأت أتلو الجزء الأول .. أخطر جزء .. الذى هاجمت فيه الانجليز .

وقلت فى مرافعتى :

سنظل نلعن الانجليز أبد الدهر ماداموا محتلين بلادنا . ولو كانوا فى أجدب بقعة منها .. وليخيل الى أن كل باب يغلق كانما يصفق فى وجوههم . وان كل حجر بأرض الوادى .. وكل كلب ينبح انما يصرخ فى وجوههم : أخرجوا .. اخرجوا من هذا البلد .. الجلاء ووحدة وادى النيل .. شعورنا وشعارنا .. بل هو ترديد لوجيب قلوبنا ... ونبضات دمنا .. وهمسات أرواحنا شيبا وشبابا .. رجالا ونساء .

وتطلعت الى العيون غير مصدقة .. واستدار المستشارون بمقاعدهم المتحركة ناحيتى وعلى وجوههم وفى قسماتهم تعبيرات أهى اعجاب وتشجيع ؟ أم هى دهشة ؟ .. مهما يكن لم تكن استنكارا .. واسترعى نظرى أنور السادات قفز الى الصف الأمامى وراح يهز رأسه كانما يسمع ما يطربه .. وراح يتابعنى .. وأنهيت الشطر الأول .. ورفع الرئيس الجلسة للاستراحة .. وفجأة دوى التصفيق والهتاف فى قاعة الجلسة وسمعت عبارات .. لم تر ذلك منذ عهد محمد فريد ..

محمد فريد أين أنا من محمد فريد .. الحمد لله .. وفى قاعة المداولة .. لم يعلق المستشارون ولكن كانوا يبتسمون ..

وجاء الى الدكتور زهير جرانة يشد على يدى مهنئا .. والأستاذ الكبير المرحوم احمد رشدى .. وكلهم .. وفوجئت بزملائى فى النيابة وعدد منهم يقبلوننى يغمروننى بالقبلات والتهنئة . وانتهت مرافعة أول يوم

.. وقبل أن أصعد الى حجرتى لتبديل ثيابى جاء لى ضابط الحرس وقال ان أنور السادات يريد مقابلتى .. وذهبت اليه فاذا به يحتضنى ويقبلنى .. وفى الطريق الى غرفتى قابلت النائب العام الأستاذ محمود منصور منصرفا .. وقال أنا سمعت تصفيقا وهتافا وأبلغنى بعض السادة المحامين تقديرهم لمرافعتك أرجوك وضعها على مكتبى لأقرأها .

وذهبت الى منزلى لأستجم . وظهرت جريدة (الزمان) وفيها تفصيلات المرافعة واشتريتها وأنا فى طريقى الى مصر الجديدة وراجعت مرافعتى .. وتولانى احساس ان النائب العام لابد أن يثير زوبعة . وصح ماتوقعته .. دق جرس التليفون واتصل بى سكرتير النائب العام مساء ودعانى الى مقابلته فى مكتبه بباب الخلق . وتوجهت الى هناك ولم يكن النائب العام قد وصل بعد ووجدت هناك بعض زملائى من مفتشى النيابة فجلست معهم وسألتهم رأيهم فى المرافعة فأجمعوا على استحسانها وتحمسوا لها تحمسا شديدا ووضعت يدى على بعض العبارات الخاصة بالانجليز فشاركونى الرأى ان هذا يجب أن يقال وحضر النائب ودخلت عليه .. قرأته السلام .. لم يرده .. كان مكفهر الوجه عصبيا واندفع يهاجمنى فى عنف وسألته ما الذى أثاره فى مهاجمتى للانجليز فازداد عنفا وفجأة نزلت على سكينة من عند الله وسرى فى نفسى هدوء وقلت للنائب بمكن أن أستقيل ولا أقبل هذا التعنيف ان لك أن تسحب القضية منى .. لقد أرضيت ربى ووطنى وضميرى وأديت واجبى فازداد حدة وانفعالا وفجأة دخل المرحوم الأستاذ مصطفى حسن مدير تفتيش النيابات واحتضننى

فى صدره وقال للنائب العام كيف تهاجم وكيل النيابة بهذا الأسلوب لقد رفع رأسنا وكرامتنا وأخذنى معه فى سيارته الى منزله . وفى الطريق قلت له أننى أعتبر نفسى مستقيلا فكان جوابه تكون قد أخطأت لو استقلت يجب أن تكمل رسالتك وواجبك .

وفى الصباح الباكر طلبنى النائب العام تليفونيا وذهبت اليه فى مكتبه وقال لى انه سيحضر معى الجلسة فأجبته انه هو صاحب الدعوى العمومية وله مطلق التصرف .

ودعينا الى الجلسة ودخلنا القاعة وجلست الى جانب النائب العام ولمست أن جو الجلسة متوتر وكله ترقب وطلب النائب العام الكلمة وبدأ يتلو من ورقة معه عبارات ـ مضمونها التنصل مما قلته وانه لا يمثل رأى النيابة وانما يمثل رأيى الشخصى .

وقال النائب العام « ان كلمات ممثل النيابة بالأمس قد ندت عن مرارة ، واندفعت وراء مقصده » .

وما كاد النائب العام يفرغ من كلمات انذاره باسم النيابة حتى وجدت أنور السادات الذى كان جالسا فى تحفز ، يقفز فى عنف الى قضبان قفص الاتهام ويهزها وهو يصرخ بأعلى صوته ..

قال أنور السادات :

« ان الأستاذ أنور حبيب لم يرتجل مرافعته ، لقد كان يتلوها من ورق ، فما معنى أن يأتى النائب العام وهو مصرى فيقول هذا الكلام ويريد سحب المرافعة .

ياحضرة النائب العام : أنت مصرى .. وكل من فى

مصر يردد أمانى المصريين ويلعن الاستعمار ثم تجىء أنت لتسحب هذا الكلام .. اننى أطالبك بالاستقالة لأنك يجب أن تستقيل » .

ثم ارتفعت صرخة أنور السادات من قفص الاتهام الى قمتها وهو يعلن : « أيها النائب العام .. اننى أفضل أن أشنق بلا اتهام ، على أن يتراجع النائب العام ويقف هذا الموقف » .

واستحالت الجلسة الى بركان ورفعت المحكمة الجلسة للمداولة . وعاد النائب العام الى مكتبه بعد أن ووجه بثورة عارمة . وصدرت الصحف فى اليوم التالى لتقول ان الطغيان البريطانى وضع فى قفص الاتهام .

وبعد أيام استدعانى النائب العام وسألنى عن سير القضية وموقف الدفاع ، وتطرق الحديث الى موقف كل متهم . فقلت له : « أننى أعتقد أن المتهمين اعتبارا من السابع (أنور السادات) سيبرءون » .

وعرضت عليه فكرة تفويض الرأى للمحكمة بالنسبة للأبرياء ، وأقرها مبدئيا وانتهزت فرصة وجودى بعد ذلك فى قاعة المداولة وأسررت بالفكرة الى المستشار ابراهيم خليل عضو اليمين ، وعرضت عليه الأسماء ابتداء من المتهم السابع (أنور السادات) .. ولكن النائب العام عدل عن رأيه تحت ضغوط سياسية لا أعرفها .

واستمرت جلسات المحاكمة ولم أعد أتصل بالنائب العام ، ولم يعد يتصل بى وكان الدفاع يوالى مرافعاته يوميا .. وفى أول يوم جمعة بعد هذا الحادث كنت معتاد الصلاة فى جامع السلطان حسين بمصر الجديدة

بيد انه تصادف أن كنت مع أخى رحمه الله فى ميدان الجامع ، وأذن وقت الصلاة وسارعنا بالدخول وما أن خلعت نعلى ودخلت من باب المسجد حتى سمعت صوت الخطيب من فوق المنبر يقول فى ختام خطبته « حيا الله وكيل النائب العام الذى هاجم الاستعمار والانجليز وترددت فى جوانب المسجد .. آمين » ووجدتنى أخر ساجدا شكرا لله وقد سبقتنى دموعى .. ماذا أريد أكثر من ذلك ..

لك الحمد ياربى .. تعالت نعماتك وقدرتك ، ما أعظم رحمتك ..

وبعد أيام نشرت الصحف ان المدارس قررت اختيار مقتطفات من المرافعة لتكون نصوصا للطلاب وهى الخاصة بالجلاء ووحدة وادى النيل .

وذات يوم كتب السادات كلمات تقول :

« كل من عرف الاعتقال يعرف كيف يكون الأمل فى الحرية ، وكيف تتزاحم مشروعاتها على الرأس ، وتتوالى صورها امام الخيال » .

ولكن .. ماذا تكون الكلمات ؟

الحرية .. الديمقراطية .. الايمان .. العلم .. الصبر .. الصمت ..

كلمات جامدة اذا لم يحركها قلب انسان .. هى فى قواميس

اللغة .. وعلى أقلام الكتاب والباحثين والصحفيين ، وكل من يحمل قلما يخط به على الورق .

ثم تصبح هذه الكلمات حية ، وتنبعث فيها الحركة ، وتملأ كيان الوجود ، حيث تخرج من نطاق الورق المكتوب الى نطاق كيان الانسان .

ليس المهم أن تصبح هذه الكلمات نبرات صوت على لسان قائد أو زعيم ، ولكن الأهم أن تصبح حقائق فى حياة الشعب .

وعندما أصبحت الحياة السياسية فى مصر براعة خطابية تسحر عقول الناس ، ضاعت الحقائق وبقى الوهم والسراب .

وعندما أصبح الاستخفاف بالشعب لعبة السياسة ، سيطرت الزعامات المقدسة وغير المقدسة على المصير ، وانتهى كل شيء الى سلسلة من الهزائم المتتالية منذ حرب ١٩٤٨ مع اسرائيل .

لقد عاش أنور السادات كل هذه التجربة المريرة مع الشعب، وكان يداوى جراح قلبه كما يداويها كل مواطن فوق أرض مصر، ويختلف البشر فى طريقة مداواة الجروح ، ولا زالت حتى اليوم الطريقة القديمة فى المداواة عن طريق الكى بالنار الى جانب الطرق الحديثة بالعقاقير المختلفة .

وخلال الفترة التاريخية التى كان السادات يداوى جراحه بطريقته ، تعرض لأشد ألوان الظلم والطغيان .

وقد اشتغل خلال فترة بطالته وخروجه من المعتقلات بأعمال كثيرة كانت فى بعض الأحوال أعمالا يدوية تمنحه الرزق فى يومه ، ولم يتذمر ، ولم ينفجر ، ولم يسالىء السلطة التى كانت تريد أن تمنحه رغد العيش .

والسؤال الحائر فى حياة السادات .. لماذا رفض رغد العيش خلال كفاحه الطويل وآثر حياة العذاب وحياة المعتقلات ؟

ان القصة الكاملة لحياة أنور السادات الطالب فى المدرسة الثانوية ،وفى الكلية الحربية ، وبعد تخرجه فى الحربية حتى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد كتبها هو بنفسه على صفحة التاريخ المصرى المعاصر ، ولم يتفاخر بها حتى بعد وصوله الى قمة السلطة .

فقد وضع نفسه منذ البداية أمام نفسه للحساب والمسئولية ، وعندما أصبح مسئولا نقل مسئولية حسابه للشعب فى جرأة هى احدى خصائصه المتميزة .

البركان الثائر فى قلب انسان هو الذى يحدد المصير ، ويقرر الاتجاه الى أعلى دائما . بلا هبوط الى القاع مهما كانت النتائج مع حساب حسابات النتائج .

وخلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ واجه السادات بعض المفاجآت ، فلم يتزعزع ، ولكنه ظل على ايمانه الذى أمده بالقوة والقدرة

على ممارسة الحياة الشاقة التى عبرها ، ثم على ممارسة السلطة الشاقة التى ورثها ، وورث معها الهزيمة .

وأنت تستطيع أن تستشف ذلك كله من موقف واحد حدث فى حرب أكتوبر ، وشرحه السادات قائلا :

كنت فى غرفة العمليات بمقر القيادة قبل ساعة الصفر بنصف ساعة . وجاءت ساعة الصفر وبدأت العمليات على الجبهتين السورية والمصرية ، تماما كما خطط لها من قبل ، ويوميات المعركة فى سبيلها الى الطبع الآن لكى تحكم كل التفاصيل .

فى الساعة ٨ مساء ، أى بعد ٦ ساعات من بدء المعركة ، وأنا فى غرفة العمليات .

والعمليات تسير طبقا للخطة الموضوعة ، أخطرت بطلب مقابلة عاجلة من السفير السوفييتى ، وكانت الأعلام المصرية قد رفعت فعلا على سيناء ، واجتاحت القوات المصرية خط بارليف ، وفقدت ادارة الحرب العسكرية الاسرائيلية توازنها .

فى تلك اللحظة طلب السفير السوفيتى موعدا عاجلا .

فتركت غرفة العمليات وذهبت الى مركز القيادة لاستقباله ، فوجئت بالسفير الروسى يقول لى أن سوريا تطلب وقف اطلاق النار ، وأنها طلبت ذلك رسميا من الاتحاد السوفييتى .

سألته : هل هذا التبلغ لعلمى فقـط ، أم لسبب آخر ؟

السفير : نبلغك هذا لأنه لدينـا طلب رسـمى من سوريا ، ونريدك أن تتصل بالرئيس حافظ الأسد .

رفضت وقف اطلاق النار رفضا باتا ، وطلبت الى السـفير ابلاغ حكومته بهـذا ، وأبرقت فى الحال الى الرئيس حافظ الأسد .

فى يوم ٧ أكتوبر : تلقيب من الرئيس حافظ الأسد برقية تنفى أن سوريا طلبت وقف اطلاق النار .

عقب وصول برقية الأسد ، طلب السفير السوفيتى مقابلة أخرى ، وكرر مرة أخرى أن سوريا تطلب وقف اطلاق النار .

كان ردى عليه عنيفا ، وقلت له ببساطة انه يكفينى رد حافظ الأسد ، واننى استمد الحقيقة من رد حافظ الأسد .

وفى فجر يوم ١٣ أكتوبر ، طلب السفير البريطانى مقابلة عاجلة فى الفجـر ، فقابلته فورا ، وكان يحمـل رسالة من رئيس الوزراء المستر هيث ، محولة اليه من كيسنجر ، تقول انه بلغ كيسنجر ان مصر وسوريا وافقتا على وقف اطلاق النـار ، وان كيسنجر أجرى اتصالات سريعة بهدف الاتفاق على ذلك مع الأطراف المعنية لجمع مجلس الأمن واتخاذ هذا القرار ما دامت مصر وسوريا وافقتا عليه .

وجاء فى الرسالة استفهام من كيسنجر عن صحة هذا الخـبر ، وقال انه اذا كان صحيحـا فانه على

استعداد لأن يجمع مجلس الأمن فورا لاتخاذ القرار ، فنفيت للسفير اننا وافقنا على وقف القتال ، ورويت له قصة زيارة السفير الروسى ورفض مصر ... انها لم توافق فى أى وقت من الأوقات على وقف اطلاق النار .

ووردت فى الرسالة أجـزاء أخـرى لم يحن الوقت لاذاعتها .

ويتضح من هذا أنهم طلبـوا من مصر وقف اطلاق النار منذ اليوم الأول ، وأن مصر رفضت وأصرت على الرفض ، وتكرر هذا الموقف عدة مرات .

فى يوم الجمعة ١٩ أكتوبر ، وكان قد مضى على ثغرة الدفرسوار ثلاثة أيام .. وعملية الدفرسوار كما وصفها تماما الجنرال الفرنسى «بوفر» كانت معركة تليفزيونية ، أو معـركة دعائية وفى هذا اليوم بالذات ، وفى الساعة الواحـدة صباحا ، دعانى المشير أحمـد اسماعيل الى القيادة فذهبت . وكان واضحا ان هناك بعض وجهات النظر بالنسبة لثغرة الدفرسوار .

كان المشير أحمد اسماعيل والفريق الجمسى وقادة الأسلحة فى جانب ، وكان اللواء الشاذلى وحده فى جانب آخر .

كان من رأى المشـير وباقى القـــواد أن عمليـة الدفرسوار لم تكن الا عملية سياسية تليفزيونية لانقاذ سـمعة اسرائيل والتأثير النفسى علينـا ، ولا جـذور استراتيجية ولا عسـكرية لها ، وهى عمليـة مقضى عليها سلفا .

الا اننى بعـد أن اتخذت قرارى بعـدم الانسحاب

وأعطيته للقادة ، وهو قرار يوازى تماما قرار ٦ أكتوبر، راجعت موقف امريكا الذى كان قد استفحل ، وكانت قد اتخذت من العريش خلف الجبهة مباشرة ، قاعدة أمريكية لانزال الامدادات لاسرائيل .

وبحساب بسيط ، استراتيجى وتكتيكى على الخرائط ودراسة لموقف اسرائيل الذى كان قد وضح تماما ، كما أفصح عنه وزير الدفاع الاسرائيلى أخيرا ، اتضح لى أن امريكا قد رمت بكل ثقلها فى المعركة ، وبأسلحة حديثة لم تكن قد استخدمت فى الجيش الامريكى نفسه . ووضح لى أيضا أن النصر الذى أحرزناه مع سوريا يراد طمسه ، بل اذا أمكن اجهاضه لصالح اسرائيل .

وكما قلت ، أصدرت قرارى للقادة ، وعدت الى مقرى العسكرى فى الساعة الواحدة والنصف .

وفى الساعة ٢ صباحا ، أرسلت هذه الرسالة الى الرئيس الأسد :

« أخى الرئيس حافظ الأسد : لقد حاربنا اسرائيل الى اليوم الخامس عشر ، وفى الأيام الاربعة الاولى كانت اسرائيل وحدها ، فكشفنا موقفها فى الجبهتين المصرية والسورية ، وسقط لهم ــ باعترافهم ــ ٨٠٠ دبابة على الجبهتين ، وأكثر من مائتى طائرة . أما فى الأيام العشرة الأخيرة فاننى على الجبهة المصرية أحارب امريكا بأحدث ما لديها من أسلحة .

اننى ببساطة لا استطيع ان أحارب امريكا أو أن أتحمل المسئولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة أخرى ، لذلك فاننى قد أخطرت الاتحاد السوفييتى

بأنني أقبل وقف اطلاق النار على الحدود الحالية بالشروط التالية :

١ ـ ضمان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بانسحاب اسرائيل كما عرض الاتحاد السوفيتي .

٢ ـ بدء مؤتمر سلام في الأمم المتحدة ، للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفيتي .

(كوسيجين كان قد زار السادات أثناء المعركة ، وألح عليه بوقف اطلاق النار فرفض) .

ان قلبي ليقطر دما ، وأنا أخطرك بهذا ، ولكنني أحس ان مسئوليتي تحتم على اتخاذ هذا القرار . ولسوف أواجه شعبنا وأمتنا في الوقت المناسب لكي يحاسبني الشعب .

مع أطيب تمنياتي .

أنور السادات

هذا الرسالة أرسلتها الى الرئيس حافظ الأسد في ١٩ اكتوبر ، ووقف اطلاق النار كان في يوم ٢٢ اكتوبر .

وليس لي بعد ذلك أي تعليق على الضباب ، وشحنة الشكوك والتشكيك في مواقف مصر .

في هذا الحديث فقرة خطيرة تدل على تفكير السادات عندما يواجه أخطر أحداث التاريخ ..

انه يقول في رسالته الى حافظ الأسد :

« ولكنني أحس أن مسئوليتي تحتم على اتخاذ هذا القرار ،

وسوف أواجه شعبنا وأمتنا فى الوقت المناسب لكى يحاسبنى الشعب » .

وكان القرار الذى اتخذه السادات هو عدم مواجهة أمريكا ، وعدم تدمير القوات المسلحة العربية مرة أخرى فى هذه المواجهة اليائسة .

ولكن القرار الأهم من ذلك هو استعداده لمواجهة الشعب والأمة فى الوقت المناسب لكى يحاسبه الشعب .

انه لا يقول : أنا أتحمل المسئولية ، ولكنه يقول للشعب : حاسبنى .

والفارق بين الحاكم الذى يعلن تحمل المسئولية ، والحاكم الذى يعرض نفسه على شعبه للمحاسبة ، هو الفارق بين تحدى الشعوب تحت اسم المسئولية الذاتية ، وبين تحدى المسئولية ذاتها من أجل اعلاء كلمة الشعوب .

الحاكم الذى يقول أنا مسئول لا يقول شيئا ، لأنه مسئول أمام شعبه عن كل شىء ، وهذا الاعتراف من قبيل تعريف الشىء بالشىء ، لأنه لا يوجد حاكم غير مسئول ، واعترافه بالمسئولية لا يساوى شيئا ، ولكن طلب الحاكم بمحاسبة شعبه عن تصرفاته هو ما يجب أن يكون فى مفاهيم الديمقراطية الصحيحة ، وهى أفكار معروفة ، أرسيت على دعائمها دولة الاسلام عندما أعلنت

للمسلمين فكرة الحاكم الذى يقول : اذا أحسنت أيدونى ، واذا أخطأت قومونى أو عارضونى .

ان السادات يعتنق هذه الأفكار لأسباب كثيرة أهمها الميراث الحضارى أو الثقافى ، الضارب بجذوره فى أعماق سبعة آلاف سنة هى حياة مصر ، وفى أعماق الفكر الاسلامى الذى يعتبر أساس بناء الشخصية العربية فى مصر وفى كل أرض العرب .

والاسلام بهذا المفهوم لا يمثل العبادات التى يؤديها المسلمون فحسب ، ولكنه يمثل الحضارة التى كونت الشعب العربى ، ولذلك يجد الباحثون صعوبة شديدة فى التفريق بين الحضارة العربية وبين الحضارة الاسلامية ، فهما شىء واحد بحكم نشأة الحضارة العربية منذ ظهور الاسلام ، وامتدادها عبر مئات السنين فوق المنطقة العربية التى شع منها الاسلام الى مناطق أخرى فى آسيا وافريقية .

هذه الأفكار تدخل فى بوتقة انصهار الشخصية ، وتؤدى بالضرورة الى اعتناق فكرة الوحدة العربية ، بل تزيد من قوتها.

ومن وحى فكرة الوحدة الاسلامية ، نذكر الحديث النبوى الشريف الذى يعرفه عامة المسلمين :

— لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

وقد لدغ المؤمنون من الجحر ثلاث مرات ، وكانت العقرب

واحدة فى هذه المرات فهل كانوا غير مؤمنين ؟ هل كانوا غافلين ؟ هل كانوا نائمين ؟

وهل يلدغ المؤمن من الجحر للمرة الرابعة ؟

ان المصريين يحبون وصف السادات بأنه الرئيس المؤمن ، وهى ملاحظة شعبية ترتبط بالكيان الحضارى لمصر التى كانت أول بلد عرف الوحدانية . وعرف عبادة الله .

والمؤمن فى عرف المصريين هو الشخص الذى يعرف الله ، ويحاسب نفسه بنفسه أمام الله . فى كل تصرفاته العامة والخاصة . وهذا تعريف ساذج لمعنى الايمان ، ولكنه يحمل من المعانى الفكرية ما لا يحتاج الى تفسير الفقهاء وأصحاب الشريعة لمعنى الايمان .

ان الايمان بسيط جدا ، والعامة من أبناء الشعب لا يملكون تفسيره بالتعريف الدقيق ولكنهم يملكون تفسيره بالواقع الذى يعيشون معه .

وبهذه البساطة وصف المصريون (أنور السادات) بأنه الرئيس المؤمن ، وهذا الوصف يحمل معنى من المعانى الخاصة عند المصريين ، فانهم أول شعب مارس الدين ، وعرف الوحدانية، ثم كان لهم دور الشهداء والقديسين فى عصور المسيحية الأولى ، وهم الذين اخترعوا فكرة انشاء الأديرة فى الصحارى والأماكن البعيدة للعبادة ، وعندما دخل الاسلام مصر قامت بدور ضخم

فى ارساء مفاهيم العبادة ، حتى كانت المساجد فى مصر هى مراكز الاشعاع العلمى والحضارى . وكان الاهتمام بانشائها أكثر من الاهتمام بانشاء القصور والبيوت ، ولذلك ظلت راسخة عبر مئات السنين ، ولم تتهدم لأن الذين أقاموها كانوا يفكرون دائما فى الخلود بعد الموت ، فأحسنوا بناءها ، وحافظ من خلفهم عليها أكثر من محافظتهم على القصور والبيوت التى تعد لسكنى الأحياء .

وفى القاهرة وحدها أكثر من ألف مسجد ، ومنها مساجد تعيد للأذهان فكرة بناء الأهرامات مثل جامع السلطان حسن فى حى القلعة ، وقد تعرض هذا الجامع لقذائف مدافع بونابرت التى أطلقها على القاهرة عندما هبت لمحاربته ، ولم يتأثر البناء الضخم بأكثر من خدش بسيط فى بعض أحجاره .

ولذلك فان اطلاق وصف (الرئيس المؤمن) على السادات ، كان له معنى خاص عند المصريين الذين يتعلقون بالدين تعلقا شديدا ، ويرون فيه الملاذ الأخير لهم عندما تقع المصائب والنكبات، فيتجهون الى الله الذى ينقذهم منها .

وقد كان حكام مصر عبر تاريخها منفردين بين حكام الدنيا بالاهتمام بالدين ، واقامة المعابد والكنائس والمساجد ، وكلها بيوت عبادة .

وخلال فترة استعادة الميراث الحضارى وسط ظلام الهزيمة ، استرجع المصريون أفكارهم ورأوا أن الايمان هو وسيلة الخلاص.

ولم يكن السادات منفصلا عن أفكار شعبه ، وتقاليدهوعاداته منذ نشأته طفلا فى القرية يحفظ القرآن ، ويؤدى الصلوات، ويتعلم السماحة ، وهى احدى أصول دينه ، فى مدرسة ابتدائية أساتذتها يعتنقون المسيحية .

اعتنق السادات عقيدة الأيمان منذ نشأته ، حتى أنه كان يلقى خطبة الجمعة فى المساجد ، والقيام بامامة المصلين ، وهو عمل دينى لا يصل اليه الا علمـاء الأزهر أو المشايخ الذين يقومون بالخطابة والامامة فى المساجد . ولكنه قام بهذا العمل ، وكان فى طفولته يلقب فى قريته بالشيخ .

نشأ نشأة دينية سمحة ، ولازمه خـلال رحلة حياته ذلك الشعور الدينى ، الذى يغرس الايمان غرسا فى القلوب .

وداخل اطار فكرة الايمان ، كان للسادات دور رئيسى وهام فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى (لاهور) فى باكستان ، وكان ذلك فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد اشتغل السادات خلال فترة من فترات حياته بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كرئيس للمؤتمر الاسلامى فى القاهرة .

ولكن فكرة الوحدة الاسلامية كانت قد وصلت الى طريق مسـدود قبل حرب يونيو ١٩٦٧ وحـدث انعزال بين الدول

الاسلامية . بسبب التصاعد المفتعل لأفكار القوميات المحلية المرتبطة أصلا بالاسلام ، وأهمها القومية العربية ، وكان الصراع قد اشتد فى عنف شديد بين القومية العربية وبين الوحدة الاسلامية ، حتى وصل الى تعاون بعض الدول الاسلامية غير العربية وبين اسرائيل والصهيونية العالمية .

وكان الالتقاء الطبيعي يحتم تعاون العرب مع جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها لأن الاسلام نشأ بين أحضان العرب، ونبى الاسلام عليه السلام عربى ، وكتاب الاسلام عربى .

ان الخلاف بين العرب وبين المسلمين من مختلف شعوب العالم خلاف شاذ ،وغير مقبول ، بسبب العقيدة المشتركة .

كان الرئيس المؤمن يعلم ذلك ويؤمن بذلك ، ولم يكن معنى الايمان عنده هو العبادات ، التى يجب أن يؤديها كل مسلم . ولكنه الايمان الذى يوحد كلمة المسلمين فى مواجهة أخطار الغزو الصهيونى الذى وضع يده على أولى القبلتين ، ومكان اسراء محمد عليه السلام الى الملأ الأعلى .

القضية ليست هى قضية العرب وحدهم ، ولكنها قضية المسلمين جميعا ، لأن القدس لها وضع خاص يرتبط بالعالم ، واذا كانت فيها أماكن مقدسة يهودية أو مسيحية ، فان الاسلام قد حافظ عليها وقدسها ، بسبب اعتناق الفكرة الأساسية فى الاسلام ،

وهى الاعتراف بكل الرسالات السماوية السابقة ، واحترامها ، وتقديسها .

وعندما يحدث اختلاط بين الدين والسياسة تحدث مشكلة . ولكن الاسلام يرفض دائما حدوث المشكلة . وقد رفض (عمر بن الخطاب) أمير المؤمنين منذ البداية ان يصلى فى كنيسة القيامة بالقدس ، حتى لا يصبح هذا العمل تقليدا اسلاميا ، وعبر بذلك عن احترامه للشعائر المسيحية فى اقامة الصلوات والشعائر الدينية .

خلال مئات السنين كانت كل الأديان تقوم بشعائرها فى القدس ، بسبب وجود العرب فى المدينة المقدسة التى حافظوا على قداستها .

اليهودى عند حائط المبكى .

المسيحى فى كنيسة القيامة وفى كنيسة العذراء وقبر المسيح عليه السلام .

المسلم فى المسجد الأقصى وعند قبة الصخرة .

هذه هى خلاصة الايمان .

ومن هذا الايمان دعا السادات الى اقامة دولة العلم والايمان. ليحقق فكرة الدولة العصرية المرتبطة بتقاليد وعادات شعبه ، والتى لا تنفصل عن العقيدة تحت شعار العلمانية .

ولم تستطع أفكار العلمانية الوافــدة على مصر منذ مطلع العصر الحديث أن تفصل الشعب المصرى عن الايمان بعقــائده الدينية . بل ان النهضـــة الحديثة سايرت دائما أفكار تجديد الاسلام ، وكانت حركة الثورة ذاتها التى أشعلها (جمال الدين الأفغانى) فى القاهرة وتابعه تلاميذه ومريدوه وعلى رأسهم (محمد عبده) على اذكائها مقترنة دائما بفكرة التجديد حضاريا بالدرجة الأولى حتى ضم الأفغانى اليه تلاميذ من اليهود والمسيحيين تحقيقا لهذا المعنى . وكان فى مقدمة هؤلاء (يعقوب صنوع) اليهودى و (أديب اسحق) المسيحى .

٣ ساعة التجربة

التجربة فى مصر بنت التاريخ ، وهى خلاصة الحضارة ، حتى فى الأعمال اليدوية الموروثة ، وأنت ترى البنائين يقيمون الحجر فى هندسة عجيبة فتتذكر أجدادهم الذين بنوا الأهرامات والمعابد ونحتوا المسلات فى بطون الجبال .

وقد عرف هذه الحقيقة السلطان سليم العثمانى بعد أن صرع سلطان مصر الغورى فى واقعة مرج دابق الشهيرة بالقرب من حلب، فأخذ السلطان العثمانى من مصر خلاصة هذه الحضارة ممثلة فى ألف من العمال المهرة نقلهم الى اسطنبول ليصنع فيها حضارة مماثلة لحضارة مصر .

ولا تقتصر تجربة مصر على الخصائص الحضارية الذاتية ، فانها بلد مفتوح الأبواب على الشرق والغرب بحكم موقعها الجغرافى ، وذلك فانها تأخذ من تجارب الشعوب ، كما تعطى تجاربها للشعوب . وفى عملية الأخذ والعطاء تنصهر التجربة الذاتية انصهارات عنيفة تشبه انصهار الذهب فى بوتقة الصائغ .

ومن خبرات السادات أنه مارس التجربة ممارسة عملية في مختلف اتجاهات الحياة المصرية الزاخرة بالتجارب ، كما عرف من تجارب مصر مما لا يتيسر الا لأصحاب النفوس الصابرة .

عندما تأزمت كل الأمور ، وتعقدت كل المسائل ، فظن كثيرون أن الطريق مسدودة نحو حل مشكلة الحرب والسلام ، ورفع بعض الكتاب شعار . اللا حرب واللا سلام . قال السادات كلمة أخرى ..

— الصبر والصمت ..

ورسمت مجلة تايم الأمريكية على أحد أغلفتها صورته فوق تمثال أبي الهول ، وانتشرت هذه الصورة في العالم الغربي .

وقبل ذلك نشرت احدى الصحف الأمريكية في أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، اعلانا اسرائيليا صهيونيا ، هو صورة أهرامات الجيزة وأبو الهول ، وهي الصورة الشهيرة المتداولة في العالم على أنها (كارت بوستال) . وكتبت تحتها :

— زوروا اسرائيل ! !

الذين نشروا الصورة لم يعرفوا حقيقة مصر التي عرفهـا السادات ، وعرفها ملايين المصريين .

لقد تعرضت مصر لغزوات اليونان والرومان والفرس والترك والفرنسيين والانجليز ، ولم يجرؤ أحد على أن يدعى على أهرامات مصر هذا الادعاء الاسرائيلي الغريب الساذج ، بل ان بونابرت

بعد انتصاره على المماليك فى واقعة الأهرام الشهيرة ، قال لجنوده كلمته المعروفة :

— ان أربعين قرنا من الزمان تنظر اليكم .

وهناك حكمة قديمة لا يعرف أحد اسم أول من نطق بها ، وهى تقول : ان مصر مقبرة الغزاة .

ان التكوين الفكرى لمصر يؤكد عبر تاريخها الطويل أنها بلد لا يهزم .. وليس هذا من قبيل الغرور الوطنى ، فان مصر قادرة على تمصير غير المصريين ، ولكن المصريين غير صالحين للتبدد والضياع مهما اشتد عليهم الزمان .

كان ابراهيم باشا فاتح عكا وقائد جيش مصر الظافر فى عهد محمد على ، وقد جاء الى مصر شابا يافعا ليلحق بوالده محمد على . وقيل له بعد فتح عكا ، ومحاربته لجيش تركيا حتى وصل الى أبواب اسطنبول :

— أنت تركى .. وكيف تحارب الأتراك ؟

فقال لسائله :

— أنا مصرى .. وقد مصرتنى شمس مصر .

وعبر التاريخ تمصر كثيرون ولا زالوا يتمصرون . من هذه النقطة يدرك المصريون أن بلادهم أقوى من أن تقهر أو تستسلم.

ولذلك وضع السادات مبدأ (الصبر والصمت) خلال الفترة التى سبقت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وكان هذا المبدأ خلاصة للتجربة المصرية فى مواجهة الأحداث الجسام .

ويستطيع من يتتبع أفكار السادات أن يلحظ حقيقة ارتباطه بالتجارب التى مر بها شعب مصر .

وأول هذه التجارب أن مصر لا تنتصر فى ظل الدعوات الديماجوجية الصارخة ، بل أنها تضيع من يديها فرص تحقيق الأهداف الوطنية والقومية عندما تطغى الدعايات على الحقائق ، ويسيطر الغرور على القيادة .

المعارك تخسر ، والجيوش تضيع ، عندما يصاب القائد بالغرور ، فيملأ آذان الشعب بنصر مرتقب موهوم .

وهذا ما حدث مع السلطان الغورى عندما خرج لملاقاة جيش سليم العثمانى ، فأخذ معه الخليفة أمير المؤمنين والقضاة الأربعة وخزائن المال فى صناديق مليئة بالذهب ، وكأنه ذاهب الى نزهة لا الى حرب .. فانهزم الغورى وسقط تحت سنابك الخيل فى مرج دابق .

وهذا ما حدث مع المملوكين مراد بك وابراهيم بك عندما خرجا لملاقاة جيش بونابرت ، وقالا انهما سيدوسان على جيوشه بالخيول ، فانهزما وسقطا الى الأبد .

والسياسة تخسر وتضيع وسط الطنطنة والادعاءات ، وفقدان الخطط الحكيمة ، وشواهد ذلك فى السياسة المصرية الحديثة أكثر من أن تحصى ، وكان آخر هذه المواقف قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، هو اعلان الغاء معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا دون الاستعداد لنتائج هذا العمل الوطنى العظيم . فانقلبت الموازين وأصبح المكسب هزيمة ، ووقع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ولم يتم الجلاء الا بعد قيام الثورة ، ولولا قيامها لاستحكمت حلقات الاستبداد والاستعمار حول عنق مصر أكثر مما كانت .

هذه التجارب يعرفها السادات ، ويعرفها شعبه فى تاريخ مصر القديم والحديث .

ولذلك اتجه تفكيره نحو أشياء محددة ، ليس من المغالاة أن نقول أنها جديدة فى تفكير الحكام المصريين .

كان الشيخ محمد عبده يقول على طريقة أستاذه جمال الدين الأفغانى أن حكام الشرق لا يملكون النظرة الكلية للمسائل السياسية ، ولكنهم يهتمون بالجزئيات الصغيرة التى تضيع كل جهودهم ، وتضييع قدرة شعوبهم على مواجهة الحياة .

لقد حدد السادات فى تفكير منطقى النظرة العامة الشاملة للمشكلات التى واجهها منذ تولى رياسة الجمهورية .

تحدث السادات عن المخطط الصهيونى الذى ظل سنوات بغير مواجهة من مخطط عربى ، وطالب بضرورة ايجاد مخطط عربى قادر على المواجهة .

وفى صفاء ذهنى عقد مقارنة بين الحروب الصليبية والحروب الصهيونية . واستنبط من التجربة ما يمكن أن يصل اليه من حلول ، كما تحدث أيضا عن حروب التتار التى تعرضت لها المنطقة وصدها جيش مصر ، وهزمها فى موقعة (عين جالوت) وبدد كيانها الوحشى .

كانت معركة (حطين) التى انتصر فيها صلاح الدين واستعاد القدس من غبار معاركها ، كما كانت معركة (عين جالوت) التى اندحر فيها هولاكو أمام جيش السلطان سيف الدين قطز ، أعظم تجربتين مرت بهما مصر عبر تاريخها منذ العصور الوسطى حتى معركة أكتوبر ١٩٧٣ . التى تم فيها عبور قناة السويس وتحطيم قوة الصهيونية العالمية فى خط بارليف على الشاطىء الشرقى من القناة .

وعندما كان السادات يتحدث عن الحروب الصهيونية وحروب التتار . لم يكن حديثه لشرح التاريخ المعروف لتلاميذ المدارس فى العالم العربى كله ، ولكنه كان يستخلص التجربة ، ويذيبها فى كلمات ، ويقدمها لشعبه كدليل حى على امكان النصر مهما عظمت القوى المناوئة لمصر .

فأنور السادات حيث يتحدث لا يتخذ لنفسه صفة المدرس الذى يشرح للجماهير بعض ما يعرفه ، ويعيد ويكرر ما يقوله ، ولكنه يتحدث عن قيمة التجارب فى حياة الشعوب ؛ وينظر الى الأمور النظرة الكلية الشاملة التى تستخلص التجربة فى كلمة . هى وجهة نظر الحكيم ..

عرف ان النصر فى الحروب الصليبية وحرب التتار كان يعتمد على الايمان ، عندما هيأ صلاح الدين شعبه للمعركة ، حتى أصبحت الكتب المتداولة بين أيدى الناس فى عصره — وكانت مخطوطات — وهى مجموعات آيات الجهاد فى القرآن الكريم ، ومجموعات الأحاديث النبوية الشريفة عن الجهاد أيضا — حتى أصبحت الدروس فى مساجد القاهرة ودمشق وغيرها من المدن محصورة فى دروس الجهاد .

وفى حروب التتار خرج جيش مصر وفوق رأسه نداء : واسلاماه ..

ولم يكن الايمان الذى فكر فيه أنور السادات هو ايمان اللسان ، بل كان ايمان الوجدان . ولذلك رفع شعار . دولة العلم والايمان ، وهو يقصد الى شىء غير موجود كما يراد له أن يوجد ، وأراد له أن يوجد بمفهومه الصحيح .

فى احدى كلماته قال أنه لا يمكن أن يرسل جند مصر الى

المعركة دون أن يكون مع كل واحد منهم ألكترون . وهو تعبير عن العلم الحديث ، ولذلك أصر على أن يصل الضباط والجنود الى أعلا درجات التدريب على أعقد الأسلحة الحديثة ، حتى لا تتكرر المأساة التى حدثت منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ على اختلاف ظروفها وأحوالها .

وخلال فترة قصيرة أصبح جيش مصر يضم جنودا لا يعرفون شيئا أعظم ولا أخطر من الجندية ، ولا يصرفهم شيء عن شرف الجندية .

وفى مهارة فائقة استطاع أن يمحو من صفحة الجيش كل الصفات التى صرفته عن مهمته الأصلية خلال فترة من الفترات ، حتى خيل لبعض الناس أن ضباط الجيش أصبحوا يكونون فى مصر طبقة جديدة ، وأصبح الجيش الذى جعله السادات قائما على دعائم العلم الحديث ، جيشا يحمل شرف الجندية حقا ، وأصبح الضباط والجنود مقاتلين لا يعيشون فى معركة غير معركة الشرف والكرامة .

واشتد التحام الشعب الذى كان يتندر على جيش ١٩٦٧ بجيش ١٩٧٣ . حتى أصبح الجيش والشعب جيشا واحدا ، وعاد الايمان الذى تحدث عنه السادات فى لمحة باهرة .

كيف حدث هذا ؟

لم تكن فى يد السادات عصا سحرية تبدل وتغير ، ولكنه يملك التجربة ، ويعرف أبعادها . واستطاع أن يرسم المخطط العربى لمواجهـة المخطط الصهيونى فى الكلمتين المعـروفتين : الصبر والصمت . واستطاع أن يستخلص من حروب مصر الظافرة تجربة النصر ، خاصة من الحروب الصليبية وحروب التتار .

وبعد انتصار آكتوبر ١٩٧٣ قال السادات كلمة من خلاصة التجربة . عندما تحدث عن النصر الذى تم بعد هزائم خمسمائة سنة .

وتساءل كثيرون عن معنى هذه الكلمات .. وهل الانتصارات التى تحققت فى عصر محمد على لا تمثل شيئا فى تاريخ مصر ؟

أما الهزيمة التى وقعت منذ خمسمائة سنة فهى هزيمة سلطان مصر الغورى أمام جيوش سليم العثمانى فى مرج دابق .. ومنذ الاحتلال العثمانى لمصر حدثت أحداث كثيرة وحروب وثورات . وكانت حروب محمد على فى جملتها حروب أطماع لصالح السلطان العثمانى أو لصالح محمد على الذى انقلب على مولاه السلطان العثمانى . ورغم أن جيش مصر قد انتصر فى هذه الحروب الظافرة وهو جيش الفلاحين ، فانه لم يكن يحقق لمصر شيئا تسعى اليه .

بل ان هذه الحروب سببت للشعب المصرى متاعب لا دخل له فيها ، ولم يكن راغبا فى خوضها .

وبعد ذلك حدثت حرب خاسرة فى عصر اسماعيل هى حرب الحبشة .. ثم كانت الحرب التى خاضها عرابى وخسرها وأدت الى الاحتلال البريطانى لمصر . وبعد ذلك حدثت الحروب الصهيونية الثلاثة فى أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .. وكانت كلها خاسرة حتى وقعت حرب أكتوبر ١٩٧٣ التى دارت فيها المعركة الفاصلة مع الصهيونية .

لقد كان السادات يحارب فى جبهات متعددة ، فى الداخل والخارج .

كان يحارب الهزيمة بالعمل فى صبر وصمت ..

وعندما اشتد الصراع الفكرى فى مصر بين الذين يقولون بالتناطح مع أمريكا ، والذين يقولون انه من المستحيل قيام هذا التناطح ، تركهم السادات يتناطحون معا ، وكانوا من الفرقاء الذين يريدون السلطة أو الشهرة أو غيرهما ، ولم يكن وجه صراعهم الفكرى مصريا على الاطلاق ، ومعظمهم من الأذكياء الذين يجهلون حقيقة مصر وتاريخ مصر . وكل حصيلتهم هى ما يصفه عامة المصريين بكلمة (الأونطة) ، وهى كلمة لها مدلولات فى قاموس الفكر المصرى ، وليس لها أصل لغوى معروف ، أو تفسير محدد . ولكنها فى عرف العامة من المصريين تدل على

الخداع والعبث واللعب بالعقول واصطناع الوسائل الخفية من أجل الخطف والسلب ، بغير أن يصل القانون الى أصحابه .

واستطاعت هذه الفئة الوصول الى مراكز خطيرة فى الاتحاد الاشتراكى وفى بقية أجهزة الاعلام ، وحاولت ايهام الجماهير بأنها تحقق المكاسب الشعبية ، ولكن الجماهير انعزلت عنها ، وعرفت انها فئات ضالة ومخادعة ، وهى فوق ذلك انتهازية ومنحرفة ولها سوابق فى الاستغلال ، وفى نفس الوقت توجه للآخرين مختلف التهم ، ولا يهمها فى ذلك شىء الا الدفاع عن مصالحها ، وأحيانا يقدمون للاتهام من يستحقون الاتهام أو لا يستحقون الاتهام فيحدث التهليل الديماجوجى من المتهمين الأصليين لأنهم اكتشفوا أعداء الشعب ، ويريدون أن يضعوا أعناقهم على المقصلة . ولكن الغالبية العظمى من المتهمين كانوا من الشرفاء الذين علقوا على المقصلة بسبب دفاعهم عن الحرية ، وعن حقوق الشعب .

وعاشت فئة ثالثة فى الظل على أرصفة المقاهى ، وتجرعت أحزانها فى مناقشة المغلوبين على أمرهم فى المجتمع الذى مزقته الهزيمة .

وكانت هناك كلمة سائدة على ألسنة الشرفاء من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين وغيرهم من الذين حملوا عبء الهزيمة وعاشوا فترة اللا حرب واللا سلم .

كانت كلمتهم السائدة هى :

— ما هو المصير ؟ الموت خير من هذه الحياة .

ووسط الأزمة كان السادات فى قمة السلطة ، ، وقد قال منذ البداية انه لم يكن يريدها ولا يفكر فيها ولا يسعى اليها .

ثم أصبحت القضية المطروحة أمامه هى قضية الحرب والسلام .. لا حرب ولا سلام . وقد وصل الى القمة والقضية أيضا فى القمة .

نحن لا نستطيع أن نناطح أمريكا ونحن لا نستطيع أن نخضع للاتحاد السوفييتى .

ولكن أين مصر ؟ ان مصر لا تناطح ولا تخضع ؟ لأنها تملك التاريخ ، وتملك أن تغير التاريخ . واستل السادات سيفه كما قال أحد الصحفيين الأجانب قبل حرب اكتوبر ليغير التاريخ ، وكانت فترة التغيير قاسية مريرة خلال الثلاث سنوات من أكتوبر ١٩٧٠ حين تولى السلطة وحتى أكتوبر ١٩٧٣ حين حقق المعجزة ، وجعل الفترة التاريخية القصيرة كافية لمواجهة المخطط الصهيونى ولتأكيد شخصية مصر التى مزقتها الأحداث وتوحيد العرب الذين فرقتهم السياسات . واستطاع أن يداوى جروح الشعب المصرى عن طريق استعادة الحرية فأحس كل مواطن فى مصر أنه انتقل من مرحلة الى مرحلة .

وقد وصفت الصحافة العالمية هذا الشعور فى مقالات عديدة تعبر عن ملاحظة الصحفيين الأجانب الذين وفدوا الى مصر بأنهم أحسوا أن شيئا يتغير فوق أرض النيل .

وكان هذا التغيير منـــذ البداية هو احساس السادات بأنه مواطن مصرى يؤمن بالحرية والديمقراطية وأن كل مواطن لابد وأن يصل الى الحرية والديمقراطية ، فتحررت الشخصية المصرية التى أعتقد كثيرون أنها شخصية خاضعة ، وكان العكس هـــو الصحيح لأنها استطاعت منذ البداية أن تخضع الطبيعة لارادتها فأخضعت فيضانات النيل عن طريق بناء الجســور والخزانات والمحاولة الدائمة بالوسائل العلمية لوقف اخطار هذه الفيضانات وجعلت للنيل مقياسا تقاس به درجات الفيضانات حتى تعلمها قبل أن تحدث الأخطار ، وفى عهد الفراعنة حدث أول تحويل لمجرى النيل اتقاء لاخطاره ونشأت بسبب ذلك منطقة الفيوم .

كما أن المصريين الذين اتهموا دائما بالخضوع استطاعوا أن يحققوا فى مصر الفكرة الشائعة وهى أن مصر تستطيع أن تصهر الآخرين ولكن الآخرين لا يستطيعون أن يحولوا المصريين عن مصريتهم مهما اشتدت الأزمات .

وعندما بلغت الأزمة الفكرية مداها بين التناطح مع أمريكا وبين الخضوع للاتحاد السوفييتى سألنى أحد كبار الصحفيين الأجانب .

— نحن لا نفهم ماذا تريدون فقد قرأت مقالات فى الصحف المصرية تدعو الى التحالف مع احدى الكتلتين ؟

وقلت له : ان مصر رغم أنها دولة صغيرة ومحدودة الموارد الطبيعية وأصيبت بالتخلف كما يصاب الانسان بالمرض فانها تستطيع أن تواجه كل الغزوات .

وخلال تلك الفترة كان بعض الناس فى أوروبا وأمريكا يتندرون على مصر وجيش مصر وقد اخترعوا نكتة فى سنة ١٩٧٢ تقول أن الجيش المصرى يستحق جائزة نوبل للسلام لأنه جيش لا يحارب .

أن العقلية المصرية تختلف عن العقلية الأوروبية أو الأمريكية .

ومنذ آلاف السنين قال هيرودوت « أن المصريين يفكرون كما لا يفكر الآخرون » وفى العصر الحديث قال أحد المؤلفين الألمان وهو الدكتور ويلهلم ويلنجر « ان المصريين يحبون الكتاب أكثر من حبهم للسيف ولكنهم يدافعون عن الكتاب بالسيف » وهذه الكلمة تدل على عشق المصريين للفكر والثقافة .

ولذلك كانت المناقشات حول خضوع مصر أو صراعها ضد القوى الأجنبية مناقشات لا قيمة لها ، وكان السادات يدرك ذلك ادراكا كاملا واتخذ قراره من وحى مصر التى تستطيع دائما مقاومة الغزاة .

وعندما أعلن فى بريونى عند لقائه مع الماريشال تيتو فى أعقاب الحرب أنه أصدر قراره بالحرب فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ضد ارادة القوى الأعظم كان يعبر عن روح مصر وكان يؤمن ايمانا كاملا بأن الجنود الذين استطاعوا قهر الصليبيين فى حطين وقهر التتار فى عين جالوت وقهر لويس التاسع فى المنصورة وأن الشعب الذى استطاع أن يحارب فى حرب شعبية شاملة حملة بونابرت وحملة فريزر يستطيع دائما أن يحمل عبء الكفاح .

ولم يكن القرار الذى اتخذه السادات بعيدا عن التاريخ ، بل انه عندما كان يتحدث فى خطبه وأحاديثه عن الحروب الصليبية والحروب الصهيونية انما كان يستلهم من مسار التـاريخ طريقا يستطيع سلوكه وقد سلك هذا الطريق خلال التجربة التاريخية المصرية التى أكدت دائما أن مصر تستطيع البقاء والصمود والحرب والانتصار . وانها حينما لا تكون مقبرة للغزاة تستطيع أيضا أن تدفن الهزيمة فى رمال الصحراء أو تحت صخور الجبال . وليس هذا الكلام من خيال الشعراء ولكنه من واقع التاريخ .

أحيانا يختلط الواقع بالخيال فيصبح الواقع خيالا ويصبح الخيال واقعا . وعندما تصبح القصيدة أغنية على شاطىء النيل تتحول الكلمات الى طائرات ودبابات .

المعجزة المصرية لا يملكها أحد غير مصر بواقعها وتاريخهـا وحضارتها وذات يوم قالت جولدا مائير : أنا لا أخاف الا من المصريين ... وسبب ذلك أن التية الأول لبنى اسرائيل كان على يد المصريين فى سيناء ولا زال هنالك واد فى سيناء يطلق عليه اسم وادى التيه وقد تاه فيه اليهود أربعين سنة وعبدوا العجل الذهبى ولا زالوا يتذكرون هذا التيه حتى اليوم .

وعندما سأل هنرى كيسنجر أحد الصحفيين المصريين :

— منذ متى كانت سيناء أرض مصرية ؟

وأجاب الصحفى المصرى أجابة غير مقنعة تقـول ان احدى الأميرات أرسلت من العريش رسالة الى زوجها فى طيبة أو منف ولكن الاجابة هى أن التوراة أجابت على هذا السؤال حين ذكرت أن موسى عليه السلام خرج من مصر مع اليهود الذين تاهوا فى سيناء ولم تذكر التوراة أن موسى جاء من اسرائيل الى مصر .

وهذه حقيقة تاريخية ومؤداها أن اليهود لم يكن لهم وجود قبل موسى عليه السلام وانهم كانوا يعيشون فى مصر وخرجوا منها وعبروا سيناء المصرية وتاهوا فيها ثم ذهبوا الى فلسطين وهذه النصوص ثابتة فى التوراة وليست هـذه هى المشكلة فى الصراع العربى الاسرائيلى لأن الأفكار التى تثيرها الصهيونية العالمية فى جملتها تشبه هذا الفكر وهى تثيرها من أجل البلبلة وليس

من أجل انتظار الرد وهى تعلم أن الردود تختلف وكانت الصهيونية تعيش دائما على اثارة مثل هذه الخلافات .

ولكن أنور السادات أدرك فى فترة الصبر والصمت أنه يجب وضع حد لهذه الأفكار المتناقضة وتركها بل أنه أهملها ولم يدخل فى مناقشتها وكان السبب فى ذلك هو أنه يعرف خفاياها السياسية.

ولكنه عندما وجد أن بعض المفكرين المصريين يتجهون نحو الأفكار الانهزامية ، سارع الى علاج الموقف ، وعقد مؤتمرا لرجال الفكر والصحافة والاعلام يوم ٢٧ مارس ١٩٧٣ ، وكان فى ذلك اليوم شديد الغضب ، لأنه أحس أن كرامة مصر قد جرحت .

وبعد أن تلا فى الاجتماع بعض فقرات البيان الذى كتبه هؤلاء المفكرون ، بدأ يشرح أفكاره ، وهو يتحدث عن نفسه كصاحب فكر وقلم . فقد اشتغل بالصحافة قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ونشر مقالات وقصصا فى مجلة المصور ، ثم أصبح رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية بعد الثورة . كما أنه ألف الكتب العديدة .

فى هذا المؤتمر غلبت شخصية المفكر على شخصية رئيس الدولة ، حتى أنه أحضر معه ملفا به بعض قصاصات المقالات التى أحبها واحتفظ بها ، وقرأ فى المؤتمر بعضا منها .

وعندما تلا فقرات من بيان الانهزامية ، كانت المرارة تبدو عليه ، وهو الصبور . وكان الأسى يشيع على وجهه لأنه لا يريد أن توجد هذه الورقة فى تاريخ النضال المصرى .

كان يتحدث عن مصر حديث أجيال متعاقبة منذ سبعة آلاف سنة ، وكان يحارب الانهزامية التى أطلت برأسها ، وهو يستعد لعبور الهزيمة . ولم يكن أحد يعتقد فى ذلك اليوم من شهر مارس ١٩٧٣ أن المعجزة ستقع بعد ستة شهور لتقضى على الهزيمة القضاء الأخير .

٤ رئيس بلا أعوان

كان السادات بلا أعوان ، وقد ورث التركة المثقلة حتى أشفق عليه كثيرون من الشرفاء الذين لا يبحثون عن المصالح الشخصية فى دولة بلغ الأمر فيها أن تنشر صحيفة الاهرام قبل أن يصبح السادات رئيسا للجمهورية أنباء تهرب أحد نواب رئيس الجمهورية من الرسوم الجمركية عندما جاء من مهمة رسمية فى الاتحاد السوفييتى على متن طائرة خاصة تحمل صناديق البضائع والسلع الثمينة ، واكتفى فى ذلك الوقت بنشر خبر صغير يقول انه دفع الرسوم المطلوبة وهى عشرات الجنيهات ، ولم يسأل أحد كيف استطاع شراء هذه السلع المحمولة على طائرة خاصة ، فى الوقت الذى كان المواطن المصرى الذى يسافر الى الخارج لا يسمح له بأكثر من خمسة جنيهات مصرية يحولها الى عملات صعبة .

ولم تكن المشكلة بالنسبة للمواطن المصرى هى هذه القضية التافهة التى تنم عن الصراعات الشخصية داخل الدولة ، ولكن المشكلة كانت ضياع قيم ثورة ٢٣ يوليو التى ادعى كثيرون أنهم حراسها ، وتعلقوا بها كما يتعلق شجر اللبلاب بجدار صلب متين يغطى كل شىء فيه .

وورث السادات ضمن التركة المثقلة هذه الفئة التى شكلت مراكز القوى فى الحكومة والاتحاد الاشتراكى وأجهزة الاعلام ، وكانت لها سيطرة كاملة على كل الأماكن الحساسة فى مصر ، وأصبح الشرفاء ما بين سجين أو معتقل أو جالس على رصيف مقهى . وكانت جماهير الشعب الكادح ترقب كل ذلك فى حذر وخوف وترقب .

هزيمة يونيو ١٩٦٧ كانت كافية لأيقاظ أى ضمير حتى لا يتآمر صاحبه ضد مصر فى أحلك ساعات نضالها .. ولكن الذين استولوا على السلطة قبل أنور السادات أرادوا أن يبعدوه عن رياسة الجمهورية بعد أن أصبح رئيسا شرعيا لمصر بارادة الشعب المصرى عن طريق الاستفتاء العام .

وكانت للسادات دائما مواقف تنم عن تفكيره الحر حتى فى بعض المسائل الصغيرة ، فقد حدث خلاف حول فيلم (ميرامار) الذى كتب قصته نجيب محفوظ وكان يحمل نقدا شديدا للاتحاد الاشتراكى وتوقفت رقابة السينما عن الموافقة عليه ورؤى أن يكون السادات هو الحكم فى قضية الفيلم ، فشاهده ووافق عليه. ولم تكن قضية الفيلم عادية ، بل كانت قضية سياسية ... هل يسمح بنقد الاجهزة السياسية أو لا يسمح بالنقد ؟

ولم تستطع مراكز القوى فى ذلك الوقت معارضة رأى النائب الأول لرئيس الجمهورية ، فسكتت على مضض . وكانت فى نفس

الوقت تمول المسرحيات الهابطة من أموال الشعب المصرى، وتساعد على نشر التهريج والفساد حتى تلهى الناس عن مشكلتهم الحقيقية وهى مشكلة تحرير الأرض التى اغتصبتها اسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، واستخدمت كل أجهزة الاعلام لترديد النغمة المتخاذلة المعروفة ، حتى أصبح السؤال السائد حينذاك وليس للسادات سلطة :

ما هى النغمة الصحيحة ؟

ومنذ ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ارتفعت أصوات الأنغام الخاطئة التى أدت الى الهزيمة النفسية قبل الهزيمة العسكرية ، ثم استمرت هذه الأنغام بعد ذلك انهزامية ، وكأن المشكلة قد أصبحت محاربة المصريين من داخل مصر لا محاربة الاسرائيليين الذين يحتلون أرض مصر .

وكان السادات يرقب حركات مراكز القوى فى مواقعها ويمد لها حبل الصبر ، وقد ترك كل الأجهزة التى ورثها كما هى . فلم يغير أو يبدل ، بل ترك التركة المثقلة فى أماكنها . وكانوا يتآمرون عليه أو يتآمرون على مصر فى شخصه ، حتى أنهم ركبوا أجهزة التصنت داخل بيته ليعرفوا كل أسراره وحدث فى احدى مقابلاته مع (وليام روجرز) وزير خارجية أمريكا ، وكان يحمل فى معصمه ساعة خاصة تنبه الى وجود هذه الأجهزة ، فقال له (روجرز) انه لا داعى لتسجيل الأحاديث التى تدور بينهما عن طريق أجهزة التصنت ووقع

الرئيس فى حرج شديد ، لأنه لم يكن يعلم بوجود هذه الأجهزة فى مكتبه .

وبينما كان السادات مشحونا بكل الأفكار التى يمكن أن تحرر مصر من الاحتلال الاسرائيلى وتحرر كل الأرض العربية من هذا الاحتلال ، وتعيد حقوق شعب فلسطين ، وكانت مراكز القوى فى مصر تلعب أمام عينه على حبل السيرك ، وتحاول الاستيلاء على كرسى رئيس الجمهورية الذى لم يكن هو نفسه يفكر فيه وهو جالس عليه . والذى يتتبع تاريخ السادات يعرف أنه ليس من هواة السلطة ولم يكن يطلبها فى يوم من الأيام ولا يسعى اليها ، وكان فى استطاعته بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو أن يصل الى مراكز السلطة . وهو الذى أعلن الثورة يوم قيامها واستولى على وزارة الداخلية ، ولكنه ابتعد بعد ذلك عن كل منصب فيه سلطة ، وكانت كل أعماله فى الصحافة والمؤتمر الاسلامى ومجلس الأمة . وكان منذ اليوم الأول لقيام الثورة قادرا على تولى المناصب ، ولكنه آثر أن يسير فى الطريق الذى رسمه لنفسه .

ومن أجل التاريخ يجب أن نؤكد أن معظم الذين شكلوا مراكز القوى لم يكونوا من رجال الثورة ولم تكن لهم صلة بها ، ولا ايمان بمبادئها . وقد ظهر معظمهم فى فترة الاستعانة بأهل الثقة وابعاد أهل الخبرة ، فتقدم كل انتهازى زميله على أنه أهل ثقة ، وتشكلت العصابة التى أدت الى الهزائم المتلاحقة ، وانتهت بما

اطلقوا عليه اسم (النكسة) وكأن هزيمة يونيو ١٩٦٧ قد سبقها الانتصار المبين على الصهيونية العالمية واسرائيل .

واعتقدت جماعة مراكز القوى أنها ورثت الثورة ، وبدأت تتحدث باسمها ، وكانت قبل ذلك قد شكلت تنظيمات ارهابية داخل الاتحاد الاشتراكى ، اتخذت لنفسها صفة تحديد مواقف المواطنين ، وكتابة تقارير عنهم ، وحدث تلاحم طبيعى بين هذه الأجهزة وبين الأجهزة الأخرى التى كانت فى أيدى أصحاب مراكز القوى .

ثم أصبحت حرية المواطن فى خطر .. وأصبحت حرية الوطن أيضا فى خطر .

لقد أحكم المتآمرون خطة الحصار وكان فى يدهم الجيش والبوليس والاذاعة والتليفزيون والصحافة ومنزل رئيس الجمهورية .

وقد أعلن السادات فى خطابه يوم ١٤ مايو ١٩٧١ أنه وجد جهاز تسجيل فى غرفة مكتبه بمسكنه الخاص . كما كانت تليفونات الرئيس تحت الرقابة ، ومكالماته تسجل .

لم تكن نوايا هذه الفئة بعيدة عن تصور الرئيس ، وعندما ثارت القضية التى كانت مثل القشة التى قصمت ظهر البعير ، كشف المتآمرون عن وجودهم بصراحة . فقد تم الاتفاق فى بنى غازى بين مصر وسوريا وليبيا على قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة على أن تكون كل دولة كاملة بمقوماتها ، برئيسها ،

بحكومتها ، ببرلمـــانها ، بجيشها بكل أجهـــزتها ويكون للدولة الجديدة بهذا المفهوم مجلس رئاسة ينتخب له رئيسا . وقد اعتذر السودان عن الدخول فى هذا الشكل من أشكال الوحدة بسبب ظروفه الخاصة .

ووجدت المؤامرة المبيتة فرصتها عند مناقشة هـــذا الموضوع الذى كان يهدف فى الأصل الى تحقيق نوع من الوحـــدة العربية لمواجهة اسرائيل والاستعداد للمعركة .

ولم يتطرق البحث اطلاقا الى التفكير فى ايجاد وحدة كاملة كما حدث فى عام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا عندما قامت الجمهورية العربية المتحدة . لأن تجربة هذه الوحدة وما أعقبها من انفصال فى عام ١٩٦١ لا زالت ماثلة للأذهان ، ولم يفكر السادات فى اعادة المأساة مرة أخرى حرصا منه على فكرة الوحدة العربية التى يؤمن بها . والتى حققها فيما بعد عندما قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وانتقل الصراع الى اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى وقد شرح الرئيس حقائق هذا الصراع فقال :

« لأول مرة لاقيت الصراع الغـــريب ، السيد/على صبرى خاد الكلمة فى الأول واتكلم ساب مواد الاتفـــاق وقال ان الأسلوب اللى تم به الاتفاق له عليه ملاحظات ، وعلى المواد له ملاحظات . لكن ، اللى أنا فوجئت به ، ان المســألة ماكننش مناقشـــة للخـــلاف على الرأى ، أو مناقشة أيهما أصلح ، أو مناقشة موضوعية فى الموضوع

اللى احنا فيه ، لا ، عملية غريبة قوى . عملية واضح فيها الصراع . الصراع بكل الطرق وبكل الأساليب وعن طريق التجريح ، حتى مش بس فيه انا بل التجريح فى الوفود الأخرى اللى كانت معانا ، وبأساوب لا يمكن أن يقبله أحد ، وده متسجل لأن الميكروفونات كانت فوق الترابيزة من تحت الترابيزة ومتسجلة الجلسة .

ذهلت حقيقة ، لأن لأول مرة بشوف عمليات صراع . وأنا كنت حضرت زمان قبل الثورة طريقة المناورات السياسية بتاعت الأحزاب ، وكنت عايش أنا الفترة دى وعرفت أساليب ، ازاى لما عايزين يقاطعوا اتفاق أو عايزين واحد يناور على واحد ، أو يجرح واحد ، ازاى يلجأ للمناورة والالف ولاستخدام أساليب أقل ما يقال فيها انها غير شريفة : أنا حقيقة فوجئت ..

مشيت الكلمة بعد ذلك ، أنا قلت والله احنا فى موقف نحدد فيه الرأى ، لأن أنا باعتبر هذا الاتفاق ، اتفاق من أجل المعركة ، منطلقه هو المعركة ، وأنا مؤمن ان كل شىء يخدم المعركة بدون أدنى تردد لازم أبذل دمى حتما فيه . لأن ولادنا جاهزين حيبذلوا دمهم فى المعركة فأنا بافتكر أن دى لحظة لازم نحدد مواقفنا وخصوصا لأن لاقيت ان العملية فيها صراع .

بصيت لاقيت الآتى : فى التصويت .. السيد على صبرى بيعارض ، السيد عبد المحسن أبو النور بيعارض ، السيد ضياء الدين داوود بعد ما قال كلمته وخطبته وبناها كلها على طريقة وأساوب السيد على صبرى بيعارض أيضا .. السيد شعراوى جمعه

بيعارض .. السيد لبيب شقير بيعارض ، خمسة ، واحنا كنا ثمانية .

اللى وافق على الاتفــاق الدكتور فوزى ، والسيد حسين الشافعى ، وأنا .

وأراد السادات أن يحسم الخلاف بطريق ديمقراطى وعرض الموضــوع على اللجنــة المركــزية واستمرت المناقشــة أربع ساعات ، وظهــر خلالها أن توجيهات المتآمرين ضد الرئيس تنفذ بدقة وقد حدث هرج ومرج ومسح الأرض بنعال الأحذية ، وانكشفت المهزلة .

ثم حدثت المفــاجأة التى رواها الرئيس بنفسه ، فقال :

مساء الاربعاء الساعة الواحدة بالليــل أفاجأ بأن واحــد طالب مقابلتى ، شاب صغير ، وبيقول أنا لازم آقابل الرئيس دلوقت فورا . وأنا فى بيتى الناس بييجوا الناس كلهــا بيطلبوا لما بيكون عندى وقت مافيش فيه زيارات رسمية ولا حاجة بييجوا ، بنشوفهم .. قاعد أنا الساعة واحدة بالليل مش معقول يعنى فقالوا مش ممكن . قال طيب بس اسألوا صاحى واللا نايم . قالوا صاحى بس مش ممكن الساعة واحدة بعد نص الليل . قال طيب بلغوه قولوا له انه ده أمر فى غاية الخطورة .

بلغونى . قالوا فيه واحــد بيقول فيه أمر فى غاية الخطورة ..ايه يعنى حيكون فى غاية الخطورة ياجماعة .

قلت لهم : اسألوه قولوا له حول ايه ، لأن الانسان برضه أهو يحتاط علشان مايحرجوش ، كان ممكن أقول خليك يابنى للصبح ، الخطورة مش حيجرى حاجة من

الساعة واحدة بالليل لغاية الصبح لكن الخطورة برضه الانسان بيحسب يمكن فيه شيء يمس الوضع بتاعنا واحنا فى المعركة .

قالوا له ايه يعنى ... الرئيس بيسألك بيقول لك : ايه يعنى ايه الموضوع اللى انت عاوز تعرضه وايه وجه الخطورة فيه : أم قال طيب ، خدوا الشريطين دول أدوهم للرئيس يسمعهم على ريكوردر عنده وبعدها يقرر ان كان الامر يساوى انه يشوفنى والا لأ ؟؟

جابولى الشريطين وقالوا بيقول خد الشريطين دول اديهم للرئيس يسمعهم ويشوف ان كان الأمر يساوى انه يشوفنى ولا لأ .

جونى الشريطين والله قاعد ، وكنت راجع من الجبهة فى منتهى السعادة يومها . بقول لما بشوف ولادنا فى الجبهة وبسمع مناقشاتهم وفهمهم ووعيهم والفداء والرجولة واحساسهم بمسئوليتهم .. الانسان ينفعل .

أنا كنت سعيد ومنفعل جدا وقاعد سهران بالرغم انى كنت تعبان . وأنا راجع يومها . الا أنى دورت الشريط . أول شريط ، لقيت أول شريط بيحكى قصة اجتماع اللجنة المركزية الأول ... غريبة ! دا الكلام اللى أنا سامعه ده بالحرف ، واحد بيحكيه لواحد تانى فى التليفون والشريط ده مسجل بواسطة الرقابة على التليفونات اللى من الداخلية .. فى جهاز رقابة فى الداخلية أتاريه مشرى من زمان من أيام أحد رؤساء الوزرات بتوع زمان ... مش بتوع زمان يعنى ، أحد رؤساء الوزارات القريبين ، أتاريه كان شاريه ومعاه كان

فى رياسة مجلس الوزراء وبعدين وداه الداخلية ويراقب التليفونات .

الشيء الغريب ان تفاصيل اللى جرا فى اللجنة المركزية بالنص ، واحد بيحكيها لواحد تانى .. بس استلفت نظرى شيء غريب .. تفاصيل كاملة ، لكن فيه نقطتين فى غاية الخطورة النقطة الاولانية انه بعد ما اجتمعنا فى اللجنة العليا زى ما قلت لكم واختلفنا واخذت الأصوات وطلعنا ٥ ضد ٣ - أتارى الخمسة منهم ناس مباشرة بعد الاجتماع ، لما عرفوا ان احنا رايحين اللجنة المركزية مباشرة بعد انتهاء الاجتماع - المفروض ان اجتماعات اللجنة العليا اللى هى أعلى مستوى سياسى فى البلد ، واللى المفروض نأخذ فيها قرار الحرب مثلا أو نقرر مصير البلد - أول ما وصلوا لمكاتبهم بعد الاجتماع ابتدوا راحوا موزعين أتباعهم ونزلوهم على أنحاء البلد كلها يروحوا لأعضاء اللجنة المركزية فى الاسكندرية وفى البحيرة وفى المنصورة وفى كل حته - ليه ؟ لأنه كان فاصل ٣ أيام على اجتماع اللجنة المركزية ، يفهموهم ايه اللى جرى فى اللجنة العليا .. وانه لازم الاعضاء تيجى جاهزة وترفض . مع ان احنا فى اللجنة العليا ماناقشناش الموضوع ... زى ما حكيت لكم وقلت لكم ان كان فيه أشياء غير شريفة حصلت ، وأساليب غير شريفة يعنى أنا معنديش فكرة عن الموضوع ده كله .

أنا فاهم ان العملية تلقائية ، احنا لما كنا فى اللجنة العليا ونزلنا اللجنة المركزية الكلام بتاع السيد على صبرى والأسلوب اللى لجأ اليه . داللى حب يسحبه بعد كده وانا رفضت لأنه ده لازم يتسجل وهو مسجل

على اشرطة عندنا النهاردة التاريخ علشان محدش يعود اليه أبدا تانى .

أنا متصور انه يمكن طريقة الكلام ده هى اللى خلت اعضــاء اللجنــة كانوا متلخبطين وعملوا الهيصة اللى حصلت . لا ، الشريط بيحكى بقه بالتفصيل . ازاى أعضاء اللجنة العليا ينزلوا ويبعتوا ناسهم ويحكوا كل ما جرى فى اللجنة العليا وبتحريف ، الهدف منه لابد من اسقاط اتفاق الاتحاد استمرارا لعملية الصراع .

وأنا قاعد عادى خالص ، اجتماع اللجنة العليا كان الأحــد ، السبت فات عليه شعراوى جمعــه يقول له : الاجتمــــاع بكره . قاللى آه ، قلت له : طيب أنا عايز الناس تقول رأيها فى اللجنة المركزية الحقيقية ، وعايز كل واحد يأخذ فرصته . ليه ؟ لأن باعتبر ده أمر حيوى جدا واحنا لجأنا لأسلوب تانى انا لا أقبله أسلوب الصراع ده فأنا عايز نحسم المسائل دى كلهــا ونكون واضحين واللجنة المركزية تشترك معانا فيها .

فقال لى اللجنــة المركزية جاهــزة تماما وكل شىء تمام ..

الشريط زى ما قلت لكم الأول بيحكى قصة اللجنة . الاجتمــاع الأولانى ، وبيقــرر نقطتين خطيرتين النقطة الأولانية دى . والنقطة الثانية . عضو اللجنــة المركزية اللى بيحكى فى التليفون لزميله لصاحبه ماهوش عضو لجنة . ده بيحكيها للراجل التانى مش عضــو لجنة . انما اللى بيحكى عضو لجنة مركزية لأنه قاعد جوه وحكى والشريط واضح فيه بالكامل . قام التانى يقول له ايه ؟ قاله والله والرئيس دخل يعنى وتكلم كلمة شدت اللجنة

كلها . لكن احنا كنا مجهزين ، وهرجنا ورا بعض ولا ..
لا .. احنا لازم عايزين نسمع صوت السيد على صبرى هيه .. هيه .. وموضيين كل ده .. باين فى الشريط الكلام ده حصل كله والله الأخطر انه قال له : طيب ايه كان موقف الرئيس ؟ قال له الرئيس قال ان أنا مش مستعد أقبل وصاية عليه من حد ، وانا بحط قدامكم الموضوع للمناقشة الموضوعية واللى بيجرى داوقتى صراع وليس مناقشة وانا لا اقبل الصراع . وانا مستمر فى هذه الجلسة لغاية ما كل عضو يقول رأيه .. ويحدد موقفه بصراحة .

قال له يعنى مش حيتراجع ، لا ، مش حيتراجع ـ قام الثانى يسأل عضو اللجنة المركزية بقه بيقول له ايه ... أوعوا تكونوا معملتوش حساب الاذاعة ، قام قال لا ، معمول حسابها . اذاعة ايه ؟

استلفت نظرى ان نزول اللجنة العليا واستخدام عربيات الاتحاد الاشتراكى . ومواد الاتحاد الاشتراكى علشان تضليل أعضاء اللجنة المركزية ، واستخدام الأساليب والمناورات السياسية وكشف كل مناقشات اللجنة العليا وبطريقة ملتوية ياريت اللى جرى كان يهدف اسقاط الاتفاق ، ده كله علشان احراج الرئيس والصراع الآلى مع الرئيس . دى استلفتت نظرى .

لكن الاذاعة ماكنتوش عاملين حساب الاذاعة ليه ؟ قال له : لا ، كنا عاملين حساب الاذاعة .

واقف قدامى . وانا باسمع الشريط ، السكرتير بتاعى اللى جايب لى الأشرطة من تحت من الراجل اللى جه . قام لقانى عند حكاية الاذاعة التفت ، يعنى شىء

مذهل جـــداً ايه ده ! ـ متأسف يا افنـــدم ، أنا ماقلتلكش ـ من سبعة أيام جانى هنا فلان الفلانى وأبلغنى ان يوم اجتمـاع اللجنـة المركزية الأول الاذاعة كانت محاصرة بطريقة .. مش بناس لابسين رسمى ولا حاجة لا ، انما بشكل ناس مخبرين عاديين ، ولكن محاصرة ، واللى جه بلغنى ـ واسمه فلان ـ قال انه عرف هذا من المكتب الفـلانى فى الاتحـاد الاشتراكى وأنهم مجهزين عشان اذا الرئيس نزل من اللجنـة المركزية وراح على الاذاعة يخاطب الشعب تمنعه المخبرين اللى محاصرين الاذاعة . ويمنع من أنه يخاطب الشعب . قلت له طيب مقلتليش ليه أيامها ؟ قال لى والله لقيت بعدها بيومين اللجنة المركزية انعقدت والاجتماع اللى حصل اتفـاق بالاجماع واعتبرت الموضوع منتهى واعتبرته تبليـغ عادى .

أنا هنا توقفت بأه ، افشاء أسرار اللجنـة العليـا وبطريقـة ملتوية ، واستخدام أساليب حزبية زى اللى حكيت لكم عنها كلها ، ودول اللى فى أيديهم مصير مصر يقرروه ، مصير البلد ومصير المعركة ومصير ولادى اللى قاعدين على القنال ، والاذاعة محاصرة .. طيب ، دى انقلاب ، أنا تصورتها كده .. لما بيجى رئيس الجمهورية داخل الاذاعة ويقولوا له : لا ، منتش داخل متقدرش تخش اذا كان عايز يكلم الشعب فى اى موضوع .

وأنا زى ما قلت لكم كلامى ، لشعراوى جمعة وللكل .. ان أنا كل مشاكلى عايز أحلهـــا بالشـعب مش بالاجراءات الاستثنائية . كل حاجة نختلف فيها تعالوا نحطها قدام الشعب . ونقول له أحكم يا شعب ونعود شعبنا بقى انه ياخد دوره الكامل والسيطرة على مصيره

وقلت الكلام ده فى أول مايو . هم عملوا حسابهم وحاصروها .. طب اللى حاصرها ده جهاز الأمن بتاعى أنا ولا أنا دريان .

ماكتفتشى ، قلت طيب ، هات الشريط الثانى ، نفس عضو اللجنة المركزية اللى فى الشريط الأول بيحكى عن قصة اجتماع الهيئة البرلمانية ، وبيشتكى انه ما قدرشى ينفذ الخطة اللى كان متفق عليها وبيقول ايه بالذات .. ما كناش نقدر نهبش الرئيس . لأن لو هبشناه بطريقة الكلام اللى كان بيتكلمه كان المجلس قام علينا يموتونا كلنا ، فكان قاعد ورايا فلان الفلانى (عضو من اللى منضمين لهم ، عضو من اعضاء مجلس الأمة ومن المجموعة الجديدة اللى عاملة الحلقة دى) شاور لى وقال لى لا . ما تتكلمشى خلاص لأنه واضح ان كلام الرئيس مش ممكن حد يقدر يرد عليه واذا حد رد حايبقى وضعهم سيىء جدا لدرجة انه يمكن المجلس قام علينا يموتنا كلنا ، فكان قاعد ورايا فلان الفلانى وبهدلهوبيشتكى عضو مجلس الأمة هذا فى المكالمة التليفونية دى : انه اتهزأ وانه عيب كدا التهزىء ، وانه دا ما كانش فى ايده انه يعمل حاجة .

وبدأت حركة الاستقالات الجماعية التى ارسلت الى السادات ، بينما كان كل واحد من المتآمرين فى موقعه .

وزير الحربية كان فى مكتبه لادارة المعركة ضد الشعب المصرى .

ووزير الداخلية كان يعتقد أنه مسيطر تمـاما على أجهزة الأمن ، فظل يراقب الحركة وهو مطمئن الى أن البلد فى يده .

ووزير الاعلام جالس فى مبنى الاذاعة . ليـذيع البيانات ، وقد بدأت اذاعة صوت العرب تغير برامجها فعلا ، وتذيع الأناشيد . ثم أذاعت الاستقالات الجماعية بينما حوصر مبنى الاذاعة .

وفى المساء بدأ الاتحاد الاشتراكى ينظم مظاهرات فى القاهرة وخرج بعض الشباب المخدوعين الى الشوارع يهتفون هتافات مختلفة على أمل أن تنضم اليهم جماهير الشعب للمناداة بعلى صبرى رئيسا للجمهورية . وكانوا يهتفون بذلك ولكن الذى حدث هو أن جماهير الشعب كانت تنظر الى المتظاهرين باستخفاف ، وكانت تقـول لهم الكلمة الشهيرة التى قالها السادات .

ـ عيب ... عيب ...

ولم تلبث جمـوع الشباب الاشتراكى الذى خدعه المتآمرون أن تبددوا فى زحام المـدينة بعـد أن ضاعت هتافاتهم فى الهـواء ، ولم يجدوا صدى لأصواتهم التى رددت فى الشوارع هتافا هزيلا .

ـ حـــرية اشـــتراكية ... على صبرى رئيس جمهورية .

لقد انفصل الشعب عن حركة المتآمرين منذ اللحظة الأولى .. ونامت القاهرة فى تلك الليلة ليشرق عليها يوم جديد هو يوم ١٥ مايو ١٩٧١ الذى بدأ مع التصحيح الجذرى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وكان السادات الذى أعلن بيان الثورة ودخل وزارة الداخلية فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ليطهر ردهاتها من ملفــات البوليس السياسى . هو نفسه الذى وقف بعد حركة ١٥ مايو ١٩٧١ ليحرق أشرطة التسجيل التى سجلها أشرار المؤامرة ضد المواطنين .

ومنذ تلك اللحظة بدأ السادات يعيــد للثورة وجهها الطيب الناصع الذى لا يعرف الأحقاد والمؤامرات ، ولا يعرف السجون والمعتقــلات .

والتقى السادات يوم ١٤ مايو برجال القضــاء وقال لهم عندما زاروه :

« ليس لى الا أن أتوجه اليكم من كل أعماقى بخالص الشكر فى هذه اللحظات التاريخية من حياة وطننا ، ولكننى أعاهدكم وأعاهد الشعب من خلالكم أن يسود القانون وأن تقنن الثورة وأن لا يكون هناك على الاطلاق أى اجراء الا وله قانون .

فى نفس الوقت فاننى لحماية المجتمع والأمن والطمأنينة لشعبنا الذى نسعى الى بنائه بناء حرا آمنا ، لن أتردد أبدا فى أن أسحق أية محاولة .

أعاهدكم وأعاهد الشعب من خلالكم أن لا أســمح على الاطلاق بل سأسحق أى محاولة للنيل من حرية هــذا الــوطن وحرية المواطن .

بل أقولها عالية وصريحة أننى سأسحق أى مركز قوة مهما كان .. ولن يبقى ولن يعيش الا شعبنا الطيب الأصيل كمركز القوة الحقيقى وكمركز القوة الوحيد لكل مصدر من مصادر حياتنا فى هذا البلد » .

وبعد أيام وفى ٢٠ مايو ١٩٧١ توجه السادات الى مجلس الشعب كعادته عندما يحدث أمر خطير وبدأ حديثه بالكلام عن المستقبل وقسم خطابه الى قسمين الأول عن المعركة والثانى عن بناء الدولة الجديدة .

ولم يطل حديثه عن المؤامرة .. بل انه قال « ان عملية التصحيح التى قام بها الشعب فى ١٥ مايو لا تصنع زعامة جديدة لأنور السادات ، ولا تعطى قيادة جديدة لأنور السادات ولكن قيمتها وأصالتها أنها تعطى القيادة والزعامة ، ويجب أن تعطى القيادة والزعامة لتحالف قوى الشعب العاملة » .

لقد أدار ظهره نهائيا لكل ما حدث فى المؤامرة . وبعد خمسة أيام من وقوعها وبدأ يصحح مسار ثورة ٢٣ يوليو التى كانت قد انحرفت عن أهدافها الحقيقية .

وكان المتآمرون يستغلون كلمة الاشتراكية استغلالا رهيبا ويدعون أنهم الاشتراكيون الوحيدون فى مصر ، وأرادوا أن يغيروا أفكار الشباب فأنشأوا منظمات سرية تلقن الشباب المصرى أفكارا دخيلة لا علاقة لها بواقع المجتمع المصرى وأقاموا معاهد

ومعسكرات لنشر المبادىء الدخيلة بين الشباب البرىء الذى استغلوه فى مراقبة المواطنين داخل مراكز أعمالهم فى المصانع والمكاتب . وكتابة تقارير عنهم ، حتى أصبحت الجاسوسية الداخلية عرفا سائدا وأهملت القضية الأصلية ، التى يتحدث عنها السادات دائما وهى قضية المعركة مع اسرائيل وتحرير الأرض المغتصبة واستعادة حقوق شعب فلسطين .

لقد تغيرت مفاهيم الحرية والاشتراكية والوحدة التى تعتبر ركائز ثورة ٢٣ يوليو .

لم تعد للحرية قيمة ، بل انه لم يعد لها وجود فى غياب سلطان القانون . وقد بلغ التحدى مداه عندما أعلن أحد محافظى القاهرة ذات يوم أن القانون فى أجازة . وبدأ يمارس سلطاته التعسفية ضد المواطنين . واستشرى هذا الداء الخطير الذى أوشك أن يأكل جسد الأمة المصرية فلم يعد المواطن يأمن على نفسه أو ماله وفى غيبة القانون انتشرت ألوان من المفاسد بصورة تلفت النظر وكان طبيعيا أن تجد النفوس الضعيفة مرتعا خصبا فى هذا الجو الشاذ الذى صنعه كبار المسئولين ، فكثرت الاختلاسات وأصبحت الرشوة شبه علنية وفقد الوازع الدينى والأخلاقى قوته التى كانت من أعظم ميزات مصر .

كان يقال ان الشرطى معذور اذا تقاضى الرشوة وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، عثر شرطى فى احدى المحافظات على مبلغ يزيد

عن الثلاثمائة جنيه ، ورده الى صاحبه وكان سائق تاكسى . ولما عرض على الشرطى أن يتقاضى مكافأة الأمانة وقدره عشرة فى المائة من هذا المبلغ رفض ذلك ، وقال ان ضميره لا يستحل قرشا واحدا ، كما نشرت الصحف أن تلميذا صغيرا عثر على مبلغ كبير فسلمه لناظر مدرسته .

وقبل ذلك كان كبار المسئولين يستحلون لأنفسهم ما لا يحله الله لهم ، ويتباهون بأنهم منحوا القانون أجازة اجبارية ..

وكان أعظم ما حققته حركة التصحيح فى مصر هو سيادة القانون ، وكان السادات هو بطل هذه السيادة التى غيرت كل شيء فى مصر . فعادت الطمأنينة الى النفوس . وبدأ المواطن المصرى يستعيد نفسه .

أما الاشتراكية التى كان المتآمرون يرتدون ثيابها المزيفة ، ويرفعون شعاراتها الكاذبة فقد أعادها السادات الى حقيقتها النابعة من ضمير الشعب المصرى .

وهناك حادث غريب حدث فى مصر .

عندما جاء الكاتب الفرنسى (جان بول سارتر) لزيارتها فى عام ١٩٦٨ وذهبوا به الى احدى قرى المنوفية الاقليم الذى نشأ فيه السادات ، وكان أحد أبناء هذه القرية قد اتهم بأنه اقطاعى بسبب مقتل أحد أقاربه . وهى القضية المعروفة باسم « قضية

كمشيش » ، وأعدت مناقشة بين سارتر وبين الفـلاحين تحت اشراف أصحاب مراكز القوى . وكانت مناقشة ساذجة حتى أن أحدهم سأل سارتر :

— هل عندكم اقطاع فى فرنسا ؟

وكان الذى لفت نظر سارتر أن خيول صاحب الأرض الذى كان يهوى تربينها ، وجدت محبوسة داخـل حظائرها فقـال سارتر :

— لقد حبسوا الرجل .. لماذا حبسوا الخيول ؟

وعندما ذهب سارتر الى اسرائيل أعلن أنه يفضل الفـلاح الاسرائيلى على الفلاح المصرى .

كانت الاشتراكية فى مصر تهتز تحت ضربات هوجاء أوشكت أن تفقد المجتمع توازنه .

وكان السادات يعرف حقيقة مصر .

لقد نشرت مجلة « شئون خارجية » الأمريكية مقالا للرئيس فى أكتوبر ١٩٧٢ ، قال فيه :

« ان مصر بلد عمره سبعة آلاف سنة ، وله معتقدات وتقاليد عميقة الجذور ، ولعل هذا البلد بدأ عبادة الله قبل أى بلد آخر ، وان التوحيد عندنا منذ أخناتون والفلاح المصرى يحب قطعـة

الأرض الصغيرة التى يملكها ، ويتطلع الى توريثها لابنه . ولذلك فان الاشتراكية فى مصر كان يجب أن تكون مختلفة » .

وهذا التصوير الواقعى لحقيقة المجتمع المصرى ، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن التجربة الاشتراكية المصرية نابعة من روح مصر وفكرها ، ولا يمكن أن ترتبط بالمذاهب الدخيلة ، بل انها طردت هذه المذاهب من ساحتها ، ورفضتها رفضا قاطعا لأنها تجربة تقوم أساسا على مبادىء الايمان وعبادة الله الواحد .

ولقد وصف الرئيس حقيقة حركة التصحيح التى قامت فى مايو ١٩٧١ ، وشرح أهدافها فى خطابه الذى ألقاه بجامعة الاسكندرية مساء ٣ أبريل ١٩٧٤ قائلا :

« ان حركة التصحيح التى بدأت فى مايو سنة ٧١ وان كانت قد عجلت بها مؤامرات بعض مراكز القوى ، الا أنها فى جوهرها كانت أمرا ضروريا حتى تضع شعبنا فى الوضع الأكثر ملاءمة فى تحمل أعباء المعركة والمساهمة فى احداث النصر .

لقد كشفت هزيمة ٦٧ سلبيات كثيرة فى حياتنا ، كانت تشوه وجه تجربتنا الثورية . ومنذ افاقة الشعب من صدمة النكسة بدأ يطالب بالتغيير والتصحيح فى الكثير من مجالات الحياة .

كانت الرغبة الشعبية العارمة من أجل التصحيح تقاوم من بعض مراكز القوى التى كان صعبا عليها أن تتخلى عن سلطتها

وأساليبها فى العمل وتنقيل العلاقات الجديدة التى يطالب بها الشعب بين الحاكم والمحكوم .

كان لا بد أن يشعر كل مواطن أنه مسئول عن أقدار بلاده بقدر مسئوليته سواء بسواء وأن قضاياه الأساسية تناقش أمامه علانية وأنه لا توجد وصاية تمارس عليه فى الخفاء كما لابد أن يزول الخوف وأن تختفى بذور الشك وتتراجع الحزازات والأحقاد، ويحس كل فرد أنه آمن على يومه وعلى نفسه وأهله ورأيه وماله .. كما لابد أن يعرف كل مواطن أن الحرب التى هـو مقدم عليها لن تحرر أرضه فقط ولكنها سوف تحمل له حياة أكرم وأرحم ، وقيما أعلى وأرفع ، كما سوف تحمل له أملا فى أن يتطلع بحق الى مزيد من الديمقراطية لن تتحقق له كاملة الا فى وطن قوى وعزيز متحاب .

لهذا لم تقف حركة التصحيح عند حد تنحية مراكز القوى عن الطريق ولكنها انطلقت الى تحقيق جوهرها الأهم بالعمل على ارساء سيادة القانون واعزاز كلمة القضاء واقامة دولة المؤسسات ووضع الضوابط التى يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح ويمارسها فى طمأنينة .

ورغم أن حركة التصحيح كان لابد أن يقترن بها ما يحدث مع كل خطوة لازالة السدود والقيود من مناقشات وزيارات وانفعالات ونحن فى ذلك الوقت كنا ما نزال فى ظروف الحرب الا

أننى كنت واثقا من أن ايجابيات هذا الوضع أكثر من محاذيره وأن الوحدة العميقة لهذا الشعب خصوصا فى ساعات الخطر سوف تصمد للتجربة بل سوف تزيد هذه التجربة مناعة وقوة وهى ليست ثورة جديدة » .

كما وضح أيضا دور مراكز القوى فى تعويق حركة التقدم بسبب ضياع الحرية السياسية للمواطنين فقال :

« اذا كانت الثورة قد أنجزت الكثير فى مجال الحرية الاجتماعية .. فاننا بكل أمانة لابد أن نسلم أن جانب الحرية السياسية لم يتحقق على الوجه الذى يريده الشعب .. بل لقد فرضت الأجهزة ومراكز القوى وصايتها على الجماهير وتعددت القيود والاجراءات .. بل وصل الأمر الى حد صرف اجراءات التحول الاجتماعى عن هدفها الانسانى الأصيل واستغلالها لارضاء أحقاد شخصية أو مصالح مجموعات معينة .. ويدعون الدفاع عن الاشتراكية تارة وعن أمن الدولة تارة أخرى .

أغلقت كثير من الأبواب وسدت مسالك كان يجب أن تفتح أمام العمل الوطنى .

ان من حق كل مواطن أن يأمن على نفسه وعلى رأيه وعلى عمله وعلى كسبه المشروع .

الأصل فى كل مواطن افتراض أمانته ما لم يثبت القضاء

تطبيقا للقانون أنه أخطأ فى حق غيره أو فى حق المجتمع ان شعبنا بالغ رشيد لا يحتاج الى وصاية أحد ومن هنا كان عملى الدءوب على تصفية مراكز القوى وتحقيق سيادة القـانون واقامة دولة المؤسسات وتأمين المواطن على يومه وغده .

اننى أؤمن أنه لا معنى للحـرية السياسية بالنسبة للجائع الذى يضطر الى بيع صوته فى الانتخابات ولـكننى أؤمن أيضا أنه لا جدوى للقمة العيش اذا فقد الانسان أهم ما يميزه .. وهـو الحرية السياسية لكن باجى للنقطة الثانية اللى هى توائم بين حركة العمل الوطنى وبين الظروف الجديدة التى بتعيشها أود أن أقول ان أسلوب العمل الوطنى يجب أن يتغير بتغـير الظروف التى نواجهها فى ظل التمسك بالمبادىء الجوهرية التى ارتضاها الشعب ونحن فى سنة ١٩٧٤ علينا أن نأخذ بعين الاعتبار تغيرات كثيرة شهدها واقعنا المحلى ومنطقتنا العربية والعالم كله .

واذا كان من هذا الأساس هو حرية الارادة الوطنية فى اتخاذ القرار وصياغة المستقبل فان الممارسة الفعالة لهذه الحرية تقتضى حسابا دقيقا لكل ما يحيط بها من ظروف لنقرر لأنفسنا ما هو خليق فعلا بتحقيق أهدافنا فى البناء والتقدم » .

وكانت هذه الحركة الباهرة مقدمة من مقدمات النصر الذى تم فى أكتوبر ١٩٧٣ .

* * *

٥ معجزة الوحدة العربيّة

في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ حدثت معجزة لم يكن أحد يتصور قيامها بالصورة التي حدثت فيها .

في لحظة واحدة تحققت الوحدة العربية .

ولكن المعجزة لم تحدث فجأة بغير مقدمات ، ولم تكن مسألة عاطفية جمعت الأخ مع أخيه بسبب الحرب ، فان العرب في الحروب الثلاث السابقة أعلنوا بيانات الوحدة بطريقة أو بأخرى .

كانت الوحدة في سنة ١٩٤٨ ممثلة في اجتماع سبعة جيوش عربية اشتركت في حرب فلسطين . وخسرت الحرب ، ثم بدأ العرب يفسرون أسباب الهزيمة تفسيرات شتى تركزت حول الخيانة والأسلحة الفاسدة ، ثم طوى التاريخ هذه الصفحة .

وحدث شكل من أشكال الوحدة العربية في حرب ١٩٥٦ عندما وقع العدوان الثلاثي على مصر ، فنسفت أنابيب البترول عبر سورية

ولبنان . وقام العمال العرب ببعض الأعمــال ضد المعتدين ....
وصدرت بيانات وألقيت خطب وتصريحات لتأييد مصر ، وكان ذلك
من واجبات الحكام أو الهيئات مما ينشر فى الصحف أو تذيعه
الاذاعات ولا أكثر من ذلك .

أما كارثة ١٩٦٧ فانها حدثت وسط جو من الأحزان العربية .
حتى لطمت النساء خدودهن فى بعض العواصم وكانت حرب ١٩٦٧
قد وقعت ومصر فى شبه عزلة عن العالم العربى بل كانت هناك
خلافات مستحكمة بين مصر وبعض الدول العربية .

وظلت الوحدة العربية شعارا من الشعارات التى تدور حولها
الخلافات بين أصحابها حتى احتدم النقاش احتداما عنيفا عنـــدما
كان دعاة الوحدة يتحدثون عن وجهات نظرهم المتباينة .

ولم تهدأ العاصفة حتى بعد عقد مؤتمر الخرطوم الذى جمـــع
ملوك ورؤساء العرب بعد الهزيمة ، وظل الخلاف قائما عندما عقد
مؤتمر الملوك والرؤساء فى القاهرة .

وعندما تولى السادات رئاسة الجمهورية كان الجو العـــربى
مشحونا بالخلافات ، ووجهات النظر المتباينة ، حتى وصلت فلسفة
الوحدة الى الوقوف عند وحدة الصف أو وحدة الهدف وداخـــل
نطاق هذه الفلسفة نشطت الجماعات السياسية لبيـــان أفكارها
الأيديولوجية ، والدفاع عنها ، وطعن كل من يعارضها .



جلس فى انتباه
يستمع الى مطالب
هـــذا الطفل .



الوالد الحانى العطوف مع ابنــائه


نصر من الله
وفتح قريب



حديث مـــع الدكتـــــور هنرى كيســـنجر
وزير خارجية الولايات المتحـــــدة الامريكية



دعاء الى الله بالنصر .. مع جلالة الملك فيصل

مع الرئيس الســـورى حافظ الاســـد





حديث هام مع سمو الشيخ زايد بن سلطان
رئيس دولة اتحاد الإمارات العربية



مع السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان





لقـــاء بالاحضـــان مـــع الرئيس
الجــزائرى هـــوارى بومدين

أثنـــاء انعقاد مؤتمر القمـــــة العربى بالجزائر
بعـــد انتصـــارات أكتـــوبر المجيـــدة





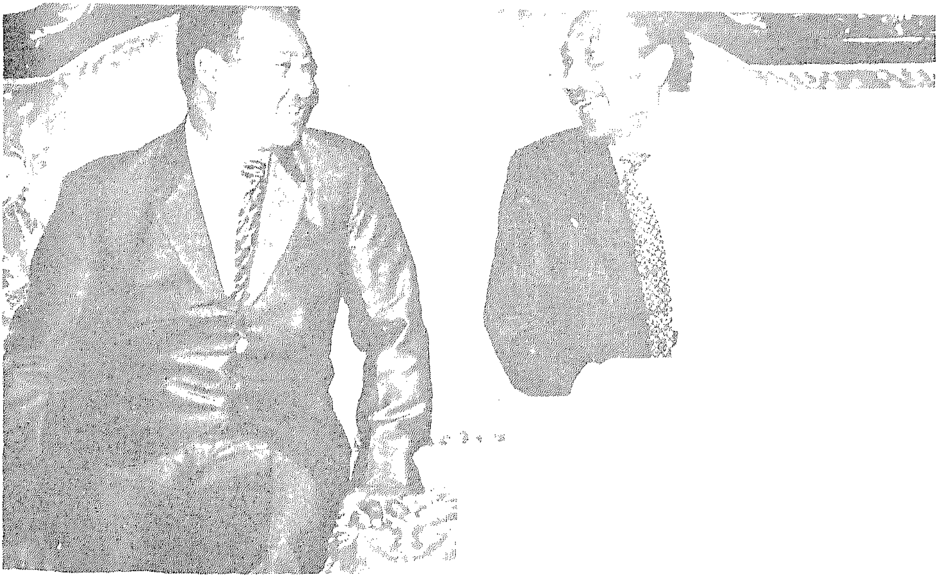
حديث باسم مفتوح مع الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة



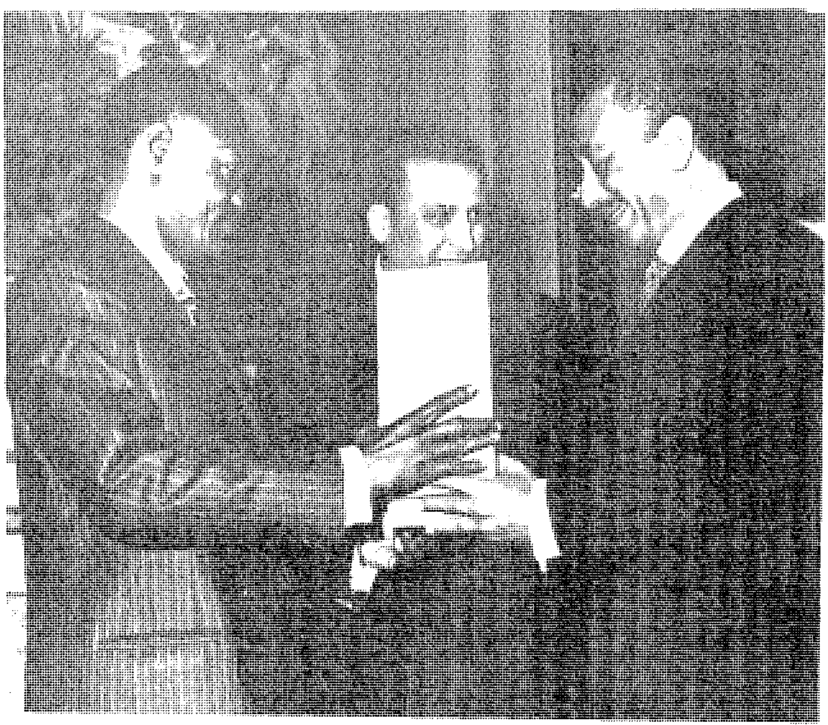
مع جلالة الملك حسين ملك الاردن



حديث هام مع جلالة الامبراطور هيلاسلاسى امبراطور أثيوبيا



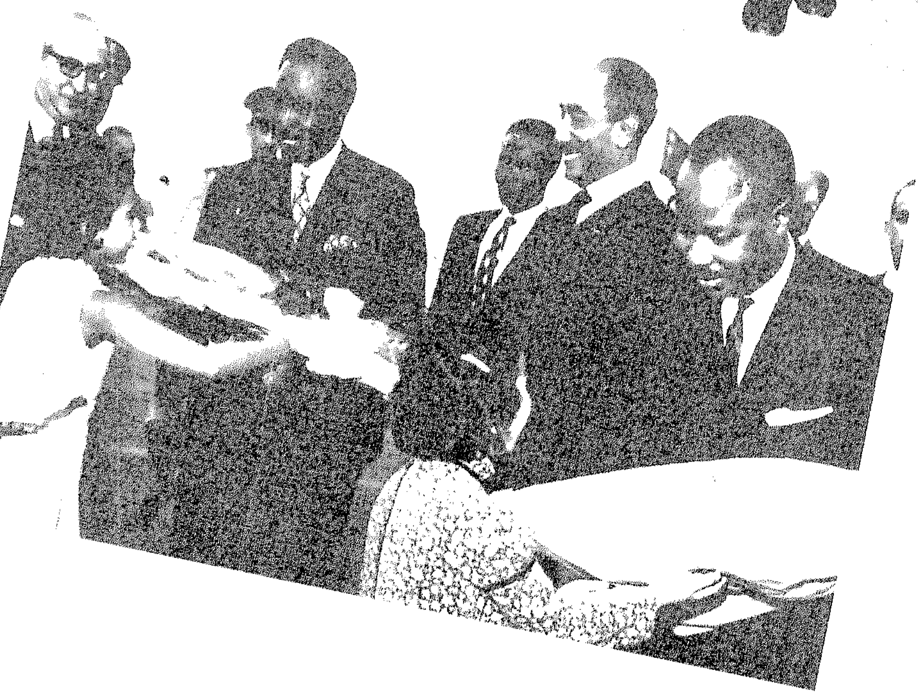
قلب مفتوح وفرحه لقاء مع الرئيس الســوداني جعفر نميرى





مع الرئيس محمد سياد رئيس جمهورية الصومال

مع الرئيس احمدو أهيدجو ▼

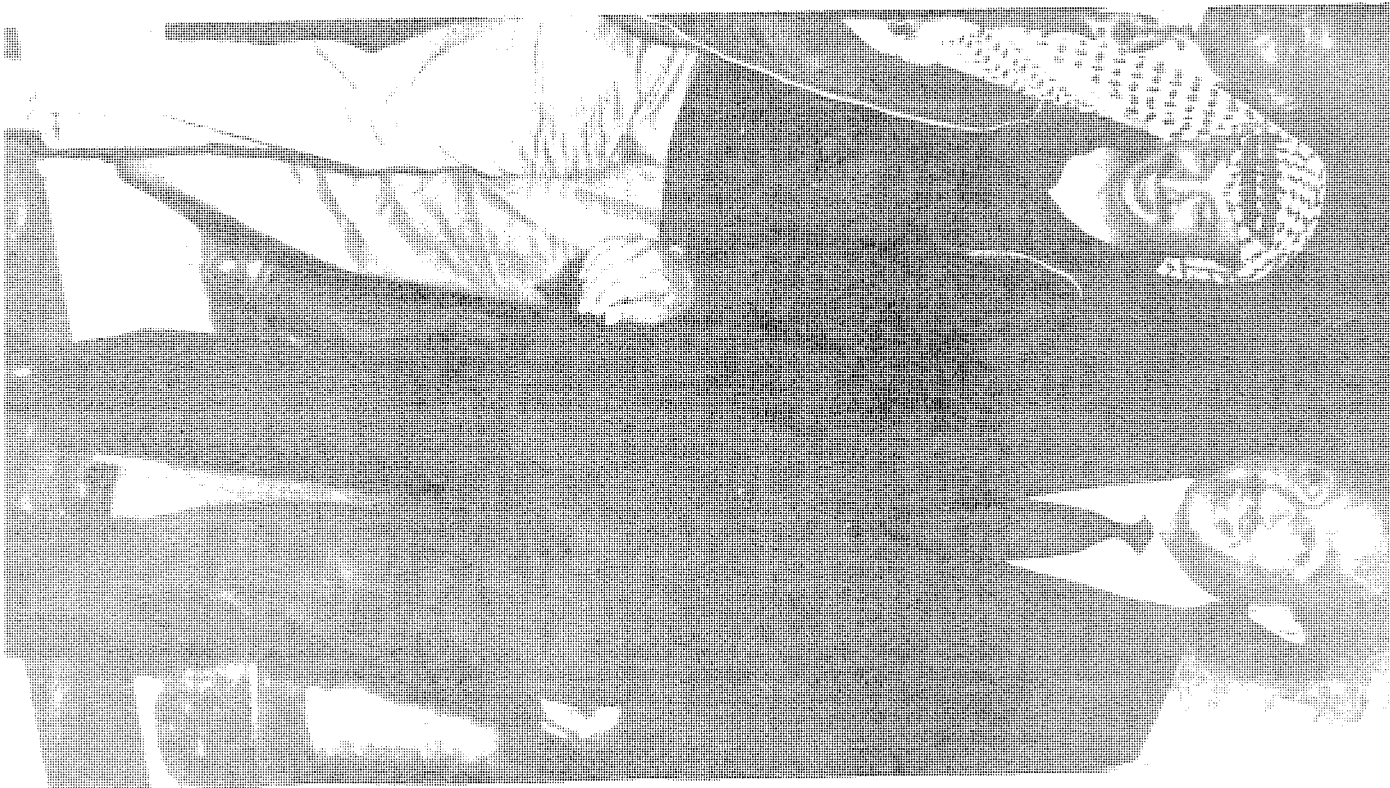




مع الرئيس اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو



الرئيس اثناء زيارته للهند في عام ١٩٧٤



مع السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

ولم يكن السادات في مسيرته السياسية بعيدا عن أرض الوحدة العربية ، بل انه كان واحدا من كبار دعاتها ، وساهم بجهده وما استطاع في تحقيقها .

ان أول خطوة عملية للوحدة في تاريخ العرب الحديث ، كان السادات هو الذي أعلنها ووقعها عام ١٩٥٨ في الاعلان الرسمي الذي صدر بقيام الوحدة المصرية السورية عندما أعلن أمام مجلس النواب السوري ، ووفد مجلس الأمة المصري الذي كان برئاسة السادات بيان الوحدة في دمشق .

كانت رحلة السادات في سورية عندما أعلنت الوحدة ، من الرحلات التاريخية المعروفة ، فقد حمل الجماهير سيارته في حمص من فوق الأرض ، وأرادوا أن يحملوها على الأكتاف .

وعندما وصل موكب الوحدة وعلى رأسه أنور السادات الى حلب في أقصى الشمال من سورية كان موكبا رائعا حيث شهدته مدينة طالما كتب أبو الطيب المتنبي شاعر العرب الأكبر عن انتصارات سيف الدولة الحمداني .

وألقى السادات في حلب خطبا وكلمات أظهرت لأول مرة أمام الجماهير العربية قدرته الخطابية ، وكان سبب ذلك أن أهل حلب يتميزون بالبلاغة والفصاحة ، وقد تبارى الخطباء في احدى الحفلات ، ثم وقف السادات ليتكلم فاهتزت القاعة بالتصفيق .

أمام بلاغته وفصاحته عندما نطق بلسان عربى مبين . ومن خصائص البلاغة العربية عند الخطباء بالفصحى انهم يعرفون أسرار اللغة ، ويغوصون فى دواوين الشعراء وأمهات كتب الأدب ، وهذه احدى خصائصهم .

قد يعتقد بعض الناس أنه لا علاقة بين اللغة وبين أفكار الوحدة العربية ، ولكن هذا الاعتقاد خاطىء لأن اللغة أساس من أسس الوحدة ، والخطباء البلغاء يستطيعون التعبير عن أفكارهم بالفصحى أكثر من تعبيرهم باللهجات المحلية .

ومنذ عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٧٣ كان السادات يراقب تطور الوحدة العربيـــة ، وأفكارها وعقباتها ونكســـاتها . وقد حدث الانفصال بين مصر وسورية فى عام ١٩٦١ ، وكان السادات يتحرك فوق خريطة السياسة العربية حركة متزنة هادئة ، والدنيا من حوله ثائرة مائجة لا تستقر على حال .

لماذا حدثت الوحدة بين سورية ومصر فى دولة واحدة ؟

لماذا حدث الانفصال بين ســـورية ومصر بعد أول وحدة فى التاريخ الحديث أجهضتها أحداث غير محسوبة ؟

سؤالان يملك التاريخ الاجابة عليهما .

وليس هذا هو المهم ، ولكن الأهم هو وحدة العرب ، وهذا هو ما يعتنقه أنور السادات .

انه مع الوحدة دائما بشرط واحد هو العقل والاتزان ؛ وعدم الانحراف وراء التيارات والهتافات .

ان اعتناق المبادىء يحتاج الى الرجال الذين يحققون المبادىء ، ولا يكفى أن يكون الانسان موقنا بفكرة أو مبدأ ؛ لأنه يجب أن يحقق أفكاره ومبادئه أو يسعى الى تحقيقها وهذا أضعف الايمان .

ولو ظلت فكرة (لا اله الا الله) موضوع مناقشة بين محمد عليه السلام وأصحابه ، لما وجد الاسلام ، ولا اعتنقه ملايين البشر . لأن الفكرة يجب أن تصبح واقعا فى حياة البشر ، ولابد من التسليم بها .

ومن واقع النشأة والايمان الكامل استطاع السادات أن يعرف طريقه عن طريق ايمانه بـ (لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) .

التسليم بالوحدانية وبرسالة محمد عليه السلام هو أساس الاسلام ، وبغير هذا التسليم لا يصبح المسلم مسلما ، وهذا هو المثل الأعلى الذى عرفه السادات ؛ ومن هذا المفهوم فسر بنفسه فكرة الوحدة العربية المرتبطة أساسا بالآية الكريمة فى القرآن « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

ان تفسير الوحدة العربية لا يحتاج الى مناقشات ومغالطات وبيانات وخطابات . وهناك اتفاق تاريخى على هذه الحقيقة .

لماذا الخلاف ؟

بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، وحتى هذه اللحظة ، وبعد هذه اللحظة ، هناك من يخالفون ويختلفون . ولكنه التزم بأفكاره الواضحة عن الوحدة فلا خلاف ولا اختلاف .

لقد بلغت مرحلة الغليان أحيانا قمة التجريح الشخصى ، حتى كتبت بعض الصحف تقول انه ليس رجل الساعة ، وردت عليها صحف أخرى تسأل : من هو رجل الساعة ؟

ولم يلتفت الى هذه الكلمات الجارحة ، التى دفع ثمنها بعض زعماء العرب فى فترة من فترات الاندفاع أو التعصب الشخصى أو الأمل فى الوصول الى الزعامة عن طريق رفع الشعارات المينه .

والحقيقة الواضحة هى أن السادات لا يسعى الى زعامة العرب ولا يطلبها ، وليس هذا فى تفكيره أو وجدانه . لأنه يؤمن بأن روح العصر لا تقبل هذا التفكير المتخلف .

لقد تفككت الامبراطوريات التى كانت لا تغيب عنها الشمس ، فكيف نفكر الآن فى اقامة امبراطورية عربية ولو كانت داخل حدودنا من البصرة الى الدار البيضاء ؟

ولماذا نقيم هذه الامبراطورية الجديدة تحت شعار القومية العربية أو الوحدة العربية ونحن نعلم أن صراعات المذاهب السياسية لم تصل الى نتيجة حاسمة بين القوتين الأعظم .

كان هذا هو التفكير العربى السديد قبل مرحلة الوفاق بين أمريكا وروسيا .

وكان هناك تفكير معاكس ينحاز الى احدى الكتلتين ويريد تحقيق الوحدة العربية عن طريق الانحياز ، مع أن المبدأ المعلن كان عدم الانحياز ثم ظهرت نظرية ثالثة تعارض التعاون مع أى من القوتين .

وعلى ضفة هذه الصراعات جلس أنور السادات يتأمل ، ويستمع ، ويفكر .

فى آخر مؤتمر من مؤتمرات الملوك والرؤساء العرب ، بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، وقبل أن يصل الى السلطة بأيام أو ساعات ، قال أحد الصحفيين ان السادات كان يقف فى شرفة فندق هيلتون بالقاهرة وفى يده راديو ترنزستور ينقل اليه الأخبار . وكان وحده يتأمل صفحة النيل ، ولم يدرك هذا الصحفى فيم يفكر السادات ؟ ولم يسأله عن أفكاره فى هذه اللحظة الحاسمة التى كان يتقرر فيها مصير العرب جميعا .

اننى أتصور كيف كان يفكر السادات ؟ . وهذه الصورة رأيتها فى دمشق عندما أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا ، وكان هو الناطق باسم وحدة العرب ، وعلى وجهه نفس الملامح الجادة المخلصة المعبرة عن أمل الشعب العربى فى الوحدة ، بلا مناورات أو ألاعيب .

الخط المستقيم أقصر الطرق .. وعندما ذهب الى دمشق فى عام ١٩٥٨ ، وسمع نداءات الوحدة قال كلمة واحدة هى تحقيق الوحدة التى تريدها الجماهير العربية ولم يسأل عن شكلها لأنه يؤمن بمضمونها . وعندما وقف وحده فى شرفة فندق هيلتون بالقاهرة يستمع الى الأخبار من راديو ترانزستور ، كان يعتقد أن المؤامرات داخل الفندق قد بلغت مداها ، وأن المجتمعين يقومون بعملية تجميع الصفوف من أجل رأب الصدع .

كانت رحلة الوحدة العربية طويلة وشاقة ، وقد عبرها زعماء وقادة على الرمال وفوق الحصى فى هجير الصحراء ، ولم يحققوا شيئا ، وظلوا يسلمون الأعلام علما بعد علم لقائد بعد قائد بلا نهاية ، وكانت النهاية مثل سراب الصحراء يحسبه الظمآن ماء .

وعندما سئل السادات (١)

لقد نجحتم فى العاشر من رمضان فى تجميع الأمة العربية مما أدى الى كسب هذه الجولة فهل تعتقدون بأن هذا التجمع بالتقى والوحدة العربية الكاملة ؟

أجاب قائلا : لقد قلت ، وأنا أومن بهذا أن من أروع انجازات حرب رمضان ٦ أكتوبر هى الوحدة العربية ، اننى أعتبر ما تم على

---

(١) تصريحات الرئيس الى محطة الاذاعة البريطانيه وجريدة الاخبار يوم ٢٩ مارس ١٩٧٤ .

الصعيد العربى وحده بمعنى الوحدة .. لأنه تم فى وقت الأزمة ، فى وقت الشدة واجهنا جميعا مصيرنا معا .. بلاشك كان لقرار ٦ أكتوبر الجهد الاساسى فى اقامة هذه الوحدة العربية .

وأنا أومن تمام الايمان أن الوحدة العربية التى أسفرت عنها معركة رمضـــان وأكتوبر هى وحدة أصــيلة ، بصرف النظر عن الأشكال الدستورية ، لأن المهم هو أنه فى وقت الشدة تتحد كلمة الأمة العربية وقد اتحدت فعلا » .

ووجهة نظر السادات هى أن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ كان لها الجهد الأساسى فى اقامة الوحدة ، ولكن الحرب وحدها ليست كافية ، فقد مرت على العرب ثلاثة حروب مع اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ولم يحققوا وحدتهم .

واذا كانت حرب أكتوبر لها الجهد الأساسى فى اقامة الوحدة ، فان السادات بشخصيته كان له الدور الاساسى فى تحقيق هذه الوحدة .

وعندما طرح على نفسه السؤال القائل : من نحن عربيا ؟ أجاب على ذلك بقوله (١) :

« نقول اننا أمة واحدة ، نحن نحدد انتماء مصر العربى ، نحدد دور مصر فى اتحاد الجمهوريات العربية ، نحدد التضامن العربى مهما اختلفت الأنظمة ، لاننا نواجه عدوا شرسا .. فى انتماء مصر العربية ، فان مصر هى الوطن العربى الأول الذى قدم من علمه

---

(١) خطاب الرئيس السادات فى عيد العمال بحلوان ــ أول مايو ١٩٧٢ .

ومن خبرته ومن ماله ومن جهاده ومن انتاجه ومن مساندته وتأييده لقضية الحرية للأمة العربية .

نحن لا نقول بالشعارات ، ولكن نحن نمارس العمل حيا واقعا نابضا وخلاقا » .

وفى هذه الكلمات وضح السادات أمرين هامين أثرا فى مسيرة الوحدة العربية فى العصر الحديث .

وكان الأمر الأول هو انتماء مصر العربية . فقد دارت مناقشات وكتبت مقالات وصدرت كتب عن عروبة مصر ، وكانت هناك أهداف وراء التشكيك فى عروبتها من أجل عزلها عن العالم العربى . وبذل المخطط الصهيونى كل جهوده منذ البداية فى محاولة لاقناع المصريين بأنهم ليسوا عربا .

وعندما قال سعد زغلول لعبد الرحمن عزام أثناء ثورة ١٩١٩ . ان صفرا زائد صفر يساوى صفرا ، وكان ذلك فى مناسبة اقتراح عزام بالاستعانة بالعرب فى الصراع ضد الانجليز استنتج بعض الكتاب من هذه الكلمة أن سعد زغلول يرى أن العرب مجموعة أصفار ولم يدركوا أن سعدا كان يقصد الى شىء آخر وهو ضعف العرب فى ذلك الوقت ووقوعهم تحت وطأة الاستعمار الأوروبى ، فلا يقدرون على مشاركة مصر فى ثورتها ضد بريطانيا ، ولكن المخطط الصهيونى جسد هذه الكلمة ليعزل مصر عن العرب ، مع أن سعد زغلول كان من أشد المتعلقين بالعرب وقادتهم الثوريين ، وقد وصفه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الزعيم السورى المعروف بأنه أسد العرب .

وكان الاستعمار البريطانى على وجه الخصـــوص يشكك فى عروبة مصر ، ويرفع على بعض الأقلام شعار مصر الفرعونية خلال فترة اشتداد الكفاح المصرى ضد بريطانيا حتى بدأ (السير وليام ويلكوكس) وهو من كبار المهندسين وكان مستشـــارا لوزارة الأشغال المصرية ، يروج لفكرة اللهجة العامية المصرية ، ويدعو الى ترك الفصحى والاستغناء عنها حتى تصبح اللغـــة العربية من اللغات الميتة ، وكان هذا يحدث فى فترة احياء لغة ميتة هى اللغة العبرية .

وتنبه المصريون من دعاة الفرعونية الى حقائق المؤامرة منذ وقت باكر ، فعادوا سريعا الى مرابض العروبة . وأعلنوا براءتهم من هذه الدعوة الشريرة . وكان أول من حقق هذه الفكرة هو الدكتور محمد حسين هيكل الذى تعصب ذات يوم الفرعونية المصرية ، ولكنه لم يلبث أن رفضها وأصبح من كبار دعاة العروبة .

وبعد سنوات حاولت الصهيونية العالمية أن تبعد مصر عن حومة الوغى فوق أرض فلسطين واقنعت بعض الساسة المصريين بأن مصر لا دخل لها فى الحرب مع اسرائيل حتى قبل قيام اسرائيل. وقد أعلن ذلك الرأى أسماعيل صدقى باشا أحد رؤساء الوزارات المصرية الســـابقين فى عام ١٩٤٨ عندما بدأت الحرب العربيـــة الاسرائيلية الأولى .

وكان أنور الســـادات معاصرا لكل هـــذه الأحداث وعارفا بأسرارها ، لأنه دخل وسط نيرانها برجليه كما يقول المثل المصرى. وكان من أكثر أبناء جيله تعرضا لوهج النار .

وفى رحلة المعاناة الطويلة عاش السادات كل أحداث مصر المعاصرة . ولم ينفصل عنها لحظة واحدة من لحظات حياته . وتأكدت فى أعماقه حقيقة عروبة مصر ، وأدرك فى نفس الوقت أن الشعارات المرفوعة فى الميادين ، وعلى ألســنة جهابذة الخطباء كلها زيف وبهرجة لاسترضاء الجماهير .

استمع اليه يقول : (١)

« نحن لا نريد أن نفرض على أحد أى وضع ولكننا نريد الأمة العربية كلها فى المعركة نريد طاقات الأمة فى خدمة التطور العربى والتقدم العربى » .

وهذه الكلمات تفسير لما تحدث عنه من اختلاف أنظمة الحكم فى البلاد العربية ، مما لا يدخل فى نطاق فكرة الوحدة ، ولا يجوز التفكير فيه أصلا عند دعاة الوحدة لو كانوا يملكون منطق العصر .

وعندما آمن بأن الوحدة العربية فوق كل اعتبار ، سعى اليها سعيا دائبا وقال فى احدى خطبه : (٢)

« كلكم تعلمون مدى ما قمت به من رحلات فى عالمنا العربى ، وما سأقوم به باذن الله فى المرحلة القادمة » .

---

(١) خطاب الرئيس فى حلوان يوم أول مايو ١٩٧١ .
(٢) المرجع السابق .

خلال هذه الرحلات استطاع تنقية الجو العربى من الشوائب ، وانتزع بيديه كل الرواسب التى خلفتها الشعارات الزائفة المغشوشة .

لقد كانت ترجمة كلمة (سوشياليزم) الى اللغة العربية فى بدايات العصر هى (العدل الاجتماعى) أو (العدالة الاجتماعية) وهو مبدأ معترف به عند العرب عند ظهور الاسلام فى القرن السادس الميلادى ، وقد ظهر هذا فعلا وواقعا ، ولكن الانحرافات السياسية أعادت الترجمة الى كلمة جديدة هى الاشتراكية ، وجعلوا بريق الكلمة مستندا الى بيت من الشعر قاله أمير الشعراء أحمد شوقى عندما وصف الرسول عليه السلام بقوله : —

« الاشتراكيون أنت أمامهم »

ولكن المشكلة لم تكن هى ترجمة الألفاظ ، بل اعتناق المبادىء فى ظل الكلمات والشعارات ولذلك حدث صراع الوحدة العربية فى ظل الصراعات الايديولوجية ، وظهرت ألفاظ أخرى كان أهمها التقدمية والرجعية . وهذان اللفظان لا معنى لهما على الاطلاق ما دامت الأمة العربية تعيش فى ظروف التخلف الذى فرض عليها فرضا .

ان التقدم ليس هو نظام الحكم ولكنه العلم .

الجمهورية كانت معروفة منذ عهد أفلاطون ، والملكية كانت معروفة منذ عهد مينا . ولكن العبيد فى دولة « آثينا » كانوا مثل العبيد فى دولة (منف) أو دولة (طيبة) .

ونظام الحكم فى أمريكا وفى الاتحاد السوفيتى ليس هو سبب المشكلة الحضارية أو التقدم العلمى والتكنولوجى ، فكلاهما جمهورية ، وكلاهما تملك التقدم على اختلاف درجة الوصول .

أن المشكلة الجوهرية هى الانسان وحرية الانسان .

عندما يتحرر الانسان يستطيع تحرير أرضه .. وليس من حقك أن تسأله عن مذهبه أو عقيدته ، وقد استطاع السادات تحرير الانسان العربى من القيود والأغلال وأنقذ روحه من الرواسب التى سببت له الحياة فى الظلام ، وكانت مقدمات الوحدة العربية التى حدثت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ مقدمات نفسية وشعورية ووجدانية وفكرية أيضا .

ان خلاصة التجربة جعلت منه الطبيب المداوى لآلام الشعب العربى ، الذى يستطيع أن يبرئه من مرض الهزائم المتلاحقة منذ خمسمائة سنة ، حتى قال بعض الكتاب الأجانب أن أهل الكهف يخرجون من كهفهم لتحقيق المعجزة .

لا روسيا . ولا أمريكا . ولا أسلحة العالم كانت تستطيع تحقيق المعجزة ، ولكن الطبيب الذى داوى ليلى المريضة فى كل أرض عربية ولم يحمل الطبيب مبضع جراح ، ولا أنبوبة دواء ، ولكنه حمل قلبه على كفه ، وحمل ابتسامته على شفتيه . .

ثم تحققت المعجزة عند الظهر فى العاشر من رمضان . وهو صائم . وشعبه صائم .

ولم تكن فكرة الوحدة العربية عند السادات ضيقة الأفق ، أو بعيدة عن الواقع الذى يعيشه العرب ، بل أنه رأى فيها الاتساع اللانهائى الذى يضم بين جناحيه كل العرب بغير تفرقة ويسعى الى تحقيق آمالهم فى الواقع لا فى الخيال . فابتعد عن الشعارات الطنانة ، والألفاظ البراقة ، وأعد المخطط العربى المواجه للمخطط الصهيونى ، وأعاد لمصر حقيقتها الناصعة ، وهى أنها ملاذ العرب الأول ، وحصنهم الأمين ، وملتقى أحرارهم . بغير تفرقة ، وقد كانت ملاذ (عبد الرحمن الكواكبى) أثناء كفاحه ضد الاستبداد العثمانى ، وكانت مقر العرب المكافحين ضد هذا الاستبداد ، كما كانت مركزا لكل الحركات العربية المناوئة للاستعمار بكل أشكاله .

وقد أصدر الرئيس فى السابع من ابريل عام ١٩٧٤ قرارا من منطلق ايمان جمهورية مصر العربية ، بالقومية العربية ووحدة الشعب العربى وباعتبارها موطنا لكل العرب . بمنح السيد

محمد ادريس السنوسى ملك ليبيا السابق هو وأسرته الجنسية المصرية استجابة لطلب الملك السابق الذى يقيم فى مصر ، منذ حوالى ٤ سنوات ، بعد قيام الثورة الليبية .. كما أن مصر تقدر دائما موافف الشخصيات العربية فى الظروف الصعبة للنضال العربى فى مراحله التاريخية . وكان قرار الرئيس تعبيرا عن احترام المثل والمبادىء الانسانية ووضعها فوق كل الاعتبار . ومما يذكر أنه حدث منذ حوالى عامين ، أن فوجىء الرئس أنور السادات بحضور أحد أعضاء مجلس الثورة الليبى الى القاهرة ، ليجرى تحقيقا مع السيد ادريس السنوسى ، وقد اعتذر الرئيس أنور السادات عن عدم قبوله على الاطلاق ، أن يجرى تحقيقا مع ضيف عربى على أرض مصر • وقال الرئيس أن تقاليد مصر على مر العصور والأزمان أن تكرم ضيفها ، وهى موئل العرب جميعا . وقال الرئيس أن مصر لا تنسى للملك ادريس السنوسى مواقفه العربية الكريمة ، فى كل ما طلبته مصر منه ، لخدمة المعركة . وقد كانت العلاقات بين مصر وليبيا عند طلبت ليبيا التحقيق مع الملك السنوسى ، على أحسن ما يرام .

أن الوحدة العربية عند السادات ترتفع فوق كل اعتبار .. ولذلك التفت حولها الجماهير العربية .

(٦) فارس الحرب والسلام

خلال ثلاث سنوات كاملة كان السادات يتحدث عن تحرير كل الأرض العربية المحتلة فى عدوان ١٩٦٧ ، وهى القدس العربية وغزة والضفة الغربية للأردن والمرتفعات السورية وصحراء سيناء المحتلة . وذلك مع الحرص الكامل على حقوق الشعب الفلسطينى . وقد حدد ذلك فى ٧ أكتوبر ١٩٧٠ عقب توليه رياسة الجمهورية بأيام . كما أكد أن الضمان الحقيقى لهذا الهدف المشروع من نضالنا يتمثل فى مطلب أساسى واحد هو تعزيز القدرة القتالية للقوات المسلحة المصرية لتكون حماية للسلام القائم على العدل أو أداة لغرضه ، كما حدد الهدف الثانى من أهدافه وهو مواصلة النضال من أجل الوحدة العربية ، وحدد أعداء الأمة العربية فى اسرائيل والصهيونية العالمية والاستعمار العالمى .

وعندما أجرى الاستفتاء الشعبى ، وتم انتخاب السادات رئيسا عن طريق الشعب ، قال فى خطابه الذى كان يوم ٢٨ أكتوبر

سنة ١٩٧٠ أنه سيكون للجميع الذين قالوا : نعم والذين قالوا : لا . وبذلك حيا معارضيه تحية رقيقة ، وكان على ثقة من أن الذين قالوا : لا سيعودون اليه فى الوقت المناسب ليقولوا نعم . وهذا هو ما حدث بعد ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، عندما أصبحت القلة القليلة المعارضة معه فى لمحة خاطفة .

خلال ثلاث سنوات عاش السادات فترة قاسية فى تاريخ اللا سلم واللا حرب ، وأصبحت الصحافة المصريه والصحافة العربية تعيد للاذهان قصة أهل بيزنطة الذين أداروا مناقشات فى المذاهب ، والمدينة محاصرة بالأعداء .

لقد تخلصت مصر من مراكز القوى ، وقامت ثورة التصحيح فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، واستطاع السادات قبل حرب أكتوبر أن يجمع شمل العرب على قدر الامكان وبذل جهودا مضنية لتصفية الخلافات العربية ، ولكن الأحداث كانت تنشب لتعيد جو الخلافات مرة أخرى ، وكأنها سلسلة من المؤامرات تدبرها يد مجهولة للابقاء على الخلاف بين العرب ، فحدثت حوادث اختطاف الطائرات فى ظروف كان العمل السياسى العربى يتقدم خطوات الى الأمام ، فلا يكاد مؤتمر ينعقد أو يوشك على الانعقاد حتى يحدث حادث اختطاف طائرة .

كما حدث أمران هامان هزا صورة العرب أمام العالم الخارجى هزا ، وهما حادث ميونيخ الذى قتل فيه عدد من الرياضيين الاسرائيليين أثناء انعقاد الدورة الأولمبية وحادث اقتحام السفارة

السعودية فى الخرطوم وقتل عدد من الدبلوماسيين الأجانب داخل مبنى السفارة .

وكان السادات قد أعد خطته السياسية الكبرى لشرح الموقف العربى للعالم الخارجى فى أوربا وافريقيا وآسيا بعد أن يئس يأسا تاما من السياسة الأمريكية التى لم تحقق شيئا بعد أن قـدم هو شخصيا مبادراته من أجل السلام ، وبعد أن قدم (وليام روجرز) وزير خارجية أمريكا مبادرات أيضا من أجل السلام .

لقد أصبحت قرارات الأمم المتحدة وقرار مجلس الأمن الشهير رقم (٢٤٢) حبرا على ورق وأصبحت مهمة السفير جونار يارنج مبعوث الأمم المتحدة للشرق الأوسط مسرحية هزلية .

واطمأن المخطط الصهيونى العالمى الى أن الوصـول الى السلام أمر مستحيل الوقوع ، وأن قيام الحرب أمر لا يستطيعه العرب ، ولا يملك السادات الاقدام عليه ، وحاول هذا المخطط أن يجعل من حالة اللاحرب واللاسلم أمرا واقعا . وأصبح حديث (لا حرب ولا سلم) مثل الخبز اليومى وعلى صفحات الصحف العربية فى مصر وفى غيرها من البلادالعربية ، وفهم بعض النـاس أن مخطط الصهيونية هو التوسع كل عشر سـنوات وحسـبوا حساب المدد ، من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٦٧ . وبناء على هذه الحسابات فان حالة اللاحرب واللاسلم المفروضة

على العرب ستستمر حتى عام ١٩٧٧ عندما تقوم اسرائيل بهجوم توسعى جديد ، يمتد الى دلتا النيل فى مصر ويصـــل الى أبواب القاهرة ، ويمتد الى فرات العراق ويصل الى أبواب بغداد ، بل أنه سيصل أيضا الى أبواب المدينة المنورة حيث قبر الرسول عليه السلام ليستعيد خيبر من المسلمين .

وشاعت وذاعت أنباء اقامة فنادق سياحية فى (شرم الشيخ) واقامة مستعمرات اسرائيلية فى قلب سيناء ، بعـــد تحقيق الحلم الصهيونى الذى وضع أساسه (تيودور هرتسل) من اقامة دولة يهودية فى سيناء وما دعا اليه (دافيد بن جوريون) وغيره من ساسة اسرائيل من وجوب الوصـــول الى قناة السويس لارغام مصر على قبول كل شروط اسرائيل .

اما فى مصر فكان الجنود داخل خنادقهـــم على خط المواجهة على شاطىء قناة السويس ، ولقد طالت بهم الأيام منذ يونيو سنة ١٩٦٧ ، وهم لا يستطيعون الحرب ، ولا يستطيعون العودة الى مدنهم وقراهم ، والشعب المصرى يتحمل أعباء معركة لا تحدث ولا تقع ، وقد ضاقت سبل الحياة أمام الناس ، ولكنهم يصبرون ، ويصرون على رفض الهزيمة مهما كانت التضحيات .

وكان السادات يواجه كل ذلك فوق مسئولياته عن دولة هو رئيسها ، وهو لا يريد لها أن تظل كما هى بل كان يعمل من أجل التقدم وبناء الدولة الحديثة على ضفاف النيـــل ، وقد أعلن

شعاره الجديد : دولة العلم والايمان ، وبدأ يحققه بالعمل والفعل، وبدفع عجلة وطنه نحو العصر الحديث .

وخلال هذه الفترة نشبت فى مصر مشكلتان خطيرتان هما مشكلة الطائفية التى أطلت بقرونها السوداء فجأة وعلى غير ترقب للعمل على تمزيق الوحدة الوطنية المصرية ، ومحاولة التفرقة بين المسلمين والاقباط ، وكان السادات كما ذكرت لك قد تلقى دراسته الابتدائية فى مدرسة قبطية . وقد ذهب اليها عندما بدأت أمجاده ، وسجل فى دفترها الصغير كلمات العرفان للاساتذة الذين علموه وهم من الأقباط .

وعندما امتدت اليد الخفية لتلعب بهذه الورقة سارع السادات بحنكة وتجربة وايمان الى ايقاف المؤامرة التى أريد بها ابعاد مصر عن معركة تحريرها .

وكانت الأزمة الثانية هى أزمة الطلبة التى وقعت فى يناير ٧٢ ، وقد أراد الذين دبروا هذه الأزمة وضع قناع زائف على وجه الحركة الطلابية المصرية واظهارها بمظهر غير حقيقى ، يشكك فى مسيرة الثورة ، أو يثير المشكلات من أجل اثارتها ، وثبت فيما بعد صلة هذه الحركة بالمؤامرة التى دبرت فى ١٥ مايو سنة ٧١ ، وأعقبتها حركة التصحيح . فان الذين قاموا باثارة الطلبة كانت لهم صلات عائلية بمدبرى حركة ١٥ مايو .

وعن طريق القانون وممارسته الديمقراطية عالج السادات هذه الأزمة ثم عفا بعد ذلك عن جميع الذين اشتركوا فيها احساسا منه بدور الوالد نحو أولاده .

وقد حدثت فى أعقاب أزمة الطلبة تلك الزوبعة التى ثارت داخل فنجان ، عندما أصدر بعض المفكرين المصريين بيانا انهزاميا فى مارس ١٩٧٢ مما سبق أن تحدثت عنه فى فصل سابق .

وسط هذه العواصف كان السادات يقوم بدوره البطولى فى اتجاهات ثلاثة ..

— خطة الدبلوماسية المكثفة بهدف الوصول الى تأييد عالمى للقضية العربية فى مواجهة العدوان الاسرائيلى .
— خطة الوحدة العربية بهدف جمع شمل العرب دون البحث عن تفصيلات من أجل مواجهة اسرائيل .
— خطة اعداد القوات المسلحة المصرية لخوض معركة حتمية تحطم الصلف والغرور الاسرائيلى الذى بلغ مداه من التبجح .

وكان السادات لا يرفض رأيا أو مناقشة ، ولا يتعصب لشىء، ولا يفقد أعصابه ، وهو الذى يجتاز أخطر أزمة فى التاريخ المصرى الحديث ، ويتحمل أعظم مسئولية فى مواجهة شعبه وشعوب الأمة العربية كلها ، وشعوب العالم بل انه حمل قدره على كتفه كما قال ، وحمل سيفه فى يده كما قال بعض الكتاب الأجانب .

وقال أنور السادات ذات يوم فى احدى كلماته البارعة : سنكون أشرف الشرفاء فى محاربة عدونا .

وهذه الكلمة هى الدلالة التاريخية على أنه يشارك فرسان مصر القدماء شرف الحرب والقتال ، ولكنه يعد للمعركة بعقلية فارس جديد فى عصر جديد .

وعندما وقع ضباط وجنود الاسرائيليين فى أسر مصر ، لم يفعل بهم السادات ما سبق أن فعلوه عام ١٩٦٧ عندما كان المصريون فى الأسر ، ولم تتغلب شهوة الانتقام على شرف الشرفاء .

وكان كلما اقترب من السلام خطوة ، يزداد الاسرائيليون صلفا وغرورا ، ويطلبون طلبات غريبة ، ويحاولون املاء شروط أشد غرابه ، فهم تارة يطلبون حدودا آمنة غير معروفة على الخرائط الجغرافية حتى اضطرت مصر ذات مرة الى تقديم خريطتها الدولية وتارة يطلبون نزع السلاح فى شبه جزيرة سيناء وهى جزء من أرض مصر . وتارة يطالبون بوضع اليد على (شرم الشيخ) عند خليج العقبة ، ولا يقبلون بالانسحاب من الجولان أو الخروج من القدس ، وقد يتنازلون عن الضفة الغربية للأردن بشروط أيضا .

وعندما عرض السادات الحل الجزئى بالانسحاب شرقا وبعيدا عن قناة السويس كتمهيد للحل الكلى طبقا لقرار مجلس الأمن

رقم (٢٤٢) ، فهموا من مبادرته أنه يقبل التسليم وازدادوا صلفا وغرورا .

ثم قامت الحرب بين الهند وباكستان بينما كان الفارس المصرى يحمل قدره على كتفه ، ويحمل سيفه فى يده ، واتجهت أنظار العالم نحو شبه القارة الهندية ، وأرخى الفارس لجام فرسه ووقف ينظر نهاية هذا الصراع فى لعبة الأمم ، وانتهت اللعبة بالوفاق بين القوتين الأعظم أمريكا وروسيا والفارس لا يزال كما هو .. قدره على كتفه وسيفه فى يده .

وبدأ المجتهدون يفسرون سياسات العالم ، ويقول بعضهم ان الوفاق فى مصلحة العرب ، ويقول آخرون ان الوفاق ضد مصلحة العرب ، وعادت الى صدور الصفحات فى الجرائد حكاية التناطح مع أمريكا وعدم التناطح والخضوع لروسيا وعدم الخضوع ، فى صورة جديدة ، وألفاظ جديدة ، وتركهم السادات يفسرون ويجتهدون ، ويجترون أفكارهم وكان يعلم أن المواطن المصرى يؤمن بشىء واحد بعد الله هو مصر . وهو يؤمن أيضا بأن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ليست ثورة فرد من الأفراد ولكنها ثورة مصر ، وأكرم أبنائها الذى يقول كما قال مصطفى كامل .

— لو لم أكن مصريا ، لوددت أن أكون مصريا .

وكانت مصر التى يتحدث عنها دائما فيعجب ويطرب . هى التى تملأ قلبه وجوانحه وكان هو الذى استرد لها اسمها بحركة

بارعة بعد أن ظلت منذ عام ١٩٥٨ تحمل اسم (الجمهورية العربية المتحدة) حتى قال بعض الصحفيين الأجانب :

— نريد أن نسأل .. مع من هى متحدة ؟

ولكن المجتهدين من كتاب الصحافة المصرية والعربية لم يفسروا ظواهر التاريخ ، كما فسرها السادات ، لأنهم مع ذكائهم وقدراتهم غاب عنهم منطق التاريخ المصرى . وقد قال هيرودوت منذ قديم الزمان .

— ان ما يحدث فى مصر لا يمكن أن يحدث فى بلد آخر .

وقد أشار السادات الى ذلك اشارات عابرة كثيرة ، لم يفهمها سوى طائفتين من الناس فى مصر ، أولاهما جماهير الشعب والثانية أولئك الذين طحنهم التاريخ المصرى طحنا حتى استوعبوا أسراره .

خلال فترة زمنية واحدة أشار السادات مرارا الى انتصار المصريين على جحافل التتار القادمين بخيولهم وأبقارهم وجيوشهم من أقصى المشرق ، وعلى جحافل الصليبيين الذين جندتهم أوربا كلها بملوكها وامرائها واقطاعاتها من أجل السيطرة على الشرق .

انتصر المصريون على المعسكرين الشرقى والغربى فى عصر واحد ، وفى فترة تاريخية واحدة ، حتى تشابكت حروب التتار والصليبيين معا ، ووضعت مصر ضدهما جميعا ، وانتصرت عليهما

وحررت الأرض التى يدور حولها الصراع فى عصر السادات وهى أرض فلسطين .

وعندما أرخى الفارس الحديد لجام فرسه ، وقدره على كتفه، وسيفه فى يده ، ظنوا انه قد استرخى ، وقال بعضهم : هذه فترة الاسترخاء ولكنه لم يغمض له جفن ، ولا نامت له عين .

قالوا له :

— سنبحث لك عن حل سلمى .

وقال لهم :

— الحل فى يدى .. الحرب أو السلام .. اما أن أكون بلا حرب ولا سلام فهذا لن يكون ..

وضحكوا فى الأروقة ، وشربوا أنخاب السـلام الموهوم بلا قتال .. بقصاصات ورق وكلمات محفوظة ، وشعارات ترفع فى المناسبات .

وقال الفارس أين السبعة آلاف عام :

— أنا أريد الحرب من أجل السلام .. لأننى لا أجد السلام .. أنا مطحون .. وبلدى مطحون .. وشعبى مطحون ..

كان لجام الفارس فى يده ، وكان قدره على كتفه ، وكان سيفه فى يده الأخرى ..

وذات يوم قال صحفى أجنبى فى مقالة من مقالاته :

— ان السادات هو الذى يملك زمام الموقف .

وعندما أراد امتلاك زمام الموقف حدد موقفه من الحرب والسلام ، وأعلن نظريته التى تقول انه يريد السلام ، وانه اذا كان قد كتب علينا القتال ، فاننا نحارب من أجل السلام .

ولم تفهم القوى الكبرى فى العالم نظرية السادات ، واعتقدت فى نفس الوقت انها تملك زمام الموقف ، وانه لا يستطيع أن يتحرك الا بارادتها .

واذا استقرأنا التاريخ الحديث لمصر والبلاد العربية ، قبل أن يصل السادات الى السلطة ، فاننا سنرى أن نظرية القوى الأعظم صحيحة مائة فى المائة ، فهذه القوى الأعظم تقدر مواقفها على أساس دراسات سابقة تحلل حقائق الماضى ، وتبنى على أساسها تطلعات الحاضر والمستقبل .

وبناء على هذه الدراسات وافق الاتحاد السوفيتى بعد سياسة الوفاق مع أمريكا ، على تهجير اليهود السوفييت الى اسرائيل ، وفى نفس الوقت ظل يعلن سياسة تأييد القضية العربية وحقوق الشعب الفلسطينى ، وأعلن فى جميع خطب القادة السوفييت التأييد الكامل للقرار رقم (٢٤٢) الصادر عن مجلس الأمن فى عام ١٩٦٧ ، وكان رقم هذا القرار يشبه رقم سيارة

أوتوبيس عالمية تمضى نحو المجهول على خط اليأس والمعاناة للشعب العربى .

وعندما جاءه القادة السوفييت بعد وفاة عبد الناصر ، كان من أشد المجاملين لهم ، وقال انهم حملوا اليه الصينية فى العزاء كما سبق أن ذكرته .. ثم وجد نفسه فى الركن ــ كما يقولون ــ فلم يعارض سياسة الوفاق ورأى فيهاخيرا يهم العالم ، ويؤدى الى السلام ، ولم يلتفت الى المهاترات الصحفية حول سياسة الوفاق لأن القائد لا يجوز له أن يلتفت الى المهاترات ، ولا يجوز له أن يبحث عمن يؤيده ويقف معه قبل أن يكون هو مع نفسه ومع شعبه ولكن أين مصر وسط الصراعات والوفاقات ؟ وأين الشعب العربى الذى طحنته هزيمة يونيو ١٩٦٧ ؟

كان الامريكيون يوردون لاسرائيل الأسلحة والمال والزاد من الرغيف حتى طائرة الفانتوم ، وكان الروس يوردون لاسرائيل الطاقات البشرية متمثلة فى المهجرين اليهود من الاتحاد السوفيتى.

وأبرم السادات معاهدة تحالف وصداقة مع الاتحاد السوفيتى ، فرح بها السوفييت وغضب منها الأمريكان ، ولم يكن يريد فرح الفرحين ولا غضب الغاضبين ، ولكنه كان يريد تحرير الأرض العربية المغتصبة .

فى تلك الفترة لم يوجد أحد يفهم سياسة السادات الا قلة قليلة واعية ، تدرك بالفهم والدراسة ان مصر تستطيع فى الوقت

المناسب ضرب أعظم قوة فى الأرض . ولها فى ذلك تاريخ قديم تحدث عنه السادات عندما ذكر شعبه بحرب التتار وبالحروب الصليبية كما أشرت الى ذلك أكثر من مرة لتأكيد الاتجاه الفكرى للسادات .

ووقع الرئيس بين فكى الكماشــة ، وهو فى قمة السلطة ، وقدره على كتفه وسيفه فى يده . ومنذ اللحظة الأولى كان يحدث الشعب المصرى ، ويؤمن بأن هذا الشعب قادر على الخروج من بين فكى الكماشة ، لا عن طريق هروب القائد من الواقع ، أو تهربه من المواجهة بالبيانات والخطب والشعارات ، ولكن عن طريق وضع الشعب كله معه على قمة المسئولية .

كان يؤمن بعد تجربة ذكرت لك بعض جوانبها أن المعركة حتمية مع عدو مغرور شرس ، لا يفهم شيئا الا طلقات الرصاص وقصف المدافع .

لقــد كتب بعض الكتــاب الأجانب الممالئين لاسرائيل بأن السادات ضربها وهى غافلة ، وهؤلاء الكتــاب يعرفون حقيقة اسرائيل ، ويعرفون أنها لا يمكن أن تكون غافلة ولكنهم لا يريدون أن يقولوا ان السادات قد صحا لها ، وضربها وهى صاحية وهو أيضا كان صاحيا .

ولو تذكر هؤلاء الكتــــاب والصحفيون الأجانب ما بذله السادات من أجل السلام لراجعوا أنفسهم مراجعات كثيرة تردهم الى الصواب .

وهناك كاتب أجنبى غضب غضبا شديدا ، وكتب مقالا ذكر فيه أنه ما كان يجوز للسادات أن يضرب اسرائيل فى يوم (عيد الغفران) ، وكأنه كان يجب أن يختار يوم الهجوم بالاتفاق مع جنرالات اسرائيل ؟!

وعندما كانت الدعاية الصهيونية متحكمة فى أذهان الصحفيين العالميين بالمــال أو بالفكر ، كانوا يكتبون كلمات غريبة ، وصلت الى حد اتهام العرب أنفسهم بمعاداة السامية ، على طريقة ما كانوا يتتبعونه ضد النازية ونسوا أن العرب ساميون ، بل هم أصل السامية ، وهم أعرق فى السامية من اليهود ، وكان هذا الكاتب الذى حدثتك عنه من هؤلاء المخدوعين أو المأجورين ، فقال ان السادات اتبع فى يوم الغفران حين هاجم أعداءه فوق أرضه التى يحتلونها ، أسلوب هتلر !!

وكانت هذه الدعاية قد وصلت الى الترديد فى حرب ١٩٦٧ ، وقالت اسرائيــل ان العــرب يريدون أن يلقوا بها الى البحر ، واستغلوا نغمة الدعاية المصرية الخاطئــة للتدليل على صــدق نظريتهم ، كما استخدموا كل الوسائل الاعلامية فى أرجاء العالم لتأكيد الفكرة التى زعموها ، وهى أنهم شعب مستضعف قليل العدد وسط شعب مفترس كثير العدد ويريد أن يفترســـهم ، وبسبب خطأ الدعــاية المصرية ، والديماجوجيــة ، والتصفيق والتهليل الخرافى ، استطاعت الدعاية الصهيونية أن تصــل الى آذان وأبصار العــالم بغير مشقة ، وأصبحت لنــدن وباريس

ونيويورك أبواقا علـى الأرصـفة لترديد النصر الاسرائيلى عام ١٩٦٧ بلا مناسبة .

أين كان أنور السادات فى تلك الأيام ؟.

اننى لا أريد تحـديد المكان ولكننى أحب تحديد الموقف السياسى لرجل عاصر هذه الأحداث الجسام ، وهو أحد أعمـدة ثورة ٢٣ يوليو العظام .

أعتقد ـ ان لم أكن مخطئا ـ انه كان مستمرا فى مرحلة انصهار الشخصية التى قدمتها فى فصل سابق من هذا الكتاب ، وأعتقد ـ ان لم أكن مخطئا ـ انه عاصر الهزيمة مع انصهار شخصيته من أجل الوصول الى النصر .

كان كل شىء فى مصر يمجـد كل شىء .. حتى الهزيمة .. والأبواق عالية ، والشعب يرفض الهزيمة ، ويرفض الاستسلام، ويرفض الهروب .

وخرج المحللون ليومى ٩ ، ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ بأفكار تسند الارادة والمقاومة والرفض لشىء آخر غير الشعب المصرى . ولـكن الذى رفض باصرار كان هو الشعب المصرى الذى لا يستسلم ، وكانت القيمة الوحيدة لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هى ارادة هذا الشعب وتصميمه وعزمه ، وارادته منـذ اللحظة الأولى .

ولذلك أصبح تفسير الظاهرة التى حدثت يومى ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧ تفسيرا جماهيريا ، يحمل معنى الرفض للهزيمة . ولا يحمل معنى الاستسلام للاحلام المستقبلة للزعماء أو القادة ، ولم يسقط الشعب المصرى قادته كما توقع أعداؤه ، ولكنه احتفظ بهم لمعنى أكبر مما كان يظن الأعداء ، وهذا المعنى هو اعادة الكرامة التى فقدت عن طريق الذين أريد لهم أن يبددوا كرامتهم .

قال الشعب المصرى لقادته : لا تتركوا مواقعكم ونحن معكم حتى يتم النصر . ولم يكن المفهوم هو أن يظل الشعب فى مواقعه مع الهزيمة . وكان هذا هو مكان أنور السادات كمواطن مصرى ، وليس كنائب لرئيس الجمهورية ، وكانت الأقدار قد خبأته وهو من كبار القادة ليصبح قائد معركة النصر ، وهازم الهزيمة .

لقد كان فكر السادات مرتبطا دائما بالمستقبل ، وعندما أثيرت أزمة الطلبة فى يناير سنة ١٩٧٣ ، وألقى خطابه أمام مجلس الشعب فى اليوم الحادى والثلاثين من هذا الشهر ، وضع ضوابط للمستقبل لخصها فيما يلى :

أولا : انه لا توجد ، ولن توجد حقوق أو حريات مطلقة ، لأن الحق والحرية ممارسة ، والممارسة تجرى فى مجتمع ، ولا يمكن لانسان أن يتمتع بحقه وبحريته الا فى حدود احترام حقوق وحريات أخرى ، قد تكون حقوق وحريات للمجتمع ، كما قد تكون لأفراد . القانون فى النهاية هو موازنة بين حقوق وحريات متعارضة ، ثم

ترجيح أيها أجدر بالحماية ، ومن ثم فان سيادة القانون هي الضمان الحقيقي لحرية الفرد ، كما أنها الضمان الحقيقي لحرية المجتمع .

ثانيا : ان حرية الفكر هي حركة داخل الانسان يتولد عنها الاعتقاد بفكرة معينة ، ومن هنا فهي من مكنونات ضمير الانسان التي لا يمكن أن تمتد اليها محاسبة مهما بلغ من شططها .

ولكن اذا أبرزت هذه الفكرة الى العالم الخارجي وتجاوزت مرحلة الانتقال الى مرحلة اشراف الآخرين في هذه الفكرة أو العقيدة ، كان عليها أن تلتزم الصدق والموضوعية ومبادىء المجتمع وقيمه ، وأن تراعي كرامة الانسان ، فحرية التعبير أيا كانت وسيلة التعبير ليست مطلقة بل انها محددة بالقانون ، وهي ليست امتيازات لفرد أو فئة ، بل هي حق يتساوى الجميع في التمتع به ، وهي جزء من حقوق الفرد العادي .

ثالثا : اننا قد اخترنا الطريق الثوري للتقدم كحتمية تاريخية وقد استلهمنا في طريقنا التجربة والخطأ ، كما استلهمنا قيم مجتمعنا وحركة التاريخ بفكر مفتوح ولكن غير منحاز ، فاخترنا طريقنا الى الحرية الاجتماعية والسير في طريق التقدم ، وقد نظم الدستور هذه الممارسة من خلال مؤسسات الدولة ، وأي خروج على قواعد هذه الممارسة يفتح الباب للتحكم ويشوه التعبير عن الارادة الشعبية ، ومن ثم فان احترام سيادة القانون هو الذي يكفل نفاذ كلمة الشعب المتمثلة

فى القانون وسيادة القانون تفرض من الواجبات والمسئوليات بقدر ما تكفل من حقوق وحريات.

لقد أصبح هذا التحديد الواضح لصورة المستقبل ومتطلبات العمل الوطنى فى مصر ، الدستور الدائم لحرب (٦ أكتوبر ١٩٧٣) التى وقعت بعد القاء هذا البيان بثمانية أشهر .

وقد كتب السادات (ضوابط المستقبل) و (متطلبات العمل الوطنى) فى ايجاز شديد ودقة بالغة . وكان يجتاز بها مرحلة الفوران التى حدثت داخل المجتمع المصرى عقب توليه الرياسة الى مرحلة التصميم على خوض المعركة المصيرية .. معركة الحرب من أجل السلام ..

وكانت الضوابط المستقبلية التى حددها السادات هى : سيادة القانون وحرية الفكر وتأصيل الاشتراكية المصرية والديمقراطية ، وقد حدد المصالح المشتركة التى يجب أن يدافع عنها الشعب داخل هذا الاطار على أن يكون تحرير الأرض والانتماء المصيرى الى الأمة العربية هما جوهر هذه المصالح المشتركة بغير خلاف .

وجعل متطلبات العمل الوطنى داخل هذا الاطار الفكرى المحدد الواضح لأسباب واضحة ، حددها فى هذا الخطاب كما يلى :

أولا : ليكن واضحا أمام الجميع أن مصلحة الوطن فى هـذه المرحلة المصيرية تفرض علينا شعبا وحكومة أن نلتزم بمتطلبات العمل الوطنى فى كل المجالات ، وفى كل موقع. ان قواتنا المسلحة تقف صامدة مترقبة لحظة التحرير فلنرتق جميعا معها الى مستوى المسئولية : ولذا فاننى أعلن هنا أمامكم اننا لن نسمح بعد الآن لأى فئة مهما كانت أن تفرض وصايتها على الشعب أو تتلاعب بمقدراته.

ثانيا : ان الوحدة الوطنية والممارسة الديموقراطية وسيادة القانون هى الدعائم الأساسية التى تشكل فى مجموعها الضمانات الأكيدة لحماية نضالنا الوطنى بما يحقق فى النهاية مصلحة الشعب أولا وأخيرا وبنفس المفهوم فان أى خروج أو شطط عن هذا الطريق سيقابل بالحزم اللازم .

ثالثا : اننا مطالبون الآن بحكم الأمانة والمسئولية التاريخية ان نلتزم بقيمنا وتقاليدنا وأهدافنا القومية ولن نسمح بأى تخريب أو تقويض للجبهة الداخلية فى هـذه الظروف المصيرية التى سيتوقف عليها مصير الأمة كلها لأجيال قادمة :

١ — الارتقاء الى مستوى المسئولية التى تلتزم بها القوات المسلحة المصرية ، وبمعنى آخر وضع الشعب والجيش معا فى مسئولية واحدة مصيرية .

٢ — حماية النضال الوطنى عن طريق المحافظة على الوحدة الوطنية والممارسة الديمقراطية وسيادة القانون .

٣ — الالتزام الكامل بالقيم والتقاليد والأهداف القومية ، من أجل تدعيم الجبهة الداخلية فى الظروف المصيرية التى تمر بها مصر والأمة العربية .

وكان هذا التحديد الواضح الذى قدمه السادات فى يناير سنة ١٩٧٣ لمجلس الشعب ، أساسا للحركة التى انطلقت فى اتجاهاتها الثلاثة التى حددها السادات من أجل الوصول الى السلام وهى :

١ — الدبلوماسية المكثفة .

٢ — الوحدة العربية .

٣ — اعداد القوات المسلحة اعدادا كاملا لمعركة المصير .

وكانت الحركة التى قادها السادات قد بدأت فى ايقاظ العالم ليفهم حقيقة الصراع العربى الاسرائيلى ، وبدأت رحلات المسئولين المصريين تجوب آفاق الأرض لنشرح الحقيقة التى حاول (جان بول سارتر) ذات يوم توضيحها ، فأصدر عددا خاصا من مجلتنا (الأزمنة الحديثة) فى عام ١٩٦٨ ، تحت عنوان النزاع العربى الاسرائيلى ، وجعل نصف الصفحات لوجهة النظر الاسرائيلية والنصف الآخر لوجهة النظر العربية — ورغم ذلك فان القارىء

الفرنسى لم يفهم وجهتى النظر المتعارضتين ، وظل تحت تأثير الدعاية الصهيونية التى تغلغلت حتى وصلت الى قاعات جامعة باريس حيث كانت تعقد الندوات لشرح الفكر الصهيونى .

وظلت أوروبا الغربية - بل وأوروبا الشرقية أيضا - واقعة تحت تأثير الدعاية الصهيونية العالمية بسبب النكبات والمظالم التى وقعت لليهود منذ العصور الوسطى حتى ظهور هتلر على مسرح الأحداث ، واستغلت الصهيونية العالمية المذابح القديمة والحديثة التى تعرض لها اليهود فى أوروبا ضد العرب ، ولم يفهم المواطن الأوروبى العادى أن اليهود الذين طردوا من أسبانيا فى عهد محاكم التفتيش هربوا الى مصر ، وعلى رأسهم (موسى ابن ميمون) الذى جعله صلاح الدين الأيوبى وخلفاؤه طبيبا خاصا للسلطان ورئيسا للطائفة اليهودية فى الفسطاط . التى كانت قد أصبحت أحد أجزاء القاهرة ولم يفهموا أيضا أن كثيرين من اليهود الذين فروا من وجه النازى لجأوا الى القاهرة وكان منهم أطباء مشهورون مثل (الدكتور ماكس ما يرهوف) طبيب العيون الشهير والدكتور (ادولف أنجر) طبيب الأمراض الجلدية ، وكان منهم أساتذة فى جامعة القاهرة مثل (الدكتور باول كراوس) المستشرق المعروف ، ومن قبله (الدكتور اسرائيل ولفنسون) الذى منحه (الدكتور طه حسين) درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة ، وتسمى باسم عربى هو (أبو ذؤيب) ثم أصبح أستاذا

فى الجامعة العبرية بالقدس ، ولا زالت مكتبة هذه الجامعة تحمل اسمه حتى اليوم .

غابت كل هذه الحقائق عن المثقفين الأوربيين ، ولم يعرفها رجل الشارع الأوربى بالطبع ، عندما ذهب المصريون يشرحون حقيقة النزاع الذى خلقته الصهيونية العالمية منذ دعا هرتزل الى اقامة الدولة اليهودية فى فلسطين حتى قامت هـذه الدولة ومارست الحروب الأربع منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ .

وأراد السادات أن يحرر جيلا صنعته الدعايات الصهيونية ، وساعدت فى ترسيخه دعايات عربية هوجاء ، وكان يسلك فى ذلك منطق الاقنـاع الذى وجهـه الى أعلى المسـتويات من طريق الديبلوماسية العالمية من ناحية ، وعن طريق ايجاد النغمة الصحيحة للاعلام المصرى الذى يفتح الباب أمام الاعلام العربى .

ونحن لا نعلم شيئا عن النصائح التى كان يقدمها السادات لرجاله الذين بعثهم الى أقطار الأرض لشرح قضية النزاع العربى الاسرائيلى ، ولكن النتائج تطلعنا على قيمة هـذه النصائح التى قالها رجل محنك قادر على استيعاب كل الأفكار والاتجاهات السياسية فى عالم تسوده الصراعات الأيديولوجية ، ويصل أحيانا الى حافة الحرب بسبب الخلافات بين المذاهب السياسية وصراعاتها .

ولم يكن من المهم فى هذه الفترة الحاسمة اختيار الدعاة ، بل كان الأهم هو اختيار ما يقوله الدعاة عن اقتناع واقناع ، ولأول

مرة منذ مئات السنين ظهر فى مصر حاكم حكيم صاحب نظرة شاملة . وقد قال الشيخ محمد عبده ان السياسيين كانوا يصرفون جهودهم فى الجزئيات التافهة ، ويتركون الكليات التى تحدد مصائر الشعوب .

ان عدونا كما حدده السادات هو اسرائيل والصهيونية العالمية والاستعمار العالمى ولا بد من مواجهة هذا الثالوث بالنظرة الشاملة التى تبعد عن الجزئيات ، بل وتطردها من مجال البحث والمناقشة، فنحن لا نعادى اليهود ولا اليهودية ، ونحن لا نريد الحاق أضرار أو انتقامات ، ولكننا نريد اقامة السلام المبنى على العدل .

وخلال السنوات الثلاث الحاسمة فى تاريخ مصر والعرب وتاريخ العالم ، لم يقل السادات كلمة جارحة ضد حكام اسرائيل ؛ بل كان يتحدث من منطق احترام رئيس الدولة لرئيس الدولة ؛ وهو مفهوم مصرى عريق وعميق ، لأن الاحترام يعود دائما الى صاحبه قبل أن يعود الى عدوه .

وعندما تحدث السادات بهذه النغمة ، عادت النغمة الصحيحة الى الاعلام المصرى ، وانعكست على الاعلام العربى كله ؛ وأصبحت المناقشة على مستوى الاحترام ولم تصبح قضية جدلية أو فكرية مثل تلك التى أرادها (جان بول سارتر) عندما أصدر عددا خاصا من مجلته (الأزمنة الحديثة) عن النزاع العربى الاسرائيلى .

لقد استطاع السادات احداث تحول فكرى خطير فى مفهوم النزاع العربى الاسرائيلى ونقل القضية من حيز المخطط التوسعى كل عشر سنوات ، ومن حيز المناقشات الفلسفية أو الأيديولوجية أو السوفسطائية حول الشعب المظلوم والشعب الظالم ، الى نقطة أخرى هى حيز الواقع التاريخى فى الوجود والبقاء أو الاندثار والفناء ، وهى نظرية الحرب والسلام أو الحرب من أجل السلام لمنع الاندثار والفناء .

ولقد تعرض اليهود خلال حياتهم لحروب الابادة ، ووقع شعبهم فى الأسر مرات عديدة . وأصبحت عندهم عقدة الوقوع فى الأسر مرة أخرى بعد أن تجمعوا فوق أرض فلسطين فى هذا العصر، وسيطرت عليهم هذه الأفكار حتى اخترعوا لها فكرة الصقور المحاربة والحمائم المسالمة ، وأصبح صراعهم الداخلى بين الصقور والحمائم ، وبنوا حياتهم على أساس الحرب وأصبح أطفالهم جنودا يسمونهم (الصابرا) تشبيها لهم بشجرة التين الشوكى التى تحمل عصير السكر الى ثمارها ، وتحمل فى نفس الوقت أشواك الثمار التى توجد فى قلبها فاكهة مليئة ببذور الحقد ، ولم يستطع المصريون اقتلاع هذه الشجرة من قلب الصهيونيين ، ولا من تربة الأرض المصرية ، رغم احتقارهم لثمارها التى لا تفيد ، وتثبت فوق الأرض كنبات شيطانى لا يحبه المصريون ، ولكنهم يأكلونه فى موسمه عندما يظهر على العربات فى القاهرة ، وقد حاولوا تطويره لاخراج بذور الشر من قلبه حتى لا تصيبهم بالأمراض والعلل .

ولكن المصريين لم يتعرضوا لحروب الابادة ، بل تعرضوا لاستعمار بلادهم ، وكانت لهم أفكار محددة فى مواجهة الاستعمار تقول ان مصر هى مقبرة الغزاة .

وأخيرا تعرضوا للغزو الصهيونى ، وهو غزو من شعب تعرض للابادة وليس فى استطاعته أن يجعل مكان اقامته مقبرة للغزاة .

هذه هى خلاصة التاريخ التى انطلق منهـا السادات ليفسر للعالم حقيقة القضية التى لم يستطع أحد شرحها للرأى العـام العالمى ، وعلى أعلى المستويات العالمية ولم تكن مشكلة السادات هى مواجهة العالم ، ولكنها كانت مشكلة كيف يواجه العالم ؟ ولم تكن هناك صعوبة أمامه فى المواجهة : ولكن الصعوبة كانت فى الاقناع ، وقبلها صعوبة الاقتناع .

قبل شهور من مرحلة الانطلاق نحو الاقتناع والاقناع ، كان أحد الذين بعثهم السادات وهو مسئول مصرى كبير يعتقد أن اسرائيل تمهـد لعدوان جديد فى عام ١٩٧٧ ، لتنفيـذ المخطط الصهيونى العالمى كل عشر سنوات ، وكانت حركاته السياسية فى الأمم المتحدة ، وفى اتصالاته تؤكد أنه قد وقع بفكره بين شقى الخشبة التى ينشرها قرد ، ثم سقط المنشار من بين يدى القرد ، وأصبح ذنبه بين شقى الخشبة فصرخ واستغاث . لقد قدم السادات كثيرين من الانهزاميين لتقديم (ورقة العمل) الى العدو وعندما أرخى لجام فرسه ، ليرخى العدو لجام الفرسان المتطلعين الى الغزوة

الجديدة فى عام ١٩٧٧ ، ولكنه كان يحمل قدره على كتفه وسيفه فى يده ، ولجام الفرس فى يده الأخرى .

قال للدنيا أنه يريد أن يعيش فى السلام ، وحقق ذلك فى حياته الخاصة . حتى قيل أنه أكثر رجال العالم أناقة فى زيه وسمته وطريقة حياته .

الرجل الذى يحب الحيـــاة لا يحب الحرب .. ثم استكانت اسرائيل للقائد الذى يحب الحياة أكثر من حب الحرب ، ولم يعلموا أنه ورث تقاليد القادة العظام من حكام مصر الذين كانوا يرتدون خرقة الصوفية تحت ثياب السلطان .

كان آخرهم (طومان باى) سلطان مصر الذى حارب استعمار العثمانيين وحارب السلطان (سليم بن عفان) ثم سقط بسبب الخيانة وعندما أرادوا شنقه على باب زويله ، وجدوا تحت ثياب السلطان المصرى ، خرقة الصوفية ، وهى ثوب من الصوف على جلد سلطان مصر . فبكى سلطان آل عثمان ، وقال انه لو علم ذلك قبل أن يشنق عدوه ، لمنحه الحياة ، التى لم يكن (طومان باى) يقبلها على يد عدوه .

وماذا كان يرتدى السادات تحت ثيابه وهو يواجه عدوه ؟

هل كان يرتدى على جلده الخرقة الصوفية ليصل الى الله بجسد سليم ووجه كريم ؟

كان القدر قد رسم له الطريق ، ليرتدى أجمل ثوب فى مواجهة العدو .. ثوب القائد العام للقوات المسلحة المصرية .. ثوب سلطان

مصر العظيمة الجليلة ، وله بعد ذلك قدره وسيفه ، ولو لم يفعل ذلك لأصبح خارجا على عظمة مصر وقدرة مصر .

كل ثوب فوق جسده هو ثوب مصر ..

كل شارة على كتفيه من ذهب وجوهر هى شارة مصر التى نثرت تحت أقدامها الجواهر ، ونثر الذهب ..

يا أحمس . يامحرر الأرض والعرض والفكر .. لك من آمون رع الذهب والجوهر ولن تأخذه صكا حتى تعود الى الحياة الأخرى ولكنك ستتركه لمصر التى علمتك وأفهمتك وحررتك وجعلتك فارسها الذى يمنح المجد للآخرين حبا فى السلام والعدل .

وقد عبر السادات عن روح مصر فيما فكر ودبر ، وخرج رجاله من القاهرة ، للحديث عن مصر ، كما كان الرجال يخرجون فى العصور القديسة للبحث عن الذهب والبخور ، ويعودون الى مصر ظافرين ، ثم انقلبت موازين العالم ، وفهم رؤساء الدول حقيقة الخدعة الاسرائيلية التى وضعت أمامهم ، وأصبحت فرنسا التى كانت أحد أطراف العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ ترفض بيع طائرات الميراج الفرنسية الى اسرائيل ، وراجعت بريطانيا حساباتها القديمة ، ورفضت سياسة الانحياز الى اسرائيل ، ووقفت موقف الحياد فى الصراع العربى الاسرائيلى .

ونجح السادات فى سياسة تحييد أوربا الغربية بالاقناع والاقتناع ، وترك أوربا الشرقية ترسل المهجرين اليهود السوفييت

عبر حدود النمسا ، وثارت المشكلة فى السياسة العالمية بشكل لم يسبق له مثيل . حتى جنح المستشار النمساوى وهو يهودى — من هذه الحالة الغربية ، ولم يحاول السادات ان يتدخل فى شئون خاصة لدول أخرى ، مع أن هذا العمل فى ذاته كان يشكل تحديا خطيرا لمقومات الشعب العربى الذى يقاوم اسرائيل ، ويرفض تهجير اليهود الى اسرائيل منذ البداية .

لقد استطاع ايقاظ ضمير العالم ضد الحركة الصهيونية ، ولو كانت قادمة من موسكو الى فيينا ، بل أنه استطاع ايقاظ الضمير اليهودى ضد الحركة الصهيونية التى تعمل ضد مصالح اليهود فى أوربا ، وكان رسله ومبعوثوه يتحدثون بأفكاره التى لقنها لهم ، وعلمهم تفاصيلها واستطاع أن يحررهم من الهزيمة وأفكارها السابقة واللاحقة ، حتى كون الاوركسترا الذى عزف نشيد النصر قبل ساعات النصر ، وقبل أن توجد ساحات النصر .

وعندما بدأت أوربا تستيقظ وتدرك حقيقة اللعبة الصهيونية ، وتحدد موقفها طبقا لمصالحها ، لم تكن المصالح وحدها هى الحكم فى موضوع النزاع العربى الاسرائيلى رغم ان هذه المصالح لها القدر الاكبر فى تحديد السياسات ؛ فكان الاقتناع بزيف الدعاية الصهيونية وعدالة المطالب العربية ، له دور مواز مع دور المصالح الخاصة . فبدأت أسهم الدعاية الصهيونية فى الهبوط يوما بعد يوم داخل مراكز الحكم التى تنظر الى مصالح شعوبها ، ولكن

هذه الاسهم ظلت متداولة فى مراكز الاعلام الدولى حتى بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، واستمر المخطط الدعائى الصهيونى قائما فى انحاء العالم بطريقته التى رسمت له من قبل .

ولكن موجات التغيير فى السياسة الأوروبية كانت قد ارتفعت فوق مخططات الدعاية الصهيونية ، واتخذت اوربا الغربية سياسة مخالفة للسياسة الامريكية التى كانت موالية دائما وبغير تحفظ لاسرائيل ، ونجح السادات عن طريق الدبلوماسية المكثفة فى اقناع المسئولين الغربيين بانسحاب اسرائيل ، وكانت مهمة (جونار يارنج) ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة فى الشرق الاوسط قد وصلت الى طريق مسدود ، واعلن السفير يارنج مرات عديدة ان أسرائيل ترفض تنفيذ قرار مجلس الأمن ، كما أن مبادرات (وليام روجرز) وزير خارجية أمريكا السابق ذهبت أدراج الرياح ، ولم تقبلها اسرائيل ، لأنها وجدت أن موقف اللاسلم واللاحرب فى مصلحتها، ولم تلتفت اطلاقا الى السلام .

وفى أواخر مايو ١٩٧٣ عقد فى اديس ابابا مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية فى مناسبة مرور عشر سنوات على قيام المنظمة ، واجتمع أكثر من ثلاثين رئيس دولة فى هذا المؤتمر الكبير الذى كان يضم بين أعضائه ٤١ دولة أفريقية .

وكانت القرارات التى اتخذتها مؤتمرات القمة الأفريقية طوال الأعوام من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٣ بشأن النزاع العربى الاسرائيلى ..

وكل هذه القرارات تؤيد مصر ضد العدوان الأسرائيلى ، وتدعو الى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وتؤيد مهمة السفير يارنج فى تسوية النزاع سلميا .

وهنا نقول انه لم يسبق لمنظمة الوحدة الافريقية أن اهتمت بمشاكل خارجية عن المنازعات التقليدية مع الاستعمار ، تلك المشاكل التى عاصرت المنظمة منذ قيامها فى ١٩٦٣ ولهذا تبرز أهمية القرارات الأفريقية باعتبارها دليلا قاطعا على اهتمام أفريقيا بالنزاع العربى الأسرائيلى .

كما أن عدد الدول الافريقية التى تقوم علاقات دبلوماسية أو قنصلية بينها وبين اسرائيل بلغ ٣١ دولة . تناقص عندما عقد المؤتمر الى ٢٤ نتيجة للنشاط الملحوظ للدبلوماسية العربية فى افريقيا ولوضوح الحق العربى للعين الأفريقية بعد فشل مهمة لجنة حكماء افريقيا المكونة من سنجور وموبوتو ، ويعقوب جوون وأهيدجوا .

وقد أكدت مصر لشقيقاتها الأفريقيات أن دبلوماسيتها بالنسبة لقضية الشرق الأوسط تقوم على :

١ — قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل بنوده ..

٢ — معاونة جونار يارنج على تنفيذ القرار . .

٣ — ضرورة حصول يارنج على رد ايجابى من اسرائيل عن مذكرته المؤرخة ٨ فبراير ١٩٧١ تتعهد فيه بالانسحاب الى ما وراء خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ ..

٤ — قبول أى جهود أفريقية أو دولية تعمل على تنفيذ قرار مجلس الأمن .

وكان هناك احساس عام لا يخفى على أى عين فى أديس ابابا بأن الدبلوماسية المصرية نجحت فى ربط المشكلة الفلسطينية بالمشكلة الاستعمارية فى افريقيا عن طريق اظهار التماثل بين معاملة اسرائيل للسكان العرب فى الأراضى المحتلة ومعاملة البرتغاليين والبيض فى روديسيا وزامبيا وجنوب افريقيا للسواطنين السود داخل أوطانهم الأصلية .

وقد حضر الرئيس هذا المؤتمر الافريقى الكبير ، وأتم فيه دعوته الى الدول الافريقية لتأييد الحق العربى ضد اسرائيل لتى كانت قد تسللت الى افريقيا لتمثل فى دولها دور العميل للاستعمار الجديد ، وقد اكتشفت أوغندة هذه الحقيقة وطردت الاسرائيليين من أرضها ، وقطعت علاقاتها مع اسرائيل ، وتأكدت فكرة الرئيس أثناء حرب اكتوبر فانهالت قرارات الدول الأفريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل بشكل هز السياسة الدولية ، وكان قد حدث اقناع بعض الدول الأوربية عن السماح لأمريكا بنقل الأسلحة الى اسرائيل عبر أجواء أو مياه هذه الدول ، كما بدلت اليابان وهى الدولة الآسيوية الكبيرة سياستها التى كانت موالية لاسرائيل .

استطاع السادات أن يجعل العالم كله فى جانب وأمريكا فى جانب آخر . وفى نفس الوقت ظل يعمل على تنفيذخطته العربية المكثفة فقام فى أواخر أغسطس ١٩٧٣ بزيارة لبعض العواصم العربية واستغرقت رحلته خمسة أيام قضاها فى عمل سياسى مكثف، وكانت تلك المباحثات قد سبقت حرب العاشر من رمضان ببضعة أسابيع ، وتركزت حول معركة المصير العربى والمواجهة الشاملة مع اسرائيل .

وعندما اكتمل النجاح السياسى الباهر ، كان الرئيس قد وصل فى نفس الوقت الى النجاح العسكرى الباهر فى يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد سبق ان حدد الرئيس موقفه السياسى عندما قال انه سيستخدم الدبلوماسية المكثفة قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة .

وفى يوم السادس عشر من اكتوبر ١٩٧٣ تحدث السادات أمام مجلس الشعب وروى قصة الحرب والسلام التى كان هو بطلها ، وكان هو الذى كتبها بعد أن جعلها حقيقة .. وهذه هى القصة أو الملحمة التى كتب السادات سطورها على صفحة التاريخ المصرى الحديث .

بســـم الله ...

أيها الاخوة والأخوات ..

كان بودى أن أجىء اليكم قبـــل الآن ، التقى بكم وبجماهير شـــعبنا وأمتنا ، لكن مشاغلى كانت كمـــا تعلمون وكما تريدون ، واثق انكم تقدرون وتعذرون ، ومهما يكن فلقد كنت أحس بكم وبشعبنا وأمتنا معى فى كل رأى وكنت أحس بكم وبشعبنا وأمتنا معى فى كل قرار ، كنتم جميعا معى ، فيما اخذته على مسئوليتى تعبيرا عن ارادة أمة ، وتعبيرا عن مصير شعب ، ثم وجدت مناسبا أن أجىء اليكم اليوم أتحدث معكم ومع جمـــاهير شعبنا ومع شعوب أمتنا العربية وأمام عالم يهمه مايجرى على أرضنا لأنه وثيق الصلة بأخطر قضـــايا الانسانية ، وهى قضية الحرب والسلام ذلك لأننا لا نعتبر نضالنا الوطنى والقومى ظاهرة محلية أو اقليمية لأن المنطقـــة التى نعيش فيها بدورها الاستراتيجى والحضارى فى القلب من العالم وفى الصميم من حركته ، ولأن الحوادث كبيرة ولأن التطورات متلاحقة ولأن القرارات مصيرية فأننى اريد أن أدخل مباشرة فيما اريد أن اتحدث فيه معكم وسوف أركز على نقطتين : الحرب والسلام .

اولا ــ الحـــــرب :

لست اظنكم تتوقعـــون منى ان اقف امامكم لـــكى نتفاخر معا ونتباهى بما حققناه فى احد عشر يوماً من

أهم وأخطر ، بل أعظم وأمجد أيام تاريخنا ، وربما جاء يوم نجلس فيه معا لا لكى نتفاخر ونتباهى ، ولكن لكى نتذكر وندرس ونعلم اولادنا واحفادنا جيلا بعد جيل ، قصة الكفاح ومشاقه ، ومرارة الهزيمة وآلامها ، وحلاوة النصر وآماله .

نعم سوف يجىء يوم نجلس فيه لنقص ونروى ماذا فعل كل منا فى موقعه .. وكيف حمل كل منا امانته وأدى دوره ، كيف خرج الأبطال من هذا الشعب وهذه الأمة فى فترة حالكة ساد فيها الظلام ، ليحملوا مشاعل النور وليضيئوا الطريق حتى تستطيع أمتهم أن تعبر الجسر ما بين اليأس والرجاء .

ذلك كله سوف يجىء وقته وأظنكم توافقوننى على أن لدينا اليوم من المشاغل والمهام ما يستحق أن نكرس له كل وقتنا وجهدنا ، واذا جاز لى أن أتوقف قليلا وأنا أعلم أن بكم شوقا الى سماع الكثير فاننى أقول ما يلى :

حاولت أن أفى بما عاهدت الله وعاهدتكم عليه .

اولا :

فيما يتعلق بنفسى فقد حاولت أن أفى بما عاهدت الله وعاهدتكم عليه ، حاولت أن افى بما عاهدت الله وعاهدتكم عليه قبل ثلاث سنوات بالضبط من هذا اليوم ، عاهدت الله وعاهدتكم على أن قضية تحرير التراب الوطنى والقومى ، هى التكليف الأول الذى حملته ولاء لشعبنا والأمة ، عاهدت الله وعاهدتكم على أنى لن أدخر جهدا ، ولن اتردد دون تضحية مهما كلفتنى فى سبيل أن تصل الأمة الى وضع تكون فيه قادرة على دفع ارادتها الى

مستوى أمانيها ، ذلك أن اعتقادنا دائما كان ولا يزال ان التمنى بلا ارادة نوع من أحلام اليقظة ، يرفض حبى وولائى لهذا الوطن ان نقع فى سرابه أو فى ضبابه، عاهدت الله وعاهدتكم على أن نثبت للعالم أن نكسة ١٩٦٧ كانت استثناء فى تاريخنا وليست قاعدة وقد كنت فى هذا أصدر عن ايمان بالتاريخ يستوعب ٧٠٠٠ سنة من الحضارة ويستشرف آفاقا أعلم علم اليقين نضال شعبنا وأمتنا ليعلو عنها وللوصول اليها وتأكيد قيمتها وأحلامها العظمى ، عاهدت الله وعاهدتكم على أن جيلنا لن يسلم أعلامه الى جيل سوف يجىء بعده منكسة أو ذليلة ، وانما سوف نسلم أعلامنا مرتفعة هاماتها عزيزة صواريها ، وقد تكون مخضبة بالدماء ، ولكننا ظللنا نحتفظ برءوسنا عالية فى السماء وقت أن كانت جباهنا تنزف الدم والألم والمرارة .

ذلك قدرى وقد حملته على كتفى

عاهدت الله وعاهدتكم على أن لا أتأخر عن لحظة أجدها ملائمة ، ولا أتقدم عنها ، لا أغامر ، ولا أتلكأ ، وكانت الحسابات مضنية والمسئولية فادحة ، لكننى أدركت كما قلت لكم وللأمة مرارا وتكرارا ان ذلك قدرى وانى حملته على كتفى ، عاهدت الله وعاهدتكم وحاولت مخلصا أن أفى بالوعد ملتمسا عون الله وطالبا ثقتكم وثقة الأمة وانى لأحمد الله .

ثانيـــا :

لقد كان كل شىء منوطا بارادة هذه الأمة ، حجم هذه الارادة وعمق هذه الارادة وما كنا لنستطيع شيئا وما كان أحد ليستطيع شيئا لو لم يكن هذا الشعب ،

وان لم تكن هذه الأمة لقد كان الليل طويلا وثقيلا وا
الأمة لم تفقد ايمانها أبدا بطلوع الفجر ، وانى لأق
بغير ادعاء ان التاريخ سوف يسجل لهذه الأمة أن نكسـ
لم تكن سقوطا وانما كانت كبوة عارضة وأن حركتها
لم تكن فورانا وانما كانت ارتفاعا شاهقا ــ لقد أع
شعبنا جهدا غير محدود وقدم شعبنا تضحيات غ
محدودة ، وأظهر شعبنا وعيا غير محدود ، وأهم من ذ
كله ، أهم من الجهد والتضحيات والوعى ، فان الشعـ
احتفظ بايمانه غير محدود ، وكان ذلك هو الخط الفاص
بين النكسة وبين الهزيمة ولقد كنت أحس بذلك
أول يوم تحملت فيه مسئوليتى وقبلت راضيا بما ش
الله ان يضعه على كاهلى ، كنت أعرف أن ايمان الشعـ
هو القاعدة ، واذا كانت القاعدة سليمة فان كل ما ضـ
يمكن تعويضه ، وكل ما تراجعنا عنه نستطيع الانطلا
اليه مرة أخرى .

وبرغم ظواهر عديدة ، بعضها طبيعى وبعضـــ
مصطنع من تأثير حرب نفسية وجهت الينا فقد ك
سؤالى لنفسى ولغيرى فى كل يوم يمر هل القـــاعـ
سليمة ؟

وكنت واثقا انه ليس فى قدرة أية حرب نفسـ
مهما كانت ضراوتها أن تمس صلابة هذه القاعدة .

وما دامت القاعدة بخير فان كل شيء بخير ، و
ذلك لن يكون الا زوبعة فى فنجان كما يقولون .

لست أنكر اننا واجهنا مصاعب جمة ، مصـــاعـ
حقيقية : مصاعب فى الخدمات ، مصاعب فى التموين
مصاعب فى الانتاج ، مصاعب فى العمل السياسى أيضا

وكنت أعرف الحقيقـة ولكنني لم أكن فى موقف يسمح لى بشرحها ، كنت أعرف اننا نحاول ان نجعل الحياة مقبولة للناس ، وفى نفس الوقت فان علينا ان نحتاط لما هو منتظر ، وكنت واثقا انه سوف يجىء يوم تظهر فيه الحقيقة لغيرى كما كانت ظاهرة لى . وحين تظهر الحقيقة فان الناس ســوف يعرفون وســوف يقدرون . وأحمد الله .

ثالثــــا :

ولقد كانت هناك اشارة واضحة الى وجود تمزق فى ضمير الأمة العربية كلها ، وكنت أرى ذلك طبيعيـا لأسباب اجتماعية وفكرية زادت عليها مرارة النكسة ، كان هناك من يسألوننى ويسألون أنفسهم ، هل تستطيع الأمة أن تواجه امتحانها الرهيب وهى على هذه الحالة من التمزق فى ضميرها ؟

الأمة لا تستطيع أن تكشف نفسها أو جوهرها

الا خــلال ممارســة الصراع

وكنت أقول أن هذا التمزق فضــلا عن أســبابه الطبيعية يعكس تناقضا بين الواقع والأمل وليس فى ذلك ما يخيف بل كنت أعتقد انه ليس هناك شفاء لضمير الأمة ولا راحة له الا عندما تواجه الأمة لحظة التحدى ولم أكن فى بعض الأوقات على اســتعداد للدخول فى مناقشات عقيمة ، هل نعالج التمزق قبل مواجهـــة التحدى ، أو نقبل التحدى رغم وجود اشارات الى التمزق ؟ .. وكان رأيى ان الأمم لاتستطيع أن تكشف نفسها أو جوهرها الا من خلال ممارسة الصراع وبمقدار

ما يكون التحدى كبيرا بمقدار ما تكون يقظة الأمة واكتشافها لقدراتها كبيرة لست أنكر وجود خلافات اجتماعية وفكرية فذلك مسار حركة التاريخ ، ولكننى فى نفس الوقت كنت أعرف ان الأمم العظيمة عندما تواجه تحدياتها الكبرى ، فانها قادرة على أن تحدد لنفسها أولوياتها بوضوح لا يقبل الشك . كنت مؤمنا بسلامة وصلابة دعوة القومية العربية ، وكنت مدركا للتفاعلات المختلفة التى تحرك مسيرة امة واحدة .

وحدة العمل سوف تفرض نفسها على كل القوى

ولكننى كنت واثقا أن وحدة العمل سوف تفرض نفسها على كل القوى وعلى كل الأطراف وعلى كل التيارات لاننا جميعا سوف نعى أن هذا الظرف ليس مباراة بين الاجتهادات وانما هو الصراع بين الفناء والبقاء لأمة بأسرها .

وأحمد الله .

رابعـــا :

كنت أعرف جوهر قواتنا المسلحة

لأنى خرجت من صفوفها

ولقد كنت أعرف جوهر قواتنا المسلحة ، ولم يكن حديثى عنها رجما بالغيب ولا تكهنا ، لقد خرجت من صفوف هذه القوات المسلحة وعشت بنفسى تقاليدها ، وتشرفت بالخدمة فى صفوفها وتحت ألويتها ، ان سجل هذه القوات كان باهرا ولكن أعداءنا : الاستعمار القديم والجديد والصهيونية العالمية ، ركزت ضد هذا السجل تركيزا مخيفا لأنها أرادت أن تشكك الأمة فى درعهـــا

وفى سيفها ، ولم يكن يخامرنى شك فى أن هذه القوات المسلحة كانت من ضحايا نكسة سنة ٦٧ ولم تكن أبدا من أسبابها .

كان فى استطاعة هذه القوات سنة ٦٧ أن تحارب بنفس البسالة والصلابة التى تحارب بها اليوم ، لو أن قيادتها العسكرية فى ذلك الوقت لم تفقد أعصابها بعد ضربة الطيران التى حذر منها عبد الناصر ، أو لو أن تلك القيادة لم تصدر بعد ذلك قرارا بالانسحاب العام من سيناء بدون علم عبد الناصر أيضا .

ان قواتنا لم تعط الفرصة لتقاتل عام ٦٧

ان هذه القوات لم تعط الفرصة لتحارب دفاعا عن الوطن وعن شرفه وعن ترابه . لم يهزمها عدوها ولكن أرهقتها الظروف التى لم تعطها الفرصة لتقاتل .

ان القوات المسلحة المصرية

قامت بمعجزة على أعلى مقياس عسكرى

ولقد شاركت مع جمال عبد الناصر فى عملية اعادة بناء القوات المسلحة ، ثم شاءت لى الأقدار أن أتحمل مسئولية استكمال البناء ، ومسئولية القيادة العليا لها . ان القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى ، لقد أعطت نفسها بالكامل لواجبها ، استوعبت العصر كله تدريبا وسلاحا ، بل وعلما واقتدارا وحين أصدرت لها الأمر أن ترد على استفزاز العدو ، وأن تكبح جماح غروره ، فانها أثبتت نفسها . أن هذه القوات أخذت فى يدها ، بعد صدور الأمر لها زمام المبادأة وحققت مفاجأة العدو ، وأفقدته توازنه بحركتها السريعة .

ان التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا
أمام عملية يوم ٦ من أكتوبر ١٩٧٣

ولست أتجاوز اذا قلت أن التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا بالفحص والدرس أمام عملية يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ حين تمكنت القوات المسلحة المصرية من اقتحام مانع قناة السويس الصعب ، واجتياح خط بارليف المنيع واقامة رءوس جسور لها على الضفة الشرقية من القناة ، بعد أن أفقدت العدو توازنه كما قلت فى ست ساعات .

لقد استعادت الأمة الجريحة شرفها

لقد كانت المخاطرة كبيرة وكانت التضحيات عظيمة ولكن النتائج المحققة لمعركة هذه الساعات الست الأولى من حربنا كانت هائلة ، فقد العدو المتغطرس توازنه الى هذه اللحظة . استعادت الأمة الجريحة شرفها ، تغيرت الخريطة السياسية للشرق الأوسط .

اننا نسجل من هذا ثقتنا بالقوات المسلحة

واذا كنا نقول ذلك اعتزازا وبعض الاعتزاز ايمان ، فان الواجب يقتضينا أن نسجل من هنا ، وباسم هذا الشعب ، وباسم هذه الأمة ثقتنا المطلقة فى قواتنا المسلحة ، ثقتنا فى قيادتها التى خططت ، وثقتنا فى ضباطها وجنودها الذين نفذوا بالنار والدم ، ثقتنا فى ايمان هذه القوات المسلحة وثقتنا فى علمها . ثقتنا فى سلاح هذه القوات المسلحة وثقتنا فى قدرتها على استيعاب هذا السلاح .

أقول باختصار : أن هذا الوطن يستطيع أن يطمئن ويأمن بعد خوف ، أنه قد أصبح له درع وسيف .

أريد من هنا أن أشد انتباه حضراتكم معى الى الجبهة الشمالية حيث يحارب الجيش السورى العظيم، معركة من أمجد معارك الأمة العربية تحت القيادة المخلصة والحازمة للأخ الرئيس حافظ الأسد .

أقول لاخواننا فى الجبهة الشمالية :

انكم حاربتم حرب رجال وصمدتم صمود الأبطال وأريد أن أقول لاخوتنا فى الجبهة الشمالية انكم عاهدتم وكنتم الأوفياء للعهد ، وصادقتم وكنتم أشرف الأصدقاء وقاتلتم وكنتم أشجع المقاتلين .. انكم حاربتم حرب رجال وصمدتم صمود أبطال .

أقول لاخوتنا فى الجبهة الشمالية

انكم أكثر مدعاة للطمأنينة والفخر

ولم يكن فى مقدورنا أن نجد رفقة سلاح أكثر مدعاة للطمأنينة والفخر من هذه الرفقة التى تشرفنا بالقتال فيها معكم ، ضد عدو واحد لنا هو عدو أمتنا العربية كلها . لقد كنا معا طلائع المعركة . تحملنا معا ضراوتها ودفعنا معا أفدح تكاليفها من دمائنا ومن مواردنا ، ولسوف نواصل القتال ولسوف نتحدى الخطر ، ولسوف نواصل مع اخوة لنا ، تنادوا الى الساحة صادقين مخلصين . سوف نواصل جميعا دفع ضريبة العرق والدم حتى نصل الى هدف نرضاه لأنفسنا وترضاه أمتنا لنضالنا فى هذه المرحلة الخطيرة من مراحله المتصلة والمستمرة .

ايها الاخوة والأخوات

كان ذلك عن الحرب ، والآن ماذا عن السلام ؟

عندما نتحدث عن الســـلام فلا بد لنا أن نتذكر ولا ننسى ، كما لابد لغيرنا ألا يتناسى حقيقة الأسباب التى من أجلها كانت حربنا . وقد تأذنون لى أن أضـــع بعض هذه الأسباب محددة قاطعة أمام حضراتكم :

أولا — اننا حاربنا من أجل السلام .. حاربنا من أجل السلام الوحيد الذى يستحق وصف السلام ، وهو السلام القائم على العدل ، ان عدونا يتحدث أحيانا عن السلام ، ولكن شتان ما بين ســلام العدوان وســلام العـدل .

ان دافيد بن جوريون هو الذى صاغ لاسرائيل نظرية فرض السلام ، والسلام لا يفرض ، والحديث عن فرض السلام معناه التهديد بشن الحرب أو شنها فعلا .

ان عدونا وقع فى خطأ

تصور ان قوة الارهاب تستطيع ضمان الأمن

والخطأ الكبير الذى وقع فيه عدونا انه تصور أن قوة الارهاب تستطيع ضمان الأمن ، ولقد ثبت عمليا اليوم وفى ميدان القتال عقم هذه النظرية ، ثبت انهـــا اذا صلحت بضعف الآخرين فى يوم ، فانها لا تصلح اذا ما استجمع هؤلاء قوتهم فى كل يوم ، ولست أعرف كيف كان لدافيد بن جوريون أن يفكر لو أنه كان فى مركز القيادة فى اسرائيل اليوم ؟ هل كان فى استطاعته ان يفهم طبيعة التاريخ ؟ أو أنه كان سيظل كما نرى قيادة اسرائيل اليوم فى موقف معاد للتاريخ ؟

السلام لا يفرض
وسلام الأمر الواقع لا يقوم ولا يدوم

ان السلام لا يفرض وسلام الأمر الواقع لا يقوم ولا يدوم . السلام بالعدل وحده ، والسلام ليس بالارهاب مهما أمعن فى الطغيان ، ومهما زين له غرور القوة أو حماقة القوة .

ذلك الغرور وتلك الحماقة اللتان تمادى فيهما عدونا . ليس فقط خلال السنوات الست الأخيرة ، بل خلال السنوات الخمس والعشرين ، أى منذ قامت الدولة الصهيونية باغتصاب فلسطين — ولقد نسأل قادة اسرائيل اليوم : أين ذهبت نظرية الأمن الاسرائيلى، التى حاولوا اقامتها بالعنف تارة وبالجبروت تارة أخرى ، طوال خمس وعشرين سنة ؟ لقد انكسرت وتحطمت .

قوتنا العسكرية تتحدى اليوم قوتهم العسكرية ، وهاهم فى حرب طويلة ممتدة ، وهم أمام استنزاف نستطيع نحن أن نتحمله بأكثر وأوفر مما يستطيعون .

وهاهم .. عمقهم معرض اذا تصوروا ان فى استطاعتهم تخويفنا بتهديد العمق العربى .

اننا لسنا دعاة ابادة كما يزعم العدو

وربما أضيف لكى يسمعوا فى اسرائيل اننا لسنا دعاة ابادة كما يزعمون ، أن صواريخنا المصرية عابرة سيناء من طراز ظافر موجودة الآن على قواعدها . ان صواريخنا المصرية العربية عابرة سيناء من طراز ظافر موجودة الآن على قواعدها ، مستعدة للانطلاق باشارة واحدة الى أعماق الأعماق فى اسرائيل .

ولقد كان في وسعنا منذ الدقيقة الأولى للمعركة أن نعطي الاشارة ونصدر الأمر خصوصا وأن الخيلاء والكبرياء الفارغة أوهمتهم بأكثر مما يقدرون على تحمل تبعاته ، لكننا ندرك مسئولية استعمال أنواع معينة من السلاح ، ونرد أنفسنا بأنفسنا عنها ، وان كان عليهم أن يتذكروا ما قلته يوما وما زلت أقوله : « العين بالعين والسن بالسن والعمق بالعمق » .

ثانيا – اننا لم نحارب لكى نعتدى على أرض غيرنا وانما حاربنا ونحارب وسوف نواصل الحرب لهدفين اثنين :

الأول : استعادة أراضينا المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ .

الثانى : ايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

هذه هى أهدافنا من قبول مخاطر القتال ولقد قبلناها ردا على استفزازات لا تحتمل ولا تطاق ولم نكن البادئين بها وانما كنا فيها ندافع عن أنفسنا وعن حرياتنا وعن حقنا فى الحرية والحياة .

ان حربنا لم تكن من أجل العدوان ولكن ضد العدوان ولم نكن فى حربنا خارجين على القيم ولا القوانين التى ارتضاها مجتمع الدول لنفسه وسجلها فى ميثاق الأمم المتحدة الذى كتبته الشعوب الحرة بدمائها بعد انتصارها على الفاشية والنازية ، بل لعلنا أن نقول ان حربنا هى استمرار للحرب الانسانية ضد الفاشية والنازية ، ذلك لأن الصهيونية بدعاويها العنصرية وبمنطق التوسع بالبطش ليست الا تكرارا هزيلا للفاشية

والنـــازية يثير الازدراء ولا يثير الخوف ويبعث على الاحتقار أكثر مما يبعث على الكراهية .

اننا فى حربنا كنا نتصرف وفق نص روح وميثـاق الأمم المتحدة وليس مجافاة للروح ولا للنص ، والى جانب الميثاق نفسه فلقد كنا نتصرف تقديرا واحتراما لقرارات المنظمة الدولية سواء على مستوى الجمعية العامة للأمم المتحدة أو على مستوى مجلس الأمن .

أيها الاخوة والأخوات :

لقد شهد العالم كله لنا بالحق وأشاد بشجاعتنا دفاعا عن هذا الحق . أدرك العالم اننا لسنا البادئين بالعدوان ولكننا المبادرون بواجب الدفاع عن النفس .

لسنا ضد قيم وقوانين مجتمع الدول ولكننا مع قيم وقوانين مجتمع الدول ، لسنا مغامرى حرب وانما نحن طلاب سلام .

أدرك العالم ذلك كله وكان يتعاطف من قبل ذلك مع قضيتنا واليوم زاد على تعاطفه معنا احترامه لتصميمنا على الدفاع عن هذه القضية ولقـد كنا نطمئن بعطف العالم ونحن الآن نعتز باحترامه .

وأقول لكم بصدق وأمانة اننى أفضل احترام العالم ولو بغير عطف على عطف العالم اذا كان بغير احترام .

وأحمد الله

أيها الاخوة والاخوات :

ان دولة واحدة اختلفت مع العالم كله ولم تختلف معنا فقط انما مع العالم كله كما قلت ، هذه الدولة هى الولايات المتحدة ، لقد فوجئت كما تدعى بأننا حاولنا رد

العدوان ولسنا نفهم كيف ولماذا فوجئت ؟ هذه الدولة لم تكتف كما تقول بأنها فوجئت وانما أفاقت من المفاجأة دون أن تعود الى الصواب .

ومن المؤسف والمحزن أن يكون هذا موقف واحدة من القوى الأعظم فى هذا العصر .

لقد كنا نتوقع أو ربما نتمنى ضد الشواهد والتجارب كلها أن تفيق الولايات المتحدة الامريكية من المفاجأة الى الصواب لكن ذلك لم يحدث ورأينا الولايات المتحدة تخرج من المفاجأة الى المناورة . أن غرضها الأول هو وقف القتال والعودة الى خطوط ما قبل أكتوبر وكان يمكن أن نغضب من هذا المنطق المعكوس ولكننا لم نغضب لأننا نثق فى أنفسنا من ناحية ومن ناحية أخرى لأننا بالفعل نريد أن نساهم فى سلام العالم .

ان العالم يدخل فى عصر من الوفاق بين القوتين الأعظم ونحن لا نعارض سياسة الوفاق ، كان لنا تحفظ واحد عليها وما زال تحفظنا قائما . اذا كنا نريد أن يدخل العالم بعد استحالة الحرب العالمية الى عصر من السلام فان السلام ليس معنى مجردا أو مطلقا ، السلام له معنى واحد . هو أن يشعر كل الشعوب فى الأرض أنه سلام لها وليس سلاما مفروضا عليها .

وانى لأقول أمام حضراتكم وعلى مسمع من العالم : نحن نريد أن تنجح وأن تتدعم سياسة الوفاق ، ونحن على استعداد للمساهمة فى انجاحها وتدعيمها .

ولكننا نرى — وبحق — أن ذلك لا يمكن أن يحدث . بينما العدوان قائم ضد أمة عربية بأسرها تقع فى قلب العالم استراتيجيا وتملك أهم ثرواته اقتصاديا .

ان اى نسيان لهذه الحقيقة البديهية ليس تجاهلا فحسب ، وانما هو اهانة لا نرتضيها لأنفسنا ولا للعالم الذى يعرف أهمية وقيمة المنطقة التى نعيش فيها وعليه أن يعرف الآن ان هذه المنطقـة قادرة على أن تمنح وأن تمنع .

أيها الاخوة والاخوات :

ان الولايات المتحدة بعد المناورة التى رفضنا مجرد مناقشتها خصوصا بعـد أن فتحنا طريق الحـق بقوة السـلاح اندفعت الى سياسة لا نسـتطيع أن نسكت عليها . .لا نستطيع أن تسكت عليها أمتنا العربية .. ذلك انهـا أقامت جسرا سريعا تنقـل به المعـونات والمساعدات العسكرية لاسرائيل .

لم يكف الولايات المتحدة ان سلاحها هو الذى مكن اسرائيل من تعطيل كل محاولات الحـل السلمى لأزمة الشرق الأوسط فاذا هى الآن تتورط فيما هو أفـدح وفيما هو أخطر فى عواقبـه بينما نحن نقاتل العـدوان وبينما نحاول ازاحة كابوسه عن أراضينا المحتلة اذ هى تسارع الى العدوان تعوضه عما خسره وتزوده بما لم يكن لديه .

ان الولايات المتحدة تقيم جسرا بحريا وجويا تتدفق منه على اسرائيـل دبابات جـديدة وطائرات جـديدة ومدافع جديدة وصواريخ جديدة واليكترونيات جديدة ونحن نقـول لهم ان هذا لن يخيفنا ولكن عليكم وعلينا قبل أن تصل الأمور الى نقطة اللاعودة أن نفهم الى أين والى متى ؟ واين ونحن خريطة الشرق الأوسط وليست اسرائيل ؟ الى أين ومصالحكم كلها عنـدنا وليست فى اسرائيل ؟ الى اين والى متى ؟؟

أيها الاخوة والاخوات :

لقد فكرت أن أبعث الى الرئيس ريتشارد نيكسون بخطاب أحدد فيه موقفنا بوضوح ولكننى ترددت خشية اساءة التفسير ولذلك قررت أن استعيض عن ذلك بتوجيه رسالة مفتوحة اليه من هنا ، رسالة لا يمليها القول ولكن تمليها الثقة . رسالة لا تصدر عن ضعف ولكن تصدر عن رغبة حقيقية فى صون السلام ودعم الوفاق . أريد ان أقول له بوضوح ان مطلبنا فى الحرب لا حاجة بنا لاعادة شرحه ، واذا كنتم تريدون معرفة مطلبنا فى السلام فاليكم مشروعنا للسلام :

أولا : اننا قاتلنا وسوف نقاتل لتحرير أراضينا التى أمسك بها الاحتلال الاسرائيلى ٦٧ ، ولايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ونحن فى هذا نقبل التزامنا بقرارات الأمم المتحدة فى الجمعية العامة ومجلس الأمن .

ثانيا : أننا على استعداد لقبول وقف اطلاق النار على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الأراضى المحتلة فورا وتحت اشراف دولى الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ٦٧ .

ثالثا : اننا على استعداد فور اتمام الانسحاب من كل هذه الأراضى ، أن نحضر مؤتمر سلام دولى فى الأمم المتحدة . سوف أحاول جهدى أن أقنع به رفاقى من القادة العرب المسئولين مباشرة عن ادارة صراعها مع العدو ، كما اننى سوف أحاول جهدى ان أقنع به ممثلى الشعب الفلسطينى وذلك لكى يشارك معنا ومع مجتمع

الدول فى وضع قواعد وضوابط السلام فى المنطقة يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة .

رابعا : اننا على استعداد هذه الساعة ، بل هذه الدقيقة ، أن نبدأ فى تطهير قنــاة السويس وفتحها أمام الملاحة العالمية لكى تعود الى أداء دورها فى رخاء العالم وازدهاره ، ولقد أصدرت الأمر بالفعل الى رئيس هيئة قناة السويس بالبدء فى هذه العملية غداة اتمام تحرير الضفــة الشرقية للقنــاة ، وقد بدأت بالفعل مقــدمات للاستعداد لهذه المهمة .

خامسا : أننا لسنا على استعداد فى هذا كله لقبول وعود مبهمــة أو عبارات مطاطة تقبــل كل تفسير وكل تأويل وتستنزف الوقت فيما لا جدوى فيه وتعيــد قضيتنا الى جمود لم نعد نقبل به مهما كانت الأسباب لدى غيرنا أو تضحيات بالنسبة لنا ، ما نريده الان هو الوضوح ، الوضوح فى الغايات والوضوح فى الوسائل .

أيها الاخوة والاخوات :

لقد قلنا كلمتنا وأدعو الله مخلصا أن يفهمها الجميع فى اطارها الصحيح وأن يضعوها على الخط المستقيم ، وأن يحسنوا تقــدير الأمور . ان هذه الساعة تتطلب شجاعة الرجال وعقل الرجال . ومن جانبنا فاننا نواجه هذه الساعات بخضوع الصادقين مع الله ومع انفسهم ومع أمتهم ومع انسانيتهم ، هــذه ســاعات تدور فيها معارك أكبر مما دار من أسلحة تقليدية حتى فى حروب العمالقة هذه ساعات تتقرر فيها مصائر وتتحدد فيها علاقات سوف تفرض نفسها على المستقبل وهى تؤكد

نفســها فى الحاضر ، هذه ساعات يتقــدم فيها أبطال ، وهذه ساعات يسقط ــ بل يرتفع ــ فيها شهداء ، هذه ســاعات حافلة بمشاعر متباينة تمتزج فيهــا صيحة الفرح بمشاعر عميقة اخــرى ، ذلك اننا كنا ولا زلنا نريد الحــق ولا نريد الحــرب ، لكننا كنا لا نزال نريد الحق حتى اذا فرضت علينا الحرب وحين كانت نشوة الانتصار تملأ كل القلوب فاننى كنت فيما بينى وبين ربى أعرف مدى العنـاء الانســانى الذى ندفعــه فى سبيل النصر .

ولقد كنت أتتبع انباء انتصاراتنا فى خشوع لأننى أعرف الحرب ، ولقد كان أصــدق القــائلين هو الذى علمنا (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) .

أيها الاخوة والاخوات :

هذه ساعات نعــرف فيها أنفســنا ونعــرف فيها الأصــدقاء ونعرف فيها الأعداء ، ولقــد عرفنا أنفسنا ولقد عرفنا أصدقاءنا وكانوا بأصدق وأخلص ما نطلب من الأصــدقاء ، ولقد كنا نعرف عدونا دائما ، ولسنا نريد أن نزيد من أعــدائنا بل اننا لنوجه الكلمة بعــد الكلمة ، والتنبيه بعد التنبيه ، والتحذير بعد التحذير ، لكى نعطى للجميع فرصة يراجعون ولعلهم يتراجعون ، لكننا بعون الله قادرون بعد الكلمة وبعد التنبيه ، وبعد التحذير ، ان نوجه الضربة بعد الضربة ، ولسوف نعرف متى وأين وكيف اذا أرادوا التصاعد فيما يفعلون . الأمة العربية كلها ، واسمح لنفسى أن أعبر عنها ، ان تنسى مواقف هذه الساعات ، أن الأمة العربيــة لن تنسى أصدقاءها هذه الساعات ، ان الأمة العربية لن تنسى أعداء هذه الساعات الذين يقفون مع عدونا .

ربنا كن لنا عونا وهدى .. ربنا وبارك لنا فى شعبنا وفى أمتنا .. ربنـــا انك وعدت ووعدك الحق ــ أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

والسلام عليكم .

وأكمل الرئيس رواية الملحمة التاريخيـــة التى كان بطلها فى حديث نشرته جريدة الأهرام يوم ١٩٧٤/٣/٢٩ ، وقال فيه عن موقفه من التحضير للمعركة ، وكان الأمر الأول الذى تحدث عنه هــو :

« ثلاث سنوات ، هى فترة ولايتى قبل أن تبدأ المعركة .. ثلاث سنوات عجاف ، تحملت فيها ما لا يتصوره بشر ، ومع ذلك لم تهتز الرؤية أمامى لحظة واحدة ، ولم يتغير ايمانى ، أو أنفعل بما لا يجب أن أنفعل به من أجل معركتنا الكبرى .

للتحضير لهذه المعركة ، كان لا بد أن نأخذ فى الحسبان عوامل كثيرة ، لأننا نتعامل مع عدو يستند أولا ما يستند الى أكبر قوة فى عالمنا المعاصر ، وهى الولايات المتحدة ، وكما عبرت فى مناســبات كثيرة ، أن عدونا يتلقى من أمريكا كل شىء .. من رغيف الخبز الى الفـــانتوم .

الأمر الثانى :

كان لا بد اذن من أن نضع هذا العامل فى الحسبان ، وكان لا بد لنا من أن نستقرىء تاريخ قضـــيتنا العـــربية .. ليس فقط

فى الخمس والعشرين سنة الماضية منذ قيام اسرائيل ، ولكن منذ أن انعقد مؤتمر بال فى سويسرا فى القرن الماضى ، ووضع استراتيجية قيام اسرائيل .

الأمر الثالث :

كان لا بد أن ندرس « لعبة الأمم من حولنا » ، وتأثير علاقات القوى الكبرى فى كل هذه اللعبات ، لأنه من الجهل . بل قد يكون من الخيانة ، أن تتعرض لمعركة مصيرية ، بدون أن نعيش عصرنا بكل مؤثراته . ومن يتوهم أننا نستطيع أن نتصرف فى عزلة عما يجرى حولنا ، هو جاهل ، أو فى أبسط التعابير ساذج .

الأمر الرابع :

أنه فى سنة ١٩٧٢ انتهى عصر ما يسمى بالحرب الباردة ، وفى اجتماع القمة بين العملاقين بموسكو فى سنة ١٩٧٢ ، صدر بيان يبشر بعبارة « الاسترخاء العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط » . أى ببساطة باستمرار حالة « اللاسلم واللاحرب » التى كانت كفيلة بأن تحقق لاسرائيل على المدى الطويل كل ما تريد من غير أن تطلق طلقة واحدة .

ثم يأتى اجتماع القمة الثانى بين العملاقين فى يونيو سنة ١٩٧٣ ، فيؤكد البيان الذى صدر بما لا يدع مجالا لأى شك أو لبس على تجميد القضية ، انتظارا لحل سلمى ، فى الوقت الذى

تحلق فيه طائرات اسرائيل على لبنان . وتتخطى حاجز الصوت ، ويصرح زعماء اسرائيل ومسئولوها أنهم سيضربون وقتما يشاءون وأينما يشاءون ، بالطريقة التى يشاءون .

الأمر الخامس :

وهو حقيقة تنبع من كل ما سبق ، وهى أن العملاقين الكبيرين ، روسيا وأمريكا يحرصان على وجـود اسرائيل ويتصرفان كل بطريقته للحفاظ على ذلك ، فأمريكا تعطى التفوق الكامل لاسرائيل على العرب مجتمعين ، تحت اسـم نظرية « توازن القـوى » ، والسوفييت من جانبهم وكما شرحت قبل ذلك أمام اللجنة المركزية سنة ١٩٧٢ ، يضعون قيودا على ما يقدمون للعرب من السـلاح والتكنولوجيا التى هى مباحة من جانب أمريكا لاسرائيل بالكامل

الأمر السادس :

كان لا بد أن نواجه العالم كله ، فى افريقيا ، وفى آسيا . وفى أوروبا ، وفى أمريكا ، بحقيقة الوضع الذى تضمنته الحرب النفسية الشرسة التى قامت بها أجهزة الاعلام فى أمريكا والغرب ، من أن العرب طلاب حرب . فى الوقت الذى لا قيمة لهم عسكريا ، وأنهم دائما يرفضون كل الحلول السلمية ، بهدف القضاء على اسرائيل . ومنذ أول يناير سنة ١٩٧٢ اتخذت هذه الحملة أبعادا خطـيرة . يوم أن صرح وزير خارجية أمريكا « روجرز » فى أول يناير سنة ١٩٧٢ بأن أمريكا ستمد اسرائيل بالسلاح برغم تفوقها ، وأن

أمريكا قد أنشأت داخل اسرائيل مصانع لأسلحة سعقدة وراقية تكنـولوجيا ، وانه لا أمل أمام العرب الا أن يسـلموا بالأمر الواقع .

الأمر السابع :

أن بندا رئيسيا من بنود استراتيجية اسرائيل الأساسية ، هو استمرار الصراع العربى والفرقة العربية ، واستحالة جمع كلمـة العرب على أى أمر .

نخرج من هذا أنه كان علينا لكى نواجه معركتنا على مستوى كل هذه التحديات . وبالمفهوم العلمى والعملى للعصر الذى نعيشه . ولكى يفهمنا العالم الذى يحيط بنا . ولا نبدأ معركتنا من فراغ أن نمهـد بما يأتى :

١ — اعداد الساحة العربية .

٢ — اعداد الساحة العالمية . عبر افريقيا ودول عدم الانحياز . وأخيرا عبر مجلس الأمن الذى يمثل العالم كله تمثيـلا اقليميا كاملا ويعتبر سلطة عليا فى أجهزة الأمم المتحدة » .

وقبل أن يدلى الرئيس بهذا الحديث الى جريدة الأهـرام ، كان قد حدد يوم ١٩ فبراير ١٩٧٤ لتكريم أبطال أكتوبر داخل قاعة مجلس الشعب ، والقى كلمة قصيرة اقال فيها .

بسم الله

وما النصر الا من عند الله

أيها الاخوة والاخوات :

أطلب منكم أن نقف معا دقيقـة تحيـــة لشهدائنا الأبطال .

أيها الاخوة والاخوات :

جرت العادة والتقاليد بعد المعارك الكبرى أن يقدم القائد العام للقوات المسلحة تقريره الى رئيس الدولة.. تقريرا عن المعارك التى خاضتها هذه القوات يعرض فيه الجهود التى قامت بها القيادات ويسجل أعمال البطولة التى قام بها الجنود والضباط .

ولقد طلبت من القائد العام للقوات المسلحة الفريق أول أحمد اسماعيل أن يقدم هذا التقرير التاريخى الى تحالف قوى شعبنا العامل ، فهذا الشعب هو صاحب الأسلحة التى حققت المعجـزة ، وهى أسلحة لم تصنع من الفولاذ فقط ، وانما صنعت أيضا بالايمان والاصرار ، صنعت بالعناد والعرق ، صنعت بالدم والتضحية وقوة الاحتمال ، هذا الشعب شعبنا الذى حرم نفسه لسنوات طويلة من ضرورات الحياة ليوفر لجيوشه المال والسلاح هذا الشعب الأبى الذى يأكل اليـوم بالبطاقات ويقف

فى الطوابير ويتحمل عـذابا يوميا فى حيـاته من أجل أن يحقق ذاته وكرامته ، ومن أجل ان يحقق النصر لأمته العربية كلها .

أيها الاخوة والاخوات :

ان تضحيات الشـعب المصرى هى التى زادت من فاعلية الصواريخ ، وهى التى ضاعفت من قوة انطلاق المدافع ، وهى التى ضاعفت أيضا من صلابة الدبابات وشراسة الطائرات .

ولقد عاش شعبنا وأمته العـربية خمسة قرون فى احضـان الهزيمة . سارت مواكب النصر فى شوارعه ولكنها كانت مواكب جيوش الغـزاة الأجانب وليست جيوشه .

رفعت أعلام النصر فى الميادين ولكنها كانت أعـلام الدول المحتلة ولم تكن أعلامه .

واليوم أعلن لشعبنا ولأمتنا العربية كلها أن قرون التخلف والهـزيمة قـد انتهت بعد أن حققت القوات المسلحة فى مصر وسوريا تؤيدها قوات الشعوب العربية أول نصر حقيقى للعرب منذ عدة قرون ، ولأول مرة منذ خمسمائة سنة تمشى مواكب النصر المصرية فى شوارعنا وترتفع أعلام النصر المصرية فى ميادينا .

هذه القوات ردت للعرب كبرياءهم وأعادت اليهم ثقتهم فى أنفســهم . بل استردت لهم احترام شـعوب الدنيا كلها .

وهنا ـ أيها الاخوة والاخوات ـ يهمنى ان اقـدم شكرى وشكر بلادى وتقـديرنا لأشقائنا العـرب ملوكا

ورؤساء شعوبا وقوات مسلحة ، أشكر الذين حاربوا معنا بأرواحهم وبذلوا الدم مشاركة لنا فى معركتنا ، وأشكر الذين حاربوا معنا بامكانياتهم وأضافوا بمواقفهم وتضامنهم قوة رائعة جديدة للمعركة .

ونحمد الله ، نحمد الله ، فقد أطلت أنوار الفجر الجديد على كل شبر من الأرض العربية فجر للعرب الأحرار بعد ظلام طويل دامس ، فجر للانسان العربى الجديد بعد ليل طويل حالك فجر للأرض التى اختارها الله سبحانه وتعالى للهداية والحكمة والرشاد ، فجر نتدعم فيه قلاع الحرية لتندك فيه كل دعاوى وأطماع الأقوياء ، فجر الحب والبناء فلا مكان هنا بعد اليوم للحقد أو الضغينة والبغضاء ، فجر لا ذل فيه ولا اذلال ولا ظلم ولا طمع ولا استغلال ، فجر السيادة فيه للتحالف العظيم لقوى شعبنا العامل ، الأرض لأصحابها والخير كل الخير لمن يزرع الخير ويرعى القيم ويحفظ الوفاء ، فجر يرفع فيه كل مواطن رأسه فى كبرياء ويحنى فيه الحاكم رأسه طاعة للشعب بعد أن أصبحت القيادة للشعب ، فجر السلطان فيه للقانون وصيانة لكرامة الأفراد وانصافا لكل مظلوم والأولوية فيه للوطن حبا وعملا وتفانيا وأداء ، فجر للعاملين والمجاهدين لكل من بذل قطرة دم او حبة عرق من أجل أن يرتفع البناء الى السماء ، فجر نعوض فيه مع أخوة لنا ما ضاع من العرب من أمجاد ، ونرد فيه لأمتنا العربية بالوحدة والتضامن مكانها العالى فى عالم لم يعد يعترف الا بالأقوياء .

ولقد عرفنا جيــدا ماذا يستطيع أن يفعل العــرب باتحاد كلمتهم ، وكيف أن الخلاف والصراع بين العرب كان هو دائما طريقهم الى الهزيمة والبوار .

((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب)) .

أيها الاخوة والاخوات :

اذا كان لى أن أدعو القائد العام لكى يقــدم تقريره عن مرحلة من مراحل المعركة فيجب الا ننسى أو نغفل لحظة عما عاهدنا عليــه الله وعاهدنا شعوبنا عليــه من أهداف . عهدنا أن نظل نحمل السلاح حتى تتحرر كل الأرض العربية من العدوان والاحتلال ، عهدنا ألا نفرط أو نساوم على حقوق أهلنا شعب فلسطين .

وتحيــة منا فى هذا اليــوم لرفاقنا فى الســلاح على الجولان ، تحيــة منا لأخوتنا فى الأرض المحتلة ، تحيــة الصمود والثبــات ، فقد طلع الفجــر . وعهدنا لهم ألا نفرط أبدا فى الأمانة ومنذ أكتوبر يعرف اخوتنا أن عهدنا هو عهد المحاربين الشرفاء .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وفى هذه الجلسة التاريخية حدث موقفان مثيران أولهما أن الرئيس تسلم بيده وسام شقيقه الطيار عاطف الســادات الذى استشهد فى حرب أكتوبر ، وكان الموقف الثــانى هو اســتجواب

قائد الجيش الثالث الذى زعمت اسرائيل أن قوتها كانت تحاصره . وأن مدينة السويس قد سلمت وسقطت وكان هذا الاستجواب فصلا من فصول الملحمـة التى صنعها المقـاتل المصرى فى حرب اكتوبر فقد تأكد أمام العالم أن الجيش الثـالث المصرى ظل فى مواقعه وانه استولى على مواقع جديدة أيضا كانت تحتلها قوات اسرائيل ، وأن مدينة السويس قاومت الغزو وكتبت قصة جديدة من قصص البطـولة العسكرية والشعبية حتى تلاحـم الجيش والشعب ضد الغزاة .

٧ مطلع الفجر

من عادة السادات أن يبدأ حديثه باسم الله وعندما صدرت البيانات العسكرية فى حرب اكتوبر كانت تبدأ دائما باسم الله الرحمن الرحيم — وكان النداء المشترك للمقاتلين الذين عبروا قناة السويس ، وأهالوا السد الترابى ، وحطموا خط بارليف هو : الله أكبر .

وقبل المعركة وخلالها ، وبعد وقوعها ، كان السادات يزور الأماكن المقدسة فى مكة والمدينة ويخلع ثياب السلطة شأنه فى ذلك شأن حكام مصر العظام الذين عاشوا خلال حكمهم فترات حاسمة قبل الفترة التى كتبها له القدر .

كان بعض سلاطين مصر حين تشتد أمامهم صروف الزمان يتوجهون الى الله بقلب سليم ، وفى نفس الوقت يجعلون للسلطة حقها من الدنيا فى العظمة والمظهر والزى ، وكل ما يجب على السلطان أن يسلكه أمام شعبه وأمام أعدائه ، وهذا جزء من عظمة مصر ، ولا يجوز له أن يهمله من ناحية مظاهر السلطنة

والحكم . وله المواكب الفاخرة . والزى الأمثل ، وفرسه من الخيول المسرجة بالذهب والجوهر وفوق رأسه قبة الطير ، عليها صقر جارح ينقض على أعدائه اذا حاولوا الاعتداء عليه وهى قبة مشغولة بخيوط الذهب ويحملها أكبر أعوانه فى مواكبه الرسمية، ومن حوله الحراس يحملون الرماح المكفتة بالفضة والذهب ، وأمام موكبه ومن خلفه الجنود والبنود والموسيقات ، حتى قيل ان موكب السلطان المصرى من احدى عجائب الدنيا التى كانت مصر تملك أكثر من نصفها فى العالم القديم وكان أهمها الاهرامات وموكب السلطان واحتفال وفاء النيل .

وكان الظاهر بيبرس أحد فرسان المنصورة فى حرب لويس التاسع . وقاهر التتار فى عين جالوت يخضع أمام الشيخ عز الدين ابن عبد السلام شيخ الاسلام ، وكان غيره من السلاطين ينزلون من القلعة ليجلسوا مع (الشيخ أبو السعود الجارحى) فى مصر القديمة ، ويعرضون عليه مشاكلهم . ويقبلون يديه ووصل الأمر بالسلطان قلاوون انه كان ينزل من القلعة الى الأزهر متخفيا ليصلى مع الناس . ويسمع رأيهم فى أحكامه ، ثم يصعد الى سطح الأزهر ليجلس مع (الشيخ زكريا الانصارى) شيخ الاسلام المتصوف ليتلقى على يديه درسا فى العلم وعندما وقع (طومان باى) آخر سلاطين المماليك فى الهزيمة بسبب الخيانة عندما هاجم السلطان سليم العثمانى مصر ، وجدوا تحت ثياب السلطان الفاخرة

وعلى جسد (طومان باى) خرقة الصوفية ، وهى قطعة من الصوف ارتداها على جلده تحت ثياب السلطنة الفاخرة المطرزة .

وحدث عندما كان (ابراهيم باشا) فى دمشق بعد أن فتح الشام . وتقدمت جيوشه المصرية لتطوق أبواب اسطنبول فى مطالع العصر الحديث ، أن ذهب لزيارة كبير العلماء فى دمشق ، وكان الرجل مصابا بالشلل ، ولا بد له أن يمد ساقه بسبب مرضه ، واعتقد القائد الظافر أن الشيخ يحتقره ويضع رجله فى وجهه ، ولا يقوم لاستقباله كما جرت العادة ، ولما علم ابراهيم حقيقة الأمر وفهم السبب انحنى على قدم الشيخ وقبلها .

لا تعارض بين عظمة السلطان وبين الايمان ، وهى ليست صكوك غفران ، ولكن السلطان جعل سلطانه وايمانه داخل اطار واحد هو الجهاد فى سبيل الله ، وكانت شعارات السلاطين المجاهدين ، ترتفع دائما من القاهرة لتقول :

— وا اسلاماه ... وا محمداه .

وعندما غاب الايمان وقعت الهزائم ، وسقط الحكام . حتى أصبح (نابليون بونابرت) من دعاة الاسلام ووضع على رأسه عمامة فى حفل المولد النبوى وشهد الاذكار ، وشارك فى الاستماع للمدائح النبوية الشريفة . فى ليلة المولد بالقاهرة .

قصص التاريخ كثيرة ومثيرة . ولكن من هم الرجال الذين سيسمعون أذان الفجر ويطلع معهم الفجر ليعيد للناس نور حياتهم .

كان السادات هو الرجل الذى تترقبه الأقدار لصلاة الفجر ، ورؤية نور الفجر الجديد .

وذات يوم لاحظ صحفى أجنبى أن السادات يحمل على جبهته آثار السجود الطويل وهى شارة الشرف للعابدين المتعبدين ، فكيف يكون شأنها مع الرئيس ؟

وهذا الخشوع للواحد القهار هو الذى منح السادات ميزة التواضع فلم يدق الطبول بعد انتصاراته الهائلة فى حرب رمضان بل كان الاحتفال الوحيد الذى أقامه هو حفل تكريم الأبطال داخل قاعة مجلس الشعب — وجعله تسجيلا للمعارك ، واستجوابا لقائد الجيش الثالث الذى أكد صمود جيشه وانتصاره وعدم تسليم مدينة السويس . كما كان الحفل تكريما لشهداء المعارك .

وقبل وقف النار قالت صحيفة الديلى اكسبريس يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ .

« ان رجلا واحدا فى الواقع ألا وهو الرئيس المصرى أنور السادات يستطيع ايقاف الحرب . لقد قاتلت قواته بشجاعة ، وقد حققت أكثر بكثير مما كان يحلم به أى شخص » .

كما قالت الديلى تلغراف فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ :

« ان تلك الساعات الست الأولى من يوم السادس من أكتوبر حينما عبر الجيش المصرى قناة السويس واجتاز خط بارليف غيرته

مسار التاريخ بالنسبة للزعيم والدولة وربما للشرق الأوسط بأسره » .

وعندما كان العالم كله يتحدث عن انتصارات أكتوبر ، ظل السادات على تواضعه ، ولم تشمله خمرة النصر -- بل انه استمر يعمل بعد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بطاقة أكبر مما كان يعمله قبل هذا اليوم التاريخى العظيم . وكان من حقه أن يستريح ويهدأ قليلا بعد هذا الجهد المضنى الذى بذله خلال ثلاث سنوات منذ توليه الحكم حتى حقق النصر .

وخلال الشهور القليلة التى تلت انتصارات رمضان ، عقد مؤتمر القمة فى الجزائر ، وقدم السادات كشف حسابه للأمة العربية . وقام بجولات سريعة وخاطفة الى عدد من البلاد العربية ليؤكد الدعوة . ويحدد مفاهيم الحرب الجديدة التى شنها العرب من أجل كيانهم وهى حرب البترول وعقد الاجتماعات المتتالية الشهيرة مع (هنرى كيسنجر) وزير خارجية أمريكا التى أدت الى اتفاقية الفصل بين القوات ، وسافر الى يوغسلافيا حيث عقد اجتماعات مع الماريشال تيتو ، وكان قد حضر أيضا المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى لاهور بباكستان ، وأصلح ذات البين بين باكستان وبنجلاديش .

أعمال كثيرة ومستمرة وسريعة داخل مصر ، ومع الأخوة العرب . وخارج الأرض العربية قام بها السادات ولا زال يقوم بها

بصورة مذهلة ولا يقوى عليها رجل الا من منحه الله الايمان والتواضع .

يقول على أمين فى احدى مقالاته بجريدة الأهرام .

« ان الدول العربية تقدر وزن رأى مصر . وتعرف أنها تتكلم بعد أن ضحت بعشرات الألوف من جنودها وضباطها . وخسرت فى معارك فلسطين عشرة بلايين من الجنيهات اقتطعتها من قوت الشعب المصرى لتواجه وحدها العدوان الاسرائيلى ٢٥ سنة . ولأنها تعرف أن سكان مصر يزيدون عن ٤٠٪ من الشعب العربى ، ويعرفون أنها مكة العرب فى الفكر والعلم والصناعة والانتاج ووراءها سبعة آلاف سنة من التاريخ والحضارة ويعرفون أنها منارة العرب .. ومن أرضها انطلقت النداءات التى تطالب بتحرير الشعوب العربية وتحطيم قيودها وأغلالها .

ويعرفون أن مصر السادات لم تحاول استعراض عضلاتها أمام الشعوب العربية . لقد رفض السادات زعامة العرب ورجع عدة خطوات الى الوراء وترك المكان الأول لزملائه ملوك العرب ورؤسائهم . ضمد جروح الأمس ، واذا بقواته المسلحة وطاقته العجيبة على الصبر وايمانه المطلق وقدرته على التنظيم والاعداد تعيده رغم أنفه الى الصف الأول .

فالسادات الذى ترك الشعوب العربية عامين تسخر منه وتغرقه فى النكتة والتشنيعات وتضحك من ادعائه أنه سيحارب .. ليغطى

استعداداته الضخمة لمعركة العبور . ليس بالرجل الذى يبحث عن زعامة . أو يهمه الوقوف فى الصف الأول أو الأخير ..

ولم تتردد الدول العربية أن تستعمل لأول مرة أقوى أسلحتها وهو سلاح البترول فهزت الدنيا ودعمت انتصاراته جيوش العرب عامة وجيش مصر خاصة .

ولكن ليس معنى تواضع السادات . أن يتواضع معه الشعب المصرى . ويترك اذاعات الغوغاء وصحف الهلافيت تسخر من تضحيات هذا الشعب وانتصاراته ومعجزاته » .

وحتى تستكمل هذه الصورة التى أراد على أمين تقديمها للقارىء ، فاننى أقدم بعض آراء الاسرائيليين فى أنور السادات . وأذكر هؤلاء الحاقدين من أشباه الزعماء العرب بالمثل العربى القديم الذى يقول : ان الفضل ما شهدت به الأعداء .

لقد صرح (اسحق بن آهرون) سكرتير عام الهستدروت فى مؤتمر صحفى نشرته جريدة معاريف الاسرائيلية يوم ١٨/١١/ ١٩٧٣ فقال :

— ان الحكومة الاسرائيلية خلقت خرافة أن اسرائيل لديها المقدرة أن تقرر وحدها ماذا كانت ستنسحب من الأراضى العربية المحتلة أم لا ؟

ووصف (بن أهرون) الرئيس السادات بأنه رجـل واع ، وأعرب عن اعتقاده بعد أن حقق السادات انتصاراته من الناحية النفسية ، بأنه سيكون قادرا على التوصل الى ما يريد بطرق أخرى غير الحرب .

وكتبت جريدة معاريف فى أول مارس عام ١٩٧٤ تقول :

قبل عام رأس الرئيس السادات حكومة المواجهة وانتقل من منزله ليعيش فى داخل دشمة هيئة الأركان العامة وأصدر أوامره بالاظلام التام وآمر بالاستعداد للمقاومة الشعبية وحاول اقنـاع الجميع بجدية نواياه بشن حرب لكن لم يصدقه أحد وليس فى اسرائيل بل فى مصر ذاتها واليوم عندما يحذر أمام الهيئة البرلمانية — بأن مصر لن تلقى سلاحها الا بعد أن يتم تحرير كافة الأراضى المحتلة وأن تستعيد الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى — فان هذا الكلام أصبح محل ثقة قاطعة فى مصر وأيضـا فى اسرائيل . وانه منذ خمسة شهور التى مرت منذ نشوب الحرب أصـبح الرئيس السادات محل تقدير الجماهير منذ أصبح بطل السادس من أكتوبر وأصبحت زوجته السيدة جيهان أم الجرحى .

وكتبت هذه الجريدة الاسرائيلية مقالا فى الثامن من مارس قالت فيه :

« ان حرب عيد يوم الغفران قد أكدت المكانة السيادية لمصر فى العالم العربى — وبفضل القاهرة يرجع الاحساس الذى ساد

العالم العربي هذا لأن انجازات الحرب ان كانت لم تمحو تماما آثار الهزيمة التى منوا بها عام ١٩٦٧ — فانها رفعت شأن وقامة العرب . ففى القاهرة أصبحت تتردد أصوات تنم عن الرضا من سياسة السادات فى اطار العلاقات العربية فالسادات رجل واقعى ، وهو يعمل من أجل توفير الرخاء لمصر ، نظرا لأن الرخاء فى نظر السادات أمر له الأولوية العليا .

ان السادات — كما قالت الصحيفة الاسرائيلية — يبحث عن الرخاء لا عن الأمجاد الشخصية . وقد كرس نفسه من أجل رفاهية الشعب المصرى والشعوب العربية . وهو نموذج جديد بين حكام مصر عبر العصور .

فى أعقاب حرب أكتوبر كانت أجهزة الأعلام المصرية تتحدث عن بطولات المقاتلين لا عن بطولة القائد وهذا لم يحدث عندما وقعت الهزائم المتكررة . فكان الحديث يدور دائما عن الزعامات .

ولأول مرة فى تاريخ مصر يكتب تاريخ شعب مصر لا تاريخ حاكم مصر . ولو استعرضنا الصحف والمجلات التى صدرت فى القاهرة منذ ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لوجدنا كيف سطرت وصورت بطولات المقاتلين وأنباء المعارك . حتى تقدم مقاتل مصرى لافتتاح معرض الغنائم الذى أقيم فوق أرض المعارض بالجزيرة وكان الذى قدمه هو وزير الحربية وقائد الجيش . وفى مناسبة أخرى تقدم أحد

رجال المقاومة الشعبية فى السويس ليمثل حقيقة المواطن المصرى فى دفاعه عن أرضه ووطنيته . ثم أصبحت أمهات الشهداء لا يتقبلن العزاء . ولا يبكين أعز أحبابهن ولكنهن يفتخرن بأن هؤلاء الأعزاء الشرفاء ماتوا من أجل مصر .

وهذه الصفحات التى أردت كتابتها عن السادات أصبحت فى واقع الأمر جزءا من تاريخ مصر يختلط بحياة السادات ، وترتبط به حياة السادات .

وأين كانت أسرة السادات خلال الحرب وبعد الحرب ؟ لقد خرجت قرينة الرئيس الى ميدان العمل ، والتفت من حولها سيدات مصر ، حتى أصبحت أما للمقاتلين ، بل انه عندما أراد الاحتفال بزواج ابنته اختار ضيوفه من المصابين فى الحرب ليرفه عنهم ويشعرهم بمشاركته لهم ومشاركتهم له فى أفراحه . وكان هو والسيدة قرينته يقدمان لهم الطعام والحلوى بأيديهما فى تواضع .

ان أنور السادات رب لأسرة مصرية أصيلة ، لا تختلف عن ملايين الأسر فى مصر ، أسرة يجمع الحب بين أفرادها ويضمهم حب من نوع عظيم هو حب مصر ..

ولما كان رب الأسرة هو قائد معركة التحرير وصاحب اشارة « شرارة » و « بدر » ، والذى انطلق من ورائه الآلاف والملايين فى صبر وايمان مرددين : الله أكبر .. الله أكبر ..

لم يكن غريبا أن تشارك أسرته فى العمل من أجل المعركة ، وكان دورها فى خدمة المقاتلين الذين ارتفعت بهم رءوسنا .

وجاء دور ربة الأسرة السيدة جيهان السادات .. أم الأبطال ، وكان طريقها واضحا واتجاهها خيرا ، لم تتخلف بل كانت متفائلة مستبشرة ، فكانت تعرف مدى ثقة الرئيس فى كفاءة المقاتل المصرى وشجاعته . وبعد سماعها أول البيانات فى الاذاعة يوم ٦ أكتوبر هى وأبناؤها لبنى وجمال ونهى وجيهان .. كان عليها أن تتخذ القرار .. وفى حديث لها تقول (١) :

.. كنت أعرف أن الرئيس لا يمكن أن يكون قد أخذ قرار المعركة الا وهو واثق من قدرة الرجال الذين سوف يتولون تنفيذ القرار ، كنت واثقة من النصر ولكننى كنت أدرك ضراوة المعركة وأدركت أنه لا معركة بدون ضحايا . ومنذ ساعة اذاعة البيان حتى موعد مدفع الافطار ــ وقد كنا فى رمضان ــ كان هناك سؤال يطرح نفسه على بشدة هو .. ماذا يجب على أن أفعل ؟ ومر فى ذهنى شريط لصور أبطالنا الجرحى فى معركة التحرير .. ومض فى ذهنى سؤال .. ترى لو أن جمال ابنى واحد من هؤلاء الجرحى ، ما الذى كنت أفعله ساعتها ، وكانت الاجابة هى بلا تردد : أكون بجانبه . وكانت هذه الاجابة هى دليلى الى القرار الذى اتخذته ، فهؤلاء

---

(١) حديث فى مجلة آخر ساعة بتاريخ ٩ يناير ١٩٧٤ .

الأبطال الجـــــرحى كلهم أولادى ، كلهم أولاد أنور السادات ، وواجبى هو أن أكون بجانبهم ، أعاونهم وأخفف عنهم آلامهم وأساعد على حل مشاكلهم وأرفع من معنوياتهم تماما كنت سأفعل لو أن الجريح هو ابنى من دمى ولحمى .

وعلى مائدة الافطار سمعت أولادى يتساءلون فيما بينهم .. ماذا نفعل .. ابتسمت فقد كان عليهم أن يصلوا الى القرارات التى سوف يتخذونها بأنفسهم ، اما عن نفسى فان هذا التساؤل لم يعد واردا فقد كنت قد انتهيت من تحـــديد هدفى وموقعى فى المرحلة القادمة من النضال .

بعد الافطار مباشرة ارتديت معطفى الابيض وتوجهت الى الهلال الأحمر ، وعقدت اجتماعا مع سيدات الهلال وضعنا فيه خطة عمل بالنسبة لجميع المستشفيات ، وفى نفس الليلة ، اصطحبت معى رئيسة لجنة المستشفيات بالهـــلال وتوجهنا الى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى لنكون فى استقبال أول جريح يصل من الجبهة ، وكانت سعادتنا عظيمة عندما اكتشفنا انه لم يصل جريح واحد .

وفى اليوم التالى بدأ وصول الأبطال الجرحى الى المستشفيات ومنذ ذلك اليوم ٧ أكتوبر وانا أشعر بأن حياتى قد أصبح لهـــا هدف عظيم ، هو رعاية وخدمة أولادنا أبطال معارك التحرير .

ولما كان هذا هو طريق الأم ، وكان واضحا من قبل طريق الأب ، لم يختلف الأبناء على اتخاذ قرارهم .

فتقدمت لبنى (١٩ سنة) ونهى (١٦ سنة) ــ وهما طالبتان بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية الى العمل بالمستشفيات . فقد جذبتهم أحاديث الأم عن مقاتلينا الجرحى الى التطوع فى الهلال الأحمر . والمشاركة فى العمل فى المستشفيات .

أما الابن الوحيد جمال (١٧ سنة) وهو طالب بالثانوية العامة فقد تطوع فى الجيش الشعبى ، وكانت ارادته ولم تمنعه أمه ، وسئلت أم الأبطال .. الا تخشين على ابنك الوحيد من خطر الحرب ؟ فأجابت فى قوة وعزم ..

« لو خشيت كل أم على ابنها ماذا يكون مصير الوطن ؟ لن أكون أبدا أقل شجاعة من أمهات المقاتلين والشهداء الأبطال » .

ليس غريبا على هذه الأسرة أن تقدم أبناءها الى المعركة . معركة الوطن .. فقد استشهد شقيق الرئيس النقيب الطيار عاطف السادات فى أول أيام المعركة .

لكن واجهت هذه الأسرة المصرية العريقة مشكلة صغيرة الا وهى .. ما هو الدور الذى يمكن أن تقوم به جيهان أو نانا وهى الابنة الصغرى للرئيس (١٢ سنة) التلميذة بالسنة الأولى الاعدادية ، فان سنها كان عقبة فى وجه تطوعها فى المستشفيات . ولكن عندما وجدتها ربة الأسرة مصرة على التطوع لخدمة المقاتلين

توجهت بها الى مستشفى القصر العينى لكى تغسل الاطباق ، ولم تعترض الفتاة الصغيرة بل رحبت بالفكرة واستمرت تعمل فى المطبخ حتى تمكنت والدتها من اقناع المسئولة عن متطوعات الهلال بالمستشفى أن تسمح لها بأن تقوم برواية بعض الحكايات المسلية للابطال الجرحى ، وسمحت لها مسئولة الهلال بذلك فكانت تقضى جزءا كبيرا من الليل فى قراءة القصص والنوادر والحكايات حتى يكون لديها رصيد ترويه للجرحى فى اليوم التالى لتدخل السرور فى قلوب مستمعيها .

كان هذا هو سلوك أسرة الرئيس ايام المعركة .. كان الرئيس فخورا سعيدا مسرورا من تجربة تطوع البنات فى المستشفيات وتطوع الابن فى الجيش الشعبى ، فقد أتاحت لهم هذه التجربة فرصة المساهمة فى خدمة الوطن ، وفرصة التعرف على أخوانهم الجنود واكتشاف معدن الانسان المصرى وشجاعته وقدرته على انكار الذات .

وتقول أم الأبطال جيهان السادات :

« ان أكثر ما يسعد الرئيس هو أن يرى أفراد أسرته وقد ارتبطوا بالناس ، وكونوا مع الجماهير فى النهاية أسرة كبيرة تعدادها يزيد على الثلاثين مليونا » .

لقد تحملت زوجة الرئيس مسئولية رعاية المقاتلين الجرحى ،

ومواساة أسر الشهداء وانتقلت الى كل مكان ، وبعد النصر قامت بتهنئة المقاتلين فى مواقع انتصاراتهم .

لقد اختار رب الأسرة وربتها منذ البداية أن يكونا وأبناؤهما نموذجا ومثلا لكل رجل وامرأة ، لكل شاب وشابة وطفل فى مصر .

ومنذ تولى الرياسة حتى بزغ الفجر الجديد ، وبعد بزوغ الفجر ، وحتى هذه اللحظات ، ظل السادات يعمل من أجل الرخاء ، واستطاع اخراج الشعب المصرى من أزمته لنفسية الطاحنة ، وكانت فكرته منذ البداية ترتبط بالحرية ، وقد كتب ذات يوم يقول :

— ان من ذاق مرارة الاعتقال يعرف معنى الحرية .

وقال لقد كتبت وأنا فى السجن ان أروع ما فى هذه الحياة هو الحب فى معناه الشامل .. شجرة جميلة أمامى ، صوت عصفور ، شروق الفجر ، أى مظهر من مظاهر الجمال فى الطبيعة يسعدنى ويهزنى .

وقد عاش السادات مراحل ضياع الحرية ، وفسر عن طريقها نظريته فى الحكم وظل منذ توليه السلطة يفك القيود قيدا بعد قيد ، ولم تتعب يداه من فك القيود ، ولم يتوقف فكره لحظة واحدة عن عمل يسقط به قيدا من يد ، أو يفك غلا من عنق .

وكان يقاوم فكرة معاكسة اعتادت وضع القيود والاغلال ، ولم نذق طعم الحرية ، وهى فى نفس الوقت تتحدث عن الحرية .

وهنالك قول عالمى معروف يتردد دائما وكأنه من المأثورات.

— أيتها الحرية كم من الجرائم ارتكبت باسمك .

وجعل السادات مفهوم الحرية واقعا فى الحياة المصرية ، وممارسة عملية تفتح كل الأبواب والنوافذ نحو المستقبل ، فرفع — وهو فى حالة الحرب — الرقابة عن الصحافة ، وكانت قد فرضت عليها منذ ٢٦ يناير ١٩٥٢ عند حريق القاهرة المشهور ، وكانت مفروضة عليها قبل ذلك خلال فترة الحرب العالمية الثانية، حتى تعود الصحفيون الرجوع الى المسئولين فى كل ما ينشرونه من أخبار ومقالات . ووقعت الصحافة فى أسر السلطة ، فأصبحت بلا سلطة فى توجيه الرأى العام .

لقد مارس الصحافة وعرف أسرارها ، وأدرك منذ وقت باكر ان الصحافة بلا حرية تصبح مثل سراب الماء فى الصحراء ، لا ينفع الظامئين .

وفى منطق ممارسة الحرية ، أعلا مبدأ سيادة القانون ، وأغلق المعتقلات ، وأخرج المسجونين السياسين وأصحاب الجرائم الذين أمضوا بعض المدد فى السجون ، ورد الحقوق لمن سلبت حقوقهم .

وكان هذا هو الحل للأزمة النفسية التى عاشها الشعب المصرى غير آمن على شىء فعاد اليه الأمن والطمأنينة على كل شىء .

لم تكن المشكلة أن يملك المواطن المصرى قطعة أرض ليدافع عنها ، ولكن المشكلة أن يشعر بأنه يملك وطنه ليدافع عن ترابه. ومعنى حرية المواطن ليست فى امتلاك خمسة أفدنة من الاصلاح الزراعى ليحارب من أجلها ، ولكن معناها امتلاك نفسه ومصيره ويومه وغده وعندما امتلك المصريون هذه القيم حاربوا معركة رمضان ، وتحققت أفكار السادات عن معنى الحرية .

ان الرخاء لا يأتى على طريق الاستعباد .

لقد ألف المقريزى المؤرخ المصرى الشهير كتابا عن الكوارث التى لحقت مصر من مجاعات وأوبئة ، وسماه (كشف الغمة) ، وسجل فيه من النكبات ما تنوء به كواهل الشعوب حتى أكل الناس لحوم الكلاب والقطط ، بل ولحوم الأطفال حين اشتدت المجاعات ولكن مصر كانت تعود الى الرخاء مرة أخرى بعد أن تنكشف الغمة .

وقد تحدث السادات عن السنوات العجاف التى مرت بمصر — ولم تكن بحمد الله مما ذكره المقريزى — وحيا الشعب المناضل الأصيل ، الذى تحمل كل شىء ، ووقف فى الطوابير أمام المجمعات الاستهلاكية ، وعاش ببطاقات التموين ، مضحيا من أجل كرامة الشعب العربى ، حتى حانت ساعة الرخاء .

انه يسعى للسلام من أجل الرخاء ، وحركة التحرير فى مفهومه السياسى مقترنة بحركة التعمير ، وهذا هو المفهوم الحضارى لمصر منذ سبعة آلاف عام .

الحرية والحضارة شيء واحد فى المفهوم المصرى الذى وضع أساس الزراعة والصناعة والعلم والفن من أجل رخاء الانسان الحر ، ولم يحدث أن وضعت حضارة مصر داخل غلاف كتاب مقدس تعيد قراءته كلما أرادت لنفسها الحياة ، كما حدث مع الفكر الاسرائيلى الذى يملك كتابين هما التوراة والتلمود ، لأن مصر تملك الكتاب الأكبر الذى يتسع لكل الصفحات بغير قيود ولا حدود بين الماضى البعيد والمستقبل الأكثر بعدا .

ان مصر نستطيع أن تغير كل شيء حتى جلود البشر ، وتستطيع أن تضع على أجساد الغزاة شاراتها وثيابها ، فألبست بونابرت (العمامة) حين أراد أن يحتفل بالمولد النبوى الشريف وألبست اللورد كتشنر (الطربوش) حين أراد أن يكون ضابطا فى جيشها وهو يحتل أرضها تحت علم الامبراطورية التى كانت الشمس لا تغيب عن ممتلكاتها .

وعندما أراد بونابرت فى حملته الغازية لمصر أن يضع فى صدر (الشيخ عبد الله الشرقاوى) شيخ الأزهر وسام الجمهورية الفرنسية المثلث الألوان ، نزعه الشيخ وألقاه فى وجه بونابرت وقال الكلمة الفرنسية الوحيدة التى يعرفها :

— نو .. نو

ولم تستطع بريطانيا العظمى بعد احتلال مصر أن تجعل الجيش المصرى على نمط الجيش البريطانى كما فعلت فى المستعمرات ، بل أن الضباط الانجليز الذين انضموا الى الجيش المصرى ارتدوا ثياب الجيش المصرى . وهكذا فعل ضباط البوليس الانجليز الذين كانوا يشرفون على الأمن فى مصر خلال فترة الاحتلال .

وكان كبار الموظفين الانجليز الذين يعملون فى الحكومة المصرية ، يرتدون (الطربوش) الذى كان شعارا رسميا للموظفين المصريين .

أما اليهود الذين عاشوا فى مصر ، فقد ارتدى بعضهم الجلاليب وتأقلموا بالحياة المصرية فى كل تقاليدها وعاداتها ، حتى لاحظ ذلك بعض الصحفيين الأجانب الذين زاروا تل أبيب ، فقال أحدهم انه يعرف مكان اليهود المصريين ، عندما يشم رائحة الملوخية .

كانت قضية الصراع الحضارى بين مصر والصهيونية ، لاتحتاج الى شرح أو تفصيل فان مصر هى أم الحضارات ، وكانت تحتاج الى قائد يفهم حقيقتها ، ويرد اليها قيمتها فى مواجهة الدعايات ، والأقوال الخادعة ، وفى ظل الانكسار الأوربى المترنح تحت ضربات النازية لليهود ، واثارات هتلر ومعسكرات تعذيبه لليهود ، حتى صنع من جلودهم أباجورات للمصابيح

ولم يفهم العالم الأوربى حقيقة القضية بعد انتهاء الحرب

الثانية ، بل كان يحمل فى أعماقه العطف على اليهود بسبب أو بغير سبب ، ولم يسمع هذا العالم الذى دمرته الحرب كلمات الملك عبد العزيز آل سعود للرئيس الأمريكى روزفلت ، عندما التقى به فوق ظهر يخت فى البحيرات المرة داخل قناة السويس ، فقد قال الملك العربى للرئيس الأمريكى :

— اذا كنت تريد تعويض اليهود عن عذابهم مع الألمان ، فأنت تستطيع أن تمنحهم من بيوت الألمان وقصورهم وأموالهم مايعوضهم ولكن لا تعوضهم على حساب الشعب العربى الذى لم يرتكب ضدهم جرما .

وسكت روزفلت ، ولم يستطع الرد على الملك العربى ، ولكنه طلب منه ارجاء المناقشة وتعهد بأنه سيكون مع الشعب العربى .

وكان السادات فى تلك الأيام شابا يكتب أول حروف التاريخ فى حياة مصر ، كما سبق أن ذكرت ذلك .

وبعد ثلاثين عاما كتب السادات السطر الذى أملاه الملك عبد العزيز آل سعود على روزفلت .

— لماذا يدفع العرب ثمن أخطاء الآخرين ضد اليهود ؟

قال الرئيس السادات لوزير خارجية المانيا السابق « الهر شرويدر » .

— لما كنت طفلا كنت أسمع أهل قريتى الصغيرة يشيدون بالعقلية الالمانية والعبقرية الالمانية والخبرة الالمانية . وعشقت

ألمانيا مع أهل قريتى ثم مع شعب بلادى . وعاش الحب فى صدورنا سنوات طويلة .

ثم فوجئنا بعد الحرب الأخيرة بما يسمى عقدة الذنب . ورأينا صديقتنا تحل مشكلتها مع اليهود بطردهم من بلادها ، ثم اسكانهم فى فلسطين بعد طرد أصحابها منها . وفوجئنا بصديقتنا التى أحببناها تقدم مليارات الماركات هدية للذين طردونا من بلادنا ثم فوجئوا بحكومة الدكتور اديناور تقدم كميات ضخمة من الأسلحة لأعدائنا وقد استخدم جيش اسرائيل هذا السلاح لقتل أولادنا .

ولم ينسب الشعب العربى هذه التصرفات العربية للشعب الألمانى ، بل نسبها لبعض ساسته لأنه لم يتصور أن الشعب الذى أحبه كل هذه السنين يمكن أن يطعننا فى ظهرنا . ونحن اليوم لا نطلب من ألمانيا أن تقف بجانبنا . لأننا نعرف ظروفها .. ولكننا نطلب منها أن تنظر بطريقة موضوعية عادلة الى قضيتنا . لقد زرتم مدينة السويس ورأيتم بعيونكم كيف تحولت المدينة الى انقاض .. وقد تكرر هذا الخراب فى الاسماعيلية وبور سعيد . ان القنابل الألمانية اشتركت فى هدم السويس . وانا أرجو أن تشترك العقول الألمانية والأيدى الألمانية فى اعادة بناء السويس ومدن السويس . اننى انتظر وصول المستشار ويلى برانت وأتوقع أن نتحدث معا فى هذا الموضوع . ولكن يهمنى أن تعرضوا هذه

الحقائق على الشعب الألمانى ليقدروا مدى الظلم الذى وقع على العرب .

وقال « شرويدر » وباقى ممثلى الأحزاب الألمانية للرئيس السادات ان جميع أحزاب ألمانيا الغربية متفقة اليوم على أن تساهم بلادهم بكل طاقاتها فى معركة التعمير . وهم جميعا متفائلون بالغد الذى ينتظر مصر ويعتقدون ان مشكلة اسرائيل قد اقتربت من نهايتها .

ثم قال زعيم المعارضة بالنيابة للسادات ان كل الألمان الذين ألتقيت بهم يؤمنون بك . ويتوقعون لمصر رخاء سريعا . ولقد كانت أمنيتنا أن نزور أسوان ونشاهد التطور الضخم الذى حدث فيها .. ولكن البرنامج الذى وضعوه لنا لم يتسع لهذه الزيارة مع الأسف .

فقال السادات : اننى أدعوك وزملاءك أعضاء الوفد البرلمانى ان تعودوا لنا مرة أخرى .. ويسعدنى أن استقبلكم . وان أوفر لكم رحلة الى أسوان . تعالوا مرة أخرى .. اننا فى انتظاركم .

وقد ذهب شرويدر أن يطير الى تل أبيب ليجتمع بساسة اسرائيل . ويرى بنفسه مدى التطور الذى واقع فى سياسة اسرائيل بعد معركة العبور . وكان قد زار اسرائيل منذ ثلاث سنوات واجتمع بقادتها الذين أكدوا له أن الجيش المصرى أضعف من أن يهاجم اسرائيل ..

هذه الذكريات لم توقف السادات عن اتمام خطته من أجل الرخاء ، وقد بدأها منذ بدأ يفكر فى الكفاح الوطنى من أجل تحرير مصر ، ولم تكن هذه الأفكار سوى التفكير الجديد الذى سبقه تصور قديم .

ان المستقبل لا ينفصل عن الحاضر ، والحاضر لا ينفصل عن الماضى ، وهى ثلاث حلقات تصنع حياة الانسان .. الماضى والحاضر والمستقبل كما ان الانفصال عن حلقة واحدة من هذه الحلقات الثلاث يؤدى الى الهلاك وانعدام الرؤية ، وضياع الانسان نفسه فى متاهة اللا وجود واللا عدم .

هكذا نشأت حياة الانسان فوق الأرض ، آب وابن وولد ، وهى الحلقات الثلاث التى تصنع الانسان وتوجد حياته الممتدة من الماضى الى المستقبل .

وفى اليوم الثالث من أبريل عام ١٩٧٢ ، وكان السادات داخل جامعة الاسكندرية يتحدث الى المستقبل الى شباب مصر وبين يديه ورقة عمل لصنع المستقبل ولم يقبل السادات ان يقدم هذه الورقة للتنفيذ وهو رئيس الجمهورية ، ولم يقبل أن يريد لأفكاره أن تستقبل بعواصف التصفيق والتأييد ولكنه قال أنه يعرض أفكاره للمناقشة .

وعندما غير السادات مرحلة الماضى منطلقا الى المستقبل ورأى فى الشباب هذه الصورة كان يتحدث فى جامعة الاسكندرية بأسلوب

الوالد الى أولاده . وكان يشعر منذ وطئت قدماه أرض الجامعة أنه أب لهؤلاء الشباب الذين سيخرج من بينهم قائد المستقبل . وحدثهم عن (ورقة اكتوبر) قبل أن يقدمها فى الاجتماع المشترك بين أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى وأعضـــاء مجلس الشعب ــ وهما يمثلان المؤسستين الديمقراطيتين فى مصر .

وكانت محاورته مع شباب المستقبل تشبه محاورات أفلاطون مع تلاميذه ــ وليس هذا من ايحاء جامعة الاسكندرية التى كانت من أقدم جامعات الدنيا فى مناقشة فلسفة الحكم ، ولكنه ايحاء من الحوار الذى دار بين السادات وبين شباب الجامعة فقد ارتفع المستوى العلمى فى الحوار حتى رفض المشكلات الطارئة أو الوقتية والتفت بكل انتباه الى المشكلات العامة أو الرئيسية فى بناء المجتمع المصرى فى المستقبل .

ونسى أنور السادات انه رئيس الدولة أثناء هذا الحوار ، وارتدى ثياب الأستاذ الجامعى حتى أنه رفض مناقشة مشكلات السلطة ، وأحالها فورا الى الوزراء المختصين ليتصرفوا فيها وعاد الى الشباب ليناقشهم حول المستقبل الذى رآه فى وجوههم أو قرأه فى عيونهم .

لم تكن المشكلات الطارئة هى التى تشغل تفكيره ، ولكن الذى شغل تفكيره هو مستقبل مصر . لأن كل المشكلات يمكن أن يجد لها حلا خلال ورقة صغيرة اسمها (قرار جمهورى) ،

ولكن المشكلة الكبرى لن يصدر بها قرار جمهورى . ولكن تصدر بها ارادة شعبية تعيد بناء مصر وحضارة مصر .

وهناك ميزة من ميزات السادات هى قدرته على أن يضع فلسفة لكل المواقف ثم يضع حلولا للمشاكل .

وقد اتبع الأسلوب العلمى عندما كتب (ورقة أكتوبر) التى فسر بها أسرار معركة اكتوبر ، وفسر بها أيضا أسرار الانطلاق نحو مستقبل مصر .

لقد رفض عند مناقشة الورقة شيئين أساسيين هما :

- رفض فكرة المعجزة التى حققت انتصار اكتوبر .
- رفض التنصل من المسئولية السابقة لتوليه السلطة .

وكان الرفض للفكرتين قائما على أساس علمى ، لا صلة له بالعاطفة ، بل ان استرضاء الجماهير على أساس ترويج هاتين الفكرتين كان هو الطريقة التى سلكها السابقون من حكام مصر فليس أسهل من القول بأن المعجزة تحققت ليصل الحاكم الى ما يقرب من القداسة ، وليس أسهل من افراغ كل أخطاء الماضى أمام الجماهير لتحلم بعصر الثراء القادم عن طريق الرخاء بعدزوال هذه الأخطاء .

ولكن السادات رفض هذه الطريقة ونبذها ، وهو من أعرف

العارفين لمسارها فى التاريخ المصرى الحديث والقديم وقد سلك حكام من قبله هذه الطريقة ، ثم ضلوا الطريق .

وكانت المشكلة أنه أصر اصرارا كاملا على تحمل المسئولية منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى الآن ، وحين قيل له أنه مسئول عن القرارات وليس مسئولا عن الاجراءات ، رفض هذا الرأى وبدأ يتحدث عن السلبيات التى حدثت فى الماضى والايجابيات التى يجب أن تحدث فى الحاضر .

ولم تكن القضية من وجهة نظره هى المسئولية فى ذاتها ، ولكنها كانت قضية التاريخ المصرى الذى يرتفع قدره مع ارتفاع مسئولية القادة والزعماء .

ان قضية (أنور السادات) هى قضية مصر وليست قضيته هو شخصيا . وليس يهم اطلاقا أن يكون فى الصف الأول أو الصف الأخير ، ولكن يهمه دائما أن تكون مصر هى الطليعة للنضال العربى ، وكثيرون ممن يتصورون أنهم مثاليون لا يصلون الى هذه الدرجة من انكار الذات فى سبيل تحقيق المبادىء والأهداف .

وقد أراد السادات الا يختل الميزان وقبل على نفسه أن يكون مسئولا عن كل شيء . حتى تبقى الصلة بين الماضى والحاضر عندما فتح لمصر باب المستقبل .

منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ما يقرب من عشرين عاما .. جعلها لحظة واحدة هي لحظة العبور من الهزائم الماضية الى الانتصارات القادمة .

وفى الجلسة التاريخية يوم ١٨ أبريل ١٩٧٤ قدم السادات (ورقة اكتوبر) لأعضاء اللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكى وأعضاء مجلس الشعب . وكان التركيز فى هذه الجلسة على نقطتين أساسيتين :

أولا — الحياد الايجابى .

ثانيا — الاشتراكية المصرية .

ومن واقع تجربة أكتوبر حدد السادات اتجاه السياسة الخارجية لمصر ، وقال فى تلك الجلسة محددا العلاقات مع القوتين الأعظم :

الاتحاد السوفيتى :

علاقتنا أولا مع الاتحاد السوفيتى بوصفه صديقا لنا — زى ما قلت لكم دلوقت فيه لنا بعض الملاحظات على هذه العلاقة ودا أمر طبيعى بين حتى اللى بيدخلوا حرب حلفاء مع بعض يبقى بينهم ممكن هنا وبيحصل وأكثر — اننا احنا أصدقاء مجرد أصدقاء ومع أن يحدث شيء أو أشياء فيما بيننا أو سوء فهم فى المرحلة الحالية أنا ما أعرفش ليه فيه سوء فهم — على الأقل أنا اريد أن أؤكد أمامكم وعلى مسمع من شعبنا كله أنه من جانبنا

احنا هنا ومن جانب مصر ــ احنا ما بنعملش على سوء التفاهم بل على العكس نحن نعمل على استمرار هذه الصداقة وما بنستجبش ابدا لأى استفزازات أو أى توفزات من أى جهة ــ مابنستجبش ابدا ، ولكن للأسف باجد سوء فهم يتمثل او يترجم امامى بتصرفات لا أجد لها تفسيرا .

يعنى سمعتونى دلوقت بأقول انه فيما خلا بعض الطلبات اللى طلبناها من الاتحاد السوفيتى ولم ترد بعد . قواتنا عادت كاملة تماما ــ بس هذه الطلبات فيها حاجات جوهرية أساسية هذه الطلبات مثلا ــ باترجم سوء الفهم من جانبهم انه ابعث أربع رسائل للرئيس بريجنيف منى كرئيس لمصر واطلب فيها هذه الطلبات على مدى ست شهور الماضية ــ فلا يصلنى رد الا من شهرين مع السفير السوفيتى أن الطلبات تحت الدراسة ، ثم من شهر مع وزير خارجية الاتحاد السوفيتى لما زارنا نفس الرد أيضا ان الطلبات تحت الدراسة .

سوء الفهم بلا أسباب :

مش معقول أن تكون تحت الدراسة ستة اشهر وانا اعلم ان هذه الطلبات ليس فيها خوارق او اشياء مستحيلة ــ ابدا ــ وانما عادية تماما تحت الدراسة ستة أشهر ومن الستة اشهر دول كان فيه عندى شهر حرج اللى هو الشهر الأول للجيب اللى هو شهر نوفمبر .

ما أعرفش ان دا يكون يعنى أمر لسه يحتاج لدراسة . انا باترجمه ان فيه سوء فهم .

خرج أيضا كلام من عندهم ان مصر خلاص سابت الاشتراكية . بس الاشتراكية انا ارجو انه يكون مفهوما للكل ان احنا ما اخترناش الاشتراكية لارضاء احد ما اخترناه وما نختاره لأنفسنا هو من صميم مسئوليتنا حسب ظروفنا ومقتضيات المرحلة اللى احنا بنمر بها احنا ما بنحتاجش تعليقات من حد على اشتراكيتنا ولا على نظامنا .

كل هذا واضح فى الورقة اللى عند حضراتكم احنا منذ يوم ٢٣ يوليو ٥٢ لنا ارادة حرة خالصة هذه الارادة مصرية مائة فى المائة وستظل ان شاء الله مصرية مائة فى المائة . قبل هذا حقيقة بأسف لسوء الفهم هذا . قد يكون لأن اسباب أخرى أيضا انه بدأت علاقتنا تتحسن أو تنفتح مع الولايات المتحدة ومع الغرب وأيضا الانفتاح الاقتصادى قيل عنه ما قيل .

برضه أنا بأقول ان كل دى أمور من صميم شئوننا ولا نقبل حتى التعليق لأن التعليق حتى فيه شيء من المجافاة للذوق .

يعنى مش عايز أقول كلمة أكتر ـ لأننى مابحبش استخدام هذه الألفاظ ـ احنا أحرار واحب أقول لكم انه زى ماسمعتم عنى اللى ضامن قرار وقف اطلاق النار الفوتان الأعظم . ولا مصلحة لنا فى ان نعادى أحد ـ لا من القوى العظمى ولا من الدول اللى ماهش عظمى ، احنا علاقاتنا لابد ان تكون طيبة مع الكل لصالح مصر . من يبادرنا العداء نرد عليه لكن لانبادر احد بعداء احنا فعلا فى مرحلة اعادة تشكيل علاقاتنا على أساس مبادئنا وعلى الحياد الايجابى الواضح الكامل بين المعسكرين فى

هذا العالم . والله اذا كان هذا لا يلقى قبول من البعض ماهش ذنبنا ـ احنا كده واخترنا لنفسنا كده ـ كون تعود علاقاتنا طيب ماهى المتغيرات العالمية من حولنا كلها بتنبىء بهذا .

فى أوربا مؤتمرالأمن الأوربى بيجتمععلشان الشرق والغرب ليوجدوا صيغة لأسلوبالتعايش الايديولوجيات المختلفة المتصارعة اللى هىكانت الرأسمالية والشيوعية فى روسيا تقابلوا فيما يسمى بالوفاق الدولى ـ العالم فيه متغيرات ضخمة كتبت لكم عنها اللى ما يعيش هذه المتغيراتيبقى ماهش عايش العصر اللى احنا فيه . العالم نبذ الحرب الباردة واتجه الى سياسة الوفاق ، حتى بين النظامين اللى كانوا مش متعادين بس بل دول كانوا فى صراع . بقى فيه وفاق . احنا من مصلحة مصر الا يكون لها أى صراع مع قوة كبرى أو أى قوى اخرى الا اذا بادرتنا هذه القوة بالعداء أو بالصراع .

تنويع مصادر السلاح :

وده خط واضح تماما من أجل هذا بيهمنى ابلغكم انه أمام هذا الوضع أنا اتخذت قرار مع القوات المسلحة بتاعتنا بضرورة تنويع مصادر الأسلحة لنا ونفذ هذا القرار فى مثل المرحلة اللى احنا بنمر بها من الصعب على جدا وأنا مسئول ليس أمام شعبنا فقط وانما أمام امتنا العربية كلها اننى اقف مكتوف الأيدى امام ست شهور طلبات أسلحة لا يرد عليها وأترك قواتنا المسلحة وأترك شعبنا وأمتنا وقضيتنا بدون حماية وضمان لاستمرار القضية وحلها ..

ده وضعنا .. أنا باقول بارحب كل الترحيب باننا نصل الى الموقف اللى نقعد فيه مع بعضنا احنا والاتحاد السوفيتى كأصدقاء ونتصارح مفيش عندنا شيء بنخبيه ومفيش خلفيات ولعلهم يكونوا فهمونى كويس من درس الخبراء سنة ٧٣ - اعتقدوا انى كنت باعمل هذا بالاتفاق مع امريكا أو غيرها وثبت لهم بعد ثمانية شهور انه ماكنش فيه اتفاق لا مع امريكا ولا مع حد .. ده كان قرار وطنى بحت وكان وقفة مع الصديق زى ما قلت قد ايه حناخد على ما نوصل لهذا ارجو ان الوقت ما يطولش ونقعد مع بعض ونناقش أمورنا بصراحة .

للأسف كل نقط الخلاف السابقة عادت كما هى تماما بدون داعى وسوء الفهم عاد كما هو بدون داعى من جانبنا انا باقول نحن لا نريد صداقة حد على حساب حد بصراحة ما بنصادقش امريكا على حساب الاتحاد السوفيتى وان نصادق الاتحاد السوفيتى على حساب امريكا كده بصراحة لأن اللى بيمد ايده بالصداقة لنا بنمد ايدنا بالصداقة له وان ما يحكمنا هو كلمة واحدة مصر ومصلحة مصر .

الموقف من امريكا :

بياتى بعد ذلك موقفنا مع أمريكا بدأ بلا شك التحول أو التغيير فى سياسة أمريكا ولعل يوم أن تقدم كيسنجر كما حكيت لكم فى اسوان بعرض امريكى بيننا وبين اسرائيل فى الوقت اللى كانت امريكا ١٠٠ فى المائة منحازة الى اسرائيل أو فى احسن الفروض كانت تقول اتكلموا مع اسرائيل .. يا اما منحازة ١٠٠ فى المائة على وقت جونسون - وجونسون للأسف كانت فترة سوداء فى

امريكا زى ما هى فى تاريخنا احنــا كمــان هنا عشناها الأيام ما بعد يونيو الاسود أيضا كانت فترة جونسون فى امريكا ســوداء على الشعب الامريكى ومعلقيهم الكبار قالوا هذا الكلام قبل احنا مانقوله ـ حصل تحول جذرى بدل ما امـــريكا تكون منحازة ١٠٠ فى المائة فى جانب اسرائيل او أحسن الفروض تقول لنا اتكلموا لا لما لقى الدكتور كيسنجر المسالة توقفت عاد الرئيس الامريكى ضد موافقته على أن تتقــدم امريكا بعرض بين الاثنين وباعتبره ده تحول جذرى بالنسبة لموقف امريكا عشان كده كانت بعــد ذلك الخطــوات اللى تمت بيننا اعادة العــلاقات الدبلوماسية وتطور العــلاقات واللقــاءات المستمرة اللى فيما بيننا واللى بتحصل ..

بيحلو للبعض ـ وأنا كاتب فى الورقة دى ـ لازم نخلص من عقدة أن امريكا حاتضحك علينا أو الاتحــاد السوفيتى هايضحك عليكم أو نتعامل مع أى أحد يقول أوعوا لحسن حايضحكوا عليكم .. احنــا نتحــرر من العقــدة دى بقى احنــا بنعرف مصلحتنا اللى بيوافقنا بنوافق عليه اللى يتفــق مع مصلحتنا بنوافق عليه ـ اللى لا يتفق مع مصلحتنا بنرفضــه وده بيتم بطريقــة علنيــة لأنى مســئول انى أضــع أمامكم كمؤسسات دستورية فى البلد وأمام الشعب وأمام أمتنا العربيــة الحقــائق واضحة بلا اتفــاقات لا سرية ولا اتفــاقات جانبية .

بعد ذلك بنكون أتممنا زى ما قلت لحضراتكم المواقف اللى ماقدمتش لكم عنها تقرير وهى :

* وقف اطلاق النار .
* ثم اتفاقية فك الارتباط بين القوات .
* ثم صورة الموقف اليوم .
* ثم علاقاتنا مع القوتين الأعظم .

بتبقى علاقاتنا العربية وأنا أريد ان اطمئنكم ان الموقف العربى ثابت رغم كل المحاولات اللى بنسمعها من حوالينا .. الموقف العربى ثابت وصلب ومستمر ان شاء الله .

وقد ذكر الرئيس فى أحاديث سابقة أن الرئيس هوارى بومدين دفع للاتحاد السوفيتى مائة مليون دولار حتى يرسل أسلحة الى مصر أثناء معركة اكتوبر .

أما قضية الاشتراكية . فقد تناولها الرئيس فى فقرة من الخطاب مما سبق أن قدمته لك ، ووضح أن اختيار مصر للاشتراكية لم يكن ارضاء لأحد . وانه اختيار حر وفى ذلك يقول بالنص :

« أنا أرجو أنه يكون مفهوما للكل أن احنا ما اخترناش الاشتراكية لارضاء حد ما اخترناه وما نختاره لأنفسنا هو من صميم مسئوليتنا حسب ظروفنا ومقتضيات المرحلة اللى احنا بنمر بيها فما بنحتجش تعليقات من حد على اشتراكيتنا ولا على نظامنا .. »

لقد أصبحت (ورقة اكتوبر) وثيقة لبناء المستقبل . وحددت معالم الطريق واستلهمت من تاريخ مصر الحديث كل تجاربه تأكيدا للفكرة التى يدعو اليها السادات من وجوب ربط الماضى بالحاضر وربط الحاضر بالمستقبل من أجل بناء الدولة الحديثة .. دولة العلم والايمان . وبدأ المجتمع المغلق ينفتح على العالم اقتصاديا وفكريا وسياسيا . وأصبحت مصر تعيش مرحلة جديدة من مراحل حياتها الطويلة العريقة .. هى مرحلة اعادة بناء الحضارة من أجل تحقيق السلام والرخاء والرفاهية .

محتويات الكتاب

الغلاف بريشة الفنان جمال كامل

رقم الموضوع	الشهر	السنة
١٦٥	مايو	١٩٧٤

وزارة الإعـــــــلام
الهيئة العامة للاستعلامات



فى سطور

- ولد فى ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ بقرية (ميت ابو الكوم) بمحافظة المنوفية .
- تلقى دراسته الابتدائية بمدرسة الأقباط بقرية (طوخ دلكه) بالمنوفية ، كما تلقى دراسته الثانوية بمدرسة فؤاد الأول بالعباسية بالقاهرة .
- تخرج فى الكلية الحربية سنة ١٩٣٨ ، وعين فى سلاح الاشارة برتبة ملازم ثان .
- اشترك فى الحركات الوطنية خلال السنوات السابقة للثورة ؛ واعتقل وسجن عدة مرات . وابعد عن الجيش ، ثم اعيد للخدمة فى سنة ١٩٥٠ برتبة يوزباشى .
- اذاع أول بيان للثورة فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من اذاعة القاهرة .
- عين وزيرا للدولة فى سنة ١٩٥٤ ، وظل فى هذا المنصب شهوراً قليلة .
- عين رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٦ .
- كان مشرفا على المؤتمر الاسلامى فى سنة ١٩٥٧ .
- أنتخب رئيسا لمجلس الأمة فى ٢٣ يوليو ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٨ .
- عين نائبا اول لرئيس الجمهورية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ .
- أنتخب رئيسا للجمهورية فى ١٧ اكتوبر ١٩٧٠ .
- قاد حركة التصحيح لمسار ثورة ٢٣ يوليو فى ١٥ مايو ١٩٧١ .
- قاد معارك حرب أكتوبر ١٩٧٣ التى حققت النصر لأول مرة منذ قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ .